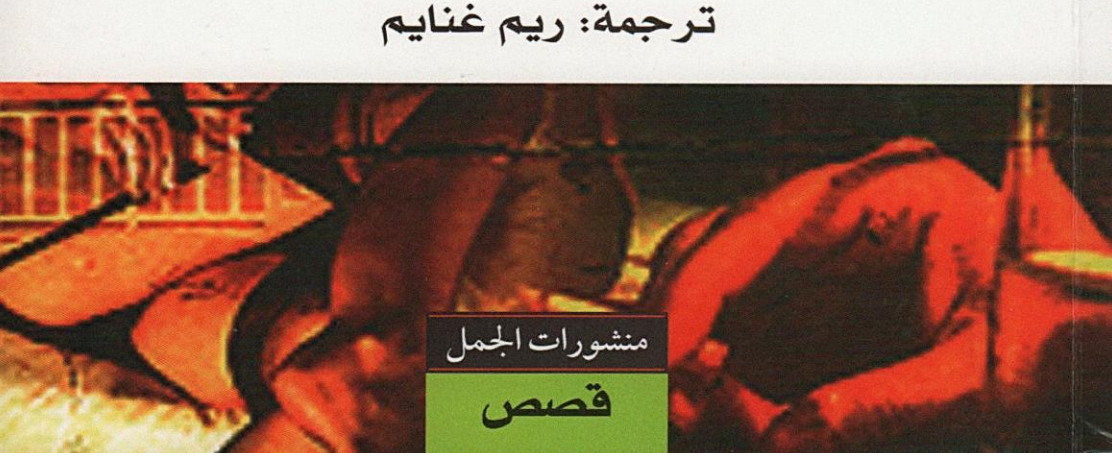


تشارلز بوكوفسكي

أجمل نساء المدينة

ترجمة: ريم غنايم



منشورات الجمل

قصص

تشارلز بوكوفسكي

أجمل نساء المدينة

مجموعة قصصية

ترجمة: ريم غنايم

منشورات الجمل

تشارلز بوكوفسكي: أجمل نساء المدينة، مجموعة قصصية، الطبعة الأولى
ترجمة: ريم غنايم

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Charles Bukowski: *The Most Beautiful Woman in Town & Other Stories*

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

أجمل نساء المدينة

كانت كاس الأصغر سنًا والأجمل من بين الأخوات الخمس. كانت كاس أجمل فتيات المدينة. نصفها هنديّ بِجَسَدٍ ليّنٍ وغريب، جسدٍ أفعوانيّ وناريّ، وعينين تتناغمان معه. كانت كاس نارًا متحرّكة رشيقة. مثل روحٍ تقبع في قالب لا ينجح في حبسها. كان شعرها أسودَ وطويلًا وحريريًا تمايل وتحرّك مثلَ جسدها. كانت روحها ساميةً جدًا أو منحطة جدًا. لم تكن كاس تمتلكُ حلولًا وسطية. قال البعض إنّها مجنونة. وحدهم البلداء من قالوا ذلك.

لن يفهمَ البلداء كاس أبدًا. كانت في عيون الرجال مجرّد آلة للنيك ولم يعنِهم ما إذا كانت مجنونة أم لا.

أمّا كاس فقد رقصت وغازلت الرجال، وتبادلت القُبل معهم، وخلا حالة أو اثنتين، عندما حانَت لحظةُ مضاجعتها، كانت كاس تختفي، منفلتةً من أيدي الرّجال.

اتّهمتها أخواتها بأنّها تستغلّ جمالها، ولا تستخدمُ عقلها كفاية، لكنّ كاس امتلكت عقلًا وروحًا؛ رَسَمت ورقصَت وغنّت، وأبدعت أشياء من الصلصال، وإذا تعرّض أحدهم لضرر نفسيّ أو جسديّ، شعرت كاس بالأسى من أجله. كلّ ما في الأمر أنّ عقلَها مغايرٌ؛ لم تكن روحها واقعيّة. أحسّت أخواتها بالغيرة منها لأنها استمالَت

رجالهنّ إلَيها، أما هم فقد غضبوا لأنّهم أحسّوا أنّها لم تكن تستغلّهم كما يجب. اعتادت أن تبديَ لطفًا تجاه الأكثر قبحًا من بينهم؛ الوسيمون في الظاهر أثاروا حفيظتها - قالت إنّهم لا يمتلكون «أي جرأة أو بريق. إنّهم يعتمدون على شحمات أذنهم الصغيرة المثاليّة وأنوفهم المصمّمة.. كلّ شيء سطحيّ، لا عمقَ فيه...». كانت ذات مزاج أقرب إلى الجنون، مزاج اعتبره البعض جنونيًا.

توفّي والدها من أثر الكحول، أما والدتها فقد هربت وتركت البنات لوحدهنّ. توجّهت البنات إلى إحدى القريبات التي ألحقتهنّ بِدَيرٍ. كان الدير مكانًا بائسًا بالنسبة إلى كاس أكثر من أخواتها. شعرت الأخوات بالغيرة من كاس وتعاركت مع معظمهنّ. كانت هناك آثار خدوش موسى حلاقة على طول ذراعها اليسرى جرّاء دفاعها عن نفسها في معركتين. عانت من ندبة مستديمة على خدها الأيسر، لكن بدلًا من أن تقلّل النّدبة من جمالها، زادته حلاوة.

التقيت بها في حانة ويست إند بعد مضيّ ليالٍ على خروجها من الدير. ولأنها كانت الأصغر سنًا من بين الأخوات، كانت آخر من غادرت. ببساطة، دخلت وجلست إلى جانبي. كنت على الأرجح أكثر الرجال قبحًا في المدينة، وربما كان هذا هو السبب.

«هل تشربين شيئًا؟» سألتها.

«طبعًا، لم لا؟»

لا أظن أنه كان هناك شيء ما على غير العادة في حديثنا تلك الليلة، هو الإحساس الذي بثّته كاس فقط. لقد اختارتني وكفى. من دون ضغط. أحبّت مشروبها وشربت منه كثيرًا. بدت أصغر من السن القانونية، لكنهم مع ذلك قدّموا لها المشروبات. ربّما زيّفت بطاقة هويتها، لا أدري. كيفما اتّفق، كلّما عادت من الحمام وجلست إلى

جانبي، شعرتُ بالفخر. لم تكن كاس أجمل نساء المدينة، بل كانت أجمل امرأة رأيتها في حياتي. طوّقتُ خصرها بذراعي وقبّلتها قبلة واحدة.

«هل ترى أني جميلة؟» سألتني.

«طبعًا، بكل تأكيد، لكنْ هناك شيء آخر... شيء غير مظهرك».

«الناس يتهمونني دائمًا بأنّي جميلة. هل ترى أني جميلة؟»

«جميلة ليست الكلمة المناسبة، فهي لا تنصفك».

فتّشت كاس في حقيبتها. خلتُها تبحث عن منديل. أخرجت دبوسَ قبعةٍ طويلًا. قبل أن أنجحَ من منعِها، غرزت الدّبوس في أنفها، من الطرف، فوق المنخرين تمامًا، شعرتُ بالقرف والخوف. نظرت إليّ وضحكت، «الآن هل تظنّ أني جميلة؟ ما رأيك الآن يا رجل؟». أخرجتُ الدبوس ووضعتُ منديلي فوق الأنف النازف. بعض الأشخاص، من بينهم السّاقي، شاهَدوا ما حدث. حضر السّاقي وقال لكاس: «اسمعي، إذا تصرّفتِ على نحو خاطئ المرّة القادمة، ستُطردين. لا حاجة لنا بتمثيلياتك هنا».

قالَت: «إذهب إلى الجحيم يا رجل!».

«من الأفضل أن تعتنيَ بها»، قال لي السّاقي.

«ستكون على ما يُرام»، قلت.

«هذا أنفي أنا، يمكنني أن أفعل به ما أشاء».

قلت: «كلا، ذلك يؤذيني».

«هل تقصد أنّك تتأذّى عندما أغرز دبوسًا في أنفي؟»

«نعم، أنا جادّ في ما أقول».

«حسنًا، إذن لن أفعلها مرة أخرى. ابتهج».

قبّلتني وهي تبتسم وتضع المنديل فوق أنفها. غادرنا إلى منزلي بعد أن أقفلت الحانة. شربت البيرة، وجلسنا هناك وتحدثنا. عندها فقط، بدأت أدرك كم هي إنسانة حنونة ومبالية. لقد سلّمت نفسها من دون أن تنتبه. في الوقت نفسه كانت تقفز إلى مناطق متوحشة وطائشة. مجنونة. مجنونة وجميلة وروحانية. قد يأتي رجل، أو غيره، ويدمرها للأبد. تمنّيتُ ألا أكون أنا هذا الرجل.

ذهبنا إلى الفراش، وعندما أطفأت النور سألتني كاس «متى تريد أن نفعلها الآن أم صباحًا؟»

«صباحًا»، قلت واستدرت إلى الجانب الآخر.

استيقظت صباحًا وأعددتُ كأسَين من القهوة، وأحضرت لها كأسها إلى السرير.

ضحكت. «أنت أول رجل أعرفه يرفض أن يفعلها ليلًا».

قلت: «لا بأس، لسنا مضطرّين لأن نفعلها أصلًا».

«لا انتظر، أريد الآن. دعني أنتعش قليلًا».

دخلت كاس إلى الحمام. خرجت بعدها بفترة وجيزة، وقد بدت رائعة، شعرها الطويل الأسود يلمع، عيناها وشفتاها تلمعان، كانت كلها تلمع... عرضَت جسدها بهدوء، كشيءٍ جيد. تسرّبت تحت الغطاء.

«هيا تعال يا عشيقي».

ذهبت.

قبّلتني بلذة وعلى مهلٍ. جعلت يدي تلامسان جسدها وشعرها. ولجت. كانَ حارًا وضيقًا. بدأت بتخفيف الوتيرة، في محاولة للإطالة أكثر. حدّقت في عينيّ مباشرةً.

«ما اسمك؟» سألتُها.

«فيمَ يهمّ ذلك، اللعنة؟»

ضحكتُ وواصلتُ. بعدها ارتدت ملابسها وأعدتها إلى الحانة، لكن نسيانها كان أمرًا صعبًا. لم أعمل في تلك الفترة، ونمت حتى الثانية ظهرًا. بعدها، قمتُ من السرير وقرأتُ الجريدة. كنتُ في حوض الاستحمام عندما دخَلَت ومعها ورقة كبيرة - بحجم أذن الفيل.

قالت: «عرفتُ أنك ستكون في حوض الاستحمام، لذا أحضرت إليكَ شيئًا لتغطي به شيئك، يا ابن الطبيعة».

ألقت إليّ بالورقة، إلى حوض الاستحمام.

«كيف عرفتِ أني سأكون في حوض الاستحمام؟»

«عرفت».

كانت كاس تحضر بشكلٍ شبه يوميّ، عندما أكون في حوض الاستحمام. كانت الساعات متفاوتة، لكنها لم تفوت مرة واحدة تقريبًا. وكانت تحملُ ورقة دائمًا. بعدها كنا نمارس الحب.

كانت هناك ليلة أو اثنتان اتصلت بي كاس، وكان علي أن أخرجها بكفالة من الحجز، جرّاء ثمالتها وعراكها.

قالت: «أولاد القحبة، لأنهم يشترون لك بعض المشروبات فقط يظنون أنهم يستطيعون أن يدخلوا في بنطالك».

«في اللحظة التي تقبلين فيها المشروب، تجلبين لنفسك مشكلة».

«ظننت أنهم مهتمون بي، لا بجسدي فقط».

«أنا مهتم بك وبجسدك. لكنني أشك في أن يكون غالبية الرجال مهتمين بشيء آخر غير جَسدك».

تركتُ المدينة مدة ستة شهور، تسكّعتُ لبعض الوقت، وعدت.

لم أنس كاس لحظة، لكننا كنا قد تعاركنا، وكنت أنا أساسًا أرغبُ في التسكّع لبعض الوقت. عندما عدت افترضتُ أنها ليست في المنطقة، لكنني جلستُ في حانة ويست إند نحو نصف ساعة عندما دخلت وجلست إلى جانبي.

«حسنًا، أيّها الوغد، أرى أنّك قد عدت».

طلبتُ لها مشروبًا، ثم نظرتُ إليها. كانت ترتدي فستانًا ذا عنق طويل. لم أرها يومًا ترتدي هذا النوع من الفساتين. وتحت كلّ عين من عينيها دبوسان بطرفين زجاجيّين. كل ما كان يمكن رؤيته هو الأطراف الزجاجية للدبوسين، لكن الدبوسين كانا مغروزين في وجهها.

«اللعنة عليك، أما زلت تحاولين أن تدمّري جمالك؟»

«لا، هذه هي الموضة، أيّها الأحمق».

«انت مجنونة».

«اشتقت اليك»، قالت.

«هل هناك شخص آخر؟»

«لا. لا يوجد شخص آخر. أنت وحدك. لكني أعمل في الدعارة. يكلّف ذلك عشرة دولارات. لكنك تحصل عليه مجانًا».

«أخرجي هذه الدبابيس».

«لن أفعل. هذه هي الموضة».

«هذا يسبب لي التعاسة البالغة».

«متأكد؟»

«نعم. متأكد».

أخرجت كاس الدّبوسين ببطء، ووضعتهما في حقيبتها.

سألتها: «لماذا تدمّرين جمالك؟ لماذا لا تتعايشين معه وحسب؟»

«لأن الناس يظنون أنّ هذا هو كلّ ما أملك. الجمال لا شيء، الجمال لا يدوم. لا تعلم كم أنت محظوظ لأنّك قبيح، لأن الناس لو أحبّوك فأنت تعلم أنّهم يحبّونك لشيء آخر».

قلت: «حسنا، أنا محظوظ».

«لا أقصد أنّك قبيح. الناس فقط يعتقدون أنّك قبيح. أنت تملك وجهًا رائعًا».

«شكرًا».

شربنا مشروبًا إضافيًا.

«ماذا تفعل؟» سألتني.

«لا شيء. لا أنجح في شيء. فاقد الاهتمام».

«وأنا مثلك. لو كنتَ امرأة كنتَ عملتَ في الدعارة».

«لا أعتقد أني قادر على التواصل مع العديد من الغرباء، هذا أمر متعب».

«معك حقّ، أمرٌ متعب، كلّ شيءٍ متعب».

غادرنا معًا. كان الناس ما زالوا يتأملون كاس في الشوارع. كانت امرأة جميلة، ربّما أجمل من أيّ وقت مضى. وصلنا إلى شقّتي وفتحت قارورة نبيذ، وتحدثنا. بيني أنا وكاس كان الأمر هينًا دائمًا. كانت هي تتحدث لبعض الوقت، وكنت أنا أستمع، ثم أتحدث. جرى الحديث بيننا من دون عناء. بدا وكأننا نكتشف أسرارًا معًا. عندما كنا نكتشف سرًا جيدًا كانت كاس تضحك ضحكةً على طريقتها. كان الأمر أشبه بالفرحة الخارجة من النار. تبادلنا القبل أثناء حديثنا واقتربنا من بعضنا. شعرنا بالشّهوة وقررنا الذهاب إلى الفراش. عندها فقط خلعت كاس فستانها ذا العنق الطويل ورأيتُ النّدبة القبيحة عند حلقها.

كانت الندبة كبيرة وسميكة.

«اللعنة عليك يا امرأة، اللعنة عليكِ، ماذا فعلتِ؟» قلت لها وأنا في السرير.

«فعلتها بواسطة قارورة زجاج مكسورة ذات ليلة. ألا تحبّني أكثر؟ هل ما زلتُ جميلة؟»

سحبتها نحو السّرير وقبّلتها. فلتت منّي وضحكت. «ثمّة رجال يدفعون لي العشرة دولارات فأتعرّى ولا يرغبون في أن يفعلوها. فأحتفظ أنا بالعشرة دولارات. أمرٌ مضحك».

قلت: «نعم. لا أستطيع الكفّ عن الضحك... كاس، أيّتها القحبة، أحبّك... كفّي عن تخريب نفسك». كانت كاس تبكي من دون أن تُصدرَ صوتًا. أمكنني أن أشعر بدموعها. يرقد الشعر الطويل بجانبي مثل علَم الموت. استمتعنا ومارسنا الحبّ ببطء وحزن وكان رائعًا. نهضت كاس في الصباح وأعدّت وجبة الإفطار. بدت هادئة وسعيدة. كانت تغنّي. بقيتُ أنا في السرير واستمتعتُ بسعادتها. أخيرًا حضرت وهزّتني: «انهض، ايها الوغد! رشّ ماء على وجهك وأنفك وتعالَ استمتع بالوجبة!»

اصطحبتها إلى الشاطئ في ذلك النهار. كان نهار أحد أيام الأسبوع ولم يحن الصيف بعد، لذا كان الشاطئ مهجورًا على نحو رائع. رقدَ المتسكّعون الّذين يرتدون الأسمال على الشاطئ، على العشب فوق الرمال. جلس آخرون على مقاعد حجرية وقد تقاسموا قارورة واحدة. حلّقت النوارس عاليًا، بطيشٍ وحَيرةٍ. نساء مسنّات في السبعين والثمانين من العمر جلسنَ على المقاعد يناقشن مسألة بيع العقارات التي خلّفها منذ زمن أزواجهنّ الّذين قتلهم دربُ البقاء وحماقته.

مع ذلك كله، سادت حالة من الوئام في الجوّ، وتمشّينا وتمدّدنا فوق العشب ولم نتحدث كثيرًا. ببساطة، كان الإحساس رائعًا أن يكون كلٌّ منّا بصحبة الآخر. اشتريتُ بعض السندويشات، وشرائح البطاطا والمشروبات وجلسنا على العشب وتناولنا الطعام. ثمّ أمسكتُ بكاس ونمنا معًا نحو الساعة. بشكل ما كان الأمر أفضل حالًا من ممارسة الحبّ. كنا منسجمين بلا توتّر. عندما أفقنا عدنا إلى شقّتي وقمتُ أنا بإعداد الوجبة. بعد أن تناولنا غداءنا اقترحتُ على كاس أن نقيم معًا. انتظرت وقتًا طويلًا، وهي تحدّق فيّ، ثمّ قالت ببطء: «لا». أعدتها إلى الحانة، أحضرت لها مشروبًا وغادرت المكان. وجدتُ عملًا كحارِس موقف في أحد المصانع في اليوم التالي، وذهبتُ إلى العمل بقيّة الأسبوع. كنتُ متعبًا على الخروج كثيرًا، لكنّي في ليلة الجمعة تلك، ذهبتُ إلى حانة ويست إند. جلستُ وانتظرت كاس. مضت ساعات طويلة. بعد أن ثملت تمامًا، قال لي السّاقي، «آسف بشأن ما حصل لصديقتك».

«ماذا حصل؟»

«أنا آسف، ألم تعرف؟»

«لا».

«انتحرت. دفنوها البارحة».

«دفنوها؟» سألته. كان يبدو لي وكأنّها ستدخل من الباب الأمامي في أيّ لحظة. كيف لها أن ترحل؟

«دفنتها أخواتها».

«انتحرت؟ اشرح لي كيف حصل ذلك لو سمحت؟»

«حزّت عنقها».

«فهمت. ناوِلني مشروبًا آخر».

شربتُ حتّى حانت ساعة الإغلاق. كانت كاس الأجمل من بين أخواتها الخمس، أجمل نساء المدينة. تمكّنت من الوصول إلى شقّتي ورحت أفكّر، كان يجب أن أصرّ على أن تبقى معي بدلًا من الخضوع لإصرارها بألّا تبقى. كلّ شيء فيها كان يقول إنّي كنت أعني شيئًا لها. لكنّي ببساطة كنت ارتجاليًا أكثر من اللازم، كسولًا، ولا مباليًا أكثر من اللازم. كنتُ جديرًا بالموت، وكنتُ جديرًا بموتها. كنتُ كلبًا. كلا، ولم لوم الكلاب؟ نهضتُ ووجدت قارورة نبيذ وارتشفتُ منها رشفات طويلة. ماتت كاس، أجمل نساء المدينة، وهي في العشرين من عمرها.

كان أحدهم يزمر ببوق السيارة في الخارج. زمر بصوت عالٍ وبإصرار. وضعت القارورة جانبًا وصرخت: **«اللعنة عليك، يا ابن القحبة، توقّف!»**

حلّ الليل، ولم أستطع أن أفعل شيئًا في الأمر.

كيد ستاردست في المسلخ

كان حظّي يتراجع من جديد، وكنتُ عصبيًا في تلك الفترة من فرط شرب النبيذ، كليل العينين، وضعيفًا، ومحبطًا على إيجاد العمل المؤقت المعتاد كموظّف إرساليّات أو كعامل مخزن، لذلك ذهبتُ إلى مصنع لتغليف اللحوم ودلفتُ إلى المكتب.

«ألم أرك من قبل؟» سألني الرّجل.

«كلّا»، كذبتُ.

كنتُ هناك قبل عامين أو ثلاثة، اجتزت جميع أوراق العمل، والفحوصات الطبية وغيرها، وقادوني عبر الدرج، أربعة طوابق إلى الأسفل. كان الجوّ يتوغل في البرودة أكثر فأكثر، والأرضية مغطاة بلمعة دم، أرضيات خضراء، حيطان خضراء. شرحوا لي ماهية عملي- والذي تلخّص في الضّغط على زر يتلوه صوتٌ عبر هذا الثقب الموجود في الحائط، يشبه هجوم لاعبي الفوتبول، أو سقوط الفيلة أرضًا، ثمّ اتّضحت لي المسألة- ثمة شيء ما ميّت، الكثير منه، ينزف دمًا، وقد أراني كيف نمسكه ونلقي به في الشاحنة ثم نضغط على الزر فيصلُ آخر، ثم غادر. عندما اختفى خلعتُ سترتي، وخوذتي، وجزمتي (التي كانت أصغر من مقاس قدمي بثلاث درجات)، صعدت الدرج وخرجتُ مباشرة. عدت الآن، إلى الوضع المزري من جديد.

تبدو كبيرًا في السنّ على هذا العمل.

«أريد أن أصلبَ. أنا بحاجة إلى عمل صعب. عمل صعب وجيّد»، قلتُ كاذبًا.

«هل يمكنك أن تصمد؟»

«لستُ إلا رجلًا شجاعًا. كنت ملاكمًا ذات مرة. نازلتُ أفضل الملاكمين».

«حقًا؟»

«نعم».

«امم، أستطيع أن أرى ذلك في وجهك. لا شكّ أنّه كانت لك جولات عنيفة».

«دعك من وجهي. كنت أملكُ يدين سريعتين، وما زلت. كان عليّ أن أتلقّى بضع لكمات، وأن أتظاهر بأنّها بدت جيّدة».

«أنا أتابع الملاكمة. لا أذكر اسمك».

«لاكمتُ باسم مستعار، كيد سترادست».

«كيد سترادست؟ لا أذكر اسمًا كهذا».

«لاكمتُ في جنوب أمريكا، وفي أفريقيا، وفي أوروبا، وفي الجزر. لاكمتُ في المدن الصغيرة. لهذا السبب تظهر كل هذه الثغرات في سجلّات مهنتي- لا أحبّ أن أدوّن كلمة ملاكم لأن الناس يظنون أنّي أغشهم أو أكذب عليهم. أترك الخانة شاغرة، واللعنة على كلّ شيء».

«حسنًا، أحضر فحوصاتك الطبيّة غدًا في ٩:٣٠ صباحًا، وسنعطيك عملًا. تقول إنّك تريد عملًا صعبًا؟»

«حسنًا، إن كان لديك شيء آخر...».

«لا، الآن لا يوجد. تعرف، أنت تبدو في الخمسين تقريبًا.

أتساءل إن كنت أفعل الصّواب؟ لا نحبّ أن يضيّع أشخاص مثلك وقتنا».

«أنا لستُ «أشخاصًا»- أنا كيد سترادست».

«أوكي يا كيد»، ضحك، «سنعطيك عملًا!»

لم ترق لي الطريقة التي قال بها ذلك.

بعد يومين، اجتزت البوابة نحو كوخ خشبي حيث أظهرتُ لرجل عجوز بطاقة عليها اسمي: هنري تشارلز بوكوفسكي جونيور، فأرسلني إلى رصيف التحميل - كان عليّ أن أتوجّه إلى ثورمان. توجّهت إلى هناك. رأيتُ سربًا من الرجال يجلسون على مقعد خشبي وينظرون صوبي وكأني مثليّ الجنس أو معتوه. حدجتهم بنظرة اجتهدتُ أن يكون فيها شيءٌ من الازدراء، وقلت بلغة الشارع التي تميّزني:

«أين ثورمان؟ من المفترض أن أقابل الرجل».

أشار أحدهم بإصبعه.

«ثورمان؟»

«نعم؟»

«أنا أعمل لديك».

«حقًا؟»

«حقًا».

تأملني.

«أين جزمتك؟»

قلت: «جزمة؟ لا أملك واحدة».

مدّ يده تحت المقعد وقدّم لي زوجًا.

كان زوجًا قديمًا ومتينًا. انتعلتهما. القصة القديمة ذاتها: أصغر بثلاثة مقاسات. انسحقت أصابع قدميّ وانثنت داخلهما.

ثم أعطاني سترة ملطخة بالدم، وخوذة. وقفت هناك في حين أشعل هو سيجارة، أو كما يقول الإنجليزي: بينما كان يشعل سيجارته. ألقى بعود الكبريت بعيدًا بحركة رزينة ورجولية.

هيا.

كانوا جميعًا من الزنوج، وعندما سرت نحوهم نظروا إليَّ كما لو كانوا من السّود المسلمين. كان طولي يعادل ٦ أقدام تقريبًا، لكنهم كانوا جميعًا أطول مني، وإن لم يكونوا أطول، فكانوا أعرض أضعافًا.

«تشارلي!» صرخ ثورمان.

تشارلي، فكّرت. تشارلي، مثلي تمامًا. هذا لطيف.

كنت أتعرق من تحت الخوذة.

«أعطه عملًا!»

يا إلهي، أوه، يا إلهي، ماذا حدث لليالي الحلوة السهلة؟ لماذا لا يحدث هذا لوولتر وينتشل[١] الذي يؤمن بالحلم الأمريكي؟ ألم أكن أحد ألمع الطلبة في الأنثروبولوجيا؟ ما الّذي حدث؟

اصطحبني تشارلي معه، وأوقفني أمام شاحنة فارغة بطول نصف شارع، كانت تقف عند الرصيف.

«انتظر هنا».

ثم حضر بعض المسلمين السود راكضين، بعرباتٍ ملونة باللون الأبيض الملطّخ والبلوري، مثل الأبيض المخلوط بروث الدجاج.

---

(١) صحفيّ أمريكيّ ومقدم برامج.

كانت كل عربة محمّلة بأكوامٍ من لحم الخنزير الذي طفا بالدم قليل الكثافة السّائلة. لا، لم يطفُ بالدم، بل تربّع فيه، مثل الرصاص، مثل المدافع، مثل الموت.

قفز أحد الفتية داخل الشاحنة من خلفي، وبدأ الآخر بإلقاء شرائح لحم الخنزير صوبي وأنا بدوري أمسكت بها وألقيت بها صوب الرجل من خلفي، الذي استدار وألقى بلحم الخنزير في الجزء الخلفي من الشاحنة. وصلت شرائح لحم الخنزير بسرعة حيث كانت ثقيلة، وصارت أكثر ثقلًا. لحظة كنت ألقي بشريحة واحدة وأستدير، كانت شريحة أخرى في طريقها إليّ عبر الهواء. عرفتُ أنهم كانوا يحاولون كسري. سرعان ما تصبّبتُ عرقًا كما لو فُتحت كلّ الصّنابير، وآلمني ظهري، ورسغاي، وذراعاي. كل شيء آلمني ووصلت إلى آخر رمق مستحيل مما تبقّى من طاقة. لم أكد أتمكن من الرؤية، لم أكد أستجمع نفسي للقبض على شريحة لحم الخنزير أخرى والقذف بها، ومعاودة الكرّة. كنت مسربلًا بالدم، وبقيتُ أتسلّم اللحم الثقيل الناعم بكلتا يديّ. كان لحم الخنزير يشبه مؤخرة المرأة، وأنا أضعف من أن أروي، مهلًا، **اللعنة**، ما مشكلتكم يا رفاق؟ الشرائح تتطاير وأنا أدور، مسمرًا، مثل رجل على الصليب يعتمر خوذة، فيما هم يواصلون إحضار العربات الممتلئة بلحم الخنزير، وفي النهاية تفرغ جميعها، وأنا أقف هناك، أتمايل وأتنفس الضّوء الكهربائي الأصفر. كانت ليلة جهنمية. حسنًا، أحببت العمل الليلي دائمًا.

«هيّا تعال!»

أخذوني إلى غرفة أخرى. تدلّى نصف عجلٍ في الهواء عبر مدخل كبير في أعلى الجدار، ربّما يكون عجلًا كاملًا، عندما أفكر

في الأمر، كانت عجولًا كاملة. كانت الأرجل الأربع، وقد خرج أحد العجول من الثقب معلّقًا في كلّاب، بعد أن قُتل تمامًا، وقد انتصب مباشرةً أمامي. كان مثبّتًا في الكلّاب أمامي. لقد قتلوه للتو، فكّرت، لقد قتلوا هذا الشيء اللعين. كيف يمكنهم أن يميزوا بين رجل وعجل؟ كيف لي أن أعرف أنني لست عجلًا؟

«حسنًا، الآن دحرجه!»

«أدحرجه؟»

«نعم بالضبط - راقصه!»

«ماذا؟»

«يا إلهي! جورج تعال إلى هنا!»

نزل جورج تحت العجل الميّت. أمسك به. **واحد**. ركض إلى الأمام. **اثنان**. ركض إلى الوراء. **ثلاثة**. ركض إلى الامام. كان العجل موازيًا للأرض تقريبًا. ضغط أحدهم على الزر فاستلم العجل. صارَ الآن عنده وفي الطريق إلى أسواق اللحوم في أرجاء العالم. في الطريق إلى ربّات البيوت النمّامات، العصبيات المطمئنات في العالَم في الثانية عشرة ظهرًا وهنّ يرتدين مآزرهن، يدخّنّ السجائر الملطّخة بالأحمر ولا يشعرن بشيء تقريبًا.

وضعوني أمام العجل التالي.

واحد.

اثنان.

ثلاثة.

استلمته. عظامه الميتة أمام عظامي الحيّة، لحمه الميت أمام لحمي الحيّ، فُصل العظم عن اللحم. فكرتُ في مسرحيات فاغنر

الموسيقية، فكرت في البيرة الباردة، فكرت في الجميلة الجذابة وهي تجلس قبالتي على الأريكة وسيقانها مرفوعة عاليًا فيما أنا أمسك المشروب بيدي وأشق طريقي بروية وثبات نحو الروح المغلقة لجسدها. صاح تشالي «**علّقه في الشّاحنة!**».

سرت صوب الشاحنة. من عار الهزيمة التي تعلّمتها في باحات المدارس الأمريكية في صباي، كنت أعرف أنّه يتوجّب عليّ ألّا أُسقط العجل على الأرض لأن هذا من شأنه أن يؤكد أني جبان وأني لست رجلًا ولهذا لا أستحق شيئًا، سوى الازدراء والسخرية والضرب. عليك أن تكون المنتصر في أمريكا، لم يكن هناك من حلّ آخر، وكان يجب أن تتعلم القتال من أجل لا شيء. لا تطرح أسئلة، عدا أنّي لو أوقعتُ العجل سأضطر إلى رفعه، وسوف يتسخ. لا أريده أن يتسخ، أو بالأحرى هم لا يريدون ذلك.

سحبته نحو الشاحنة.

علّقه!

كان الكلّاب الذي تدلّى من السقف باهتًا كإبهام بلا ظفر. يجب أن تجعل الجزء السفلي من العجل ينزلق إلى الخلف ثم تمسك بالجزء العلوي، وتثبّت الكلاب داخله مرارًا. ولكن الكلّاب لم يثبت. **اللعنة على أمه!** كان العجل عبارة عن غضروف ودهون صلبة، صلبة..

هيا! هيا!

بذلت أقصى مجهودي حتى ثبت الكلّاب، كان المنظر رائعًا، معجزة، أن يمرّ الكلاب في اللحم، أن ينزل العجل المعلّق هناك عن كتفي، معلّقًا في طريقه إلى ربّات البيوت ونميمة دكاكين الجزارين.

هيا تقدّم!

دخل زنجيّ يزن ٢٨٥ باوندًا، وقح، حادّ، بارد، قاتل، وعلّق اللحم على عجَلٍ، ونظر إليّ.

لا نخرج هنا عن الخط!

حسنا، أيّها القائد.

مشيت أمامه. كان عجل آخر في انتظاري. في كل مرة حملت فيها عجلًا كنت على يقين من أنه الأخير الذي سأنجح في تحميله، ولكني قلت لنفسي طوال الوقت:

واحد آخر

واحد فقط

ثم أستقيل.

اللعنة عليهم.

كانوا ينتظرون استقالتي. أمكنني أن أقرأ عيونهم، وابتساماتهم وهم يظنون أني لم أكن أنظر. لم أرغب في أن أمكّنهم من الإحساس بالنّصر. ذهبت لأحمل عجلًا آخر. جولة أخرى أخيرة للّاعب البطل المرهق، توجهت صوب اللحوم.

مرت ساعتان وصاح أحدهم: «**استراحة**».

نجحت. ١٠ دقائق من الراحة، بعض القهوة، لم ينجحوا في إرغامي على الاستقالة. تبعتهم متجهًا صوب عربة الطعام التي أحضروها. رأيتُ البخار يتصاعد ليلًا من القهوة؛ رأيتُ الكعك المحلّى والسجائر والكعك بنكهة القهوة والسندويشات تحت الأضواء الكهربائيّة.

هيه، أنت!

كان هذا تشارلي، تشارلي كان يحبّني.

«نعم يا تشارلي؟»

قبل أن تأخذ استراحة، ادخل إلى الشاحنة وانقلها إلى رصيف رقم ١٨.

كانت تلك الشاحنة التي حمّلناها، بطول نصف شارع. كان رصيف رقم ١٨ في الطرف الآخر من الساحة.

تمكّنت من فتح الباب والصعود إلى مقصورة السائق. كان فيها مقعد جلدي ناعم وكان مريحًا إلى درجة عرفت أنني لو لم أقاوم النوم لنمتُ على الفور. لم أكن سائق شاحنة. نظرت إلى الأسفل وكان هناك ما يقارب نصف دزينة من مغيرات السرعة، والفرامل، والدواسات، إلخ. أدرت المفتاح وتمكنت من تشغيل المحرك. لعبتُ بالدواسات ومغيرات السرعة حتى بدأت الشاحنة بالتحرّك، ثم قمتُ بنقلها من الساحة إلى رصيف رقم ١٨، وأنا أفكر طوال الوقت بأنّه حتى عودتي لن تكون عربة الغداء هناك. كانت هذه مأساة حقيقية بالنسبة إليّ. أوقفتُ الشاحنة، أطفأت المحرّك وجلست هناك لحظة، وأنا أشعر بنعومة المقعد الجلدي. ثم فتحت الباب وخرجت. أغفلتُ إحدى الدرجات، أو ما كان من المفروض أن يكون هناك، وسقطت على الأرض بسترتي الملطخة بالدم وخوذتي، مثل رجل أطلقوا عليه النار. لم أشعر بالألم. لم أشعر بشيء. نهضت في الوقت المناسب تمامًا لأرى عربة الغداء وهي تغادر عبر البوابة إلى أسفل الشارع. رأيتهم يسيرون عائدين مرة أخرى باتجاه الرصيف ويضحكون ويشعلون السجائر.

خلعت جزمتي، وسترتي، وخوذتي، وتوجهت صوب الكوخ عند مدخل الساحة. رميت السترة، والخوذة على المنضدة. نظر إلي الرجل العجوز:

«ماذا؟ هل تستقيل من هذا العمل الجيد؟»

قل لهم أن يرسلوا إلي عبر البريد حوالة بقيمة ساعتين من العمل، أو قل لهم أن يقبّلوا مؤخرتي، لا آبه!

خرجت. مشيت على طول الشارع متجهًا صوبَ حانة مكسيكية، وشربت البيرة ثم صعدت الحافلة عائدًا إلى شقتي. كانت ساحة الألعاب الأمريكية قد هزمتني مرة أخرى.

الحياة في أحد مواخير تكساس

نزلتُ من الحافلة في مكان ما في تكساس، كان الطقس باردًا وكنتُ أعاني من الإمساك، لا يمكنني أن أعرف. كانت غرفة كبيرة جدًا، ونظيفة، بـ ٥ دولارات في الأسبوع فقط، وكان فيها موقد. عندما خلعتُ ملابسي، اقتحم رجل عجوز أسود الغرفة، وبدأ يحرّك الجمر بمسعره. لم يكن ثمّة خشب في الموقد، وتساءلت ماذا كان يحرّك مسعره في الداخل. ثم نظر إليّ، وأمسك قضيبه وأطلق صوتًا على نحو «إززززززززززز، إززززز!». فكّرت، ماذا بعد، لقد ظنّ أني غوغائيّ، وبما أنّي لم أكن كذلك، لم أستطع مساعدته. حسنًا، فكرت، هكذا هو العالم. حرّك بمسعره عدة مرات، ثم غادر الغرفة.

بعدها أويت إلى الفراش. السفر في الحافلة دائمًا يسبّب لي إمساكًا، وأرقًا أعاني منه على الدوام.

على أيّ حال، خرج الرجل الأسود مع مسعره، وتمددتُ على السرير وفكّرتُ، حسنًا، لعلّي أنّجح في التغوط في غضون أيام.

فُتح الباب من جديد وهذه المرّة دخل مخلوق مُمتع، كانت أنثى، وانحنت على ركبتيها وبدأت تنظف الأثاث، فيما مؤخرتها تتحرك وتتحرك وهي تنظف الأثاث.

«ما رأيك في فتاة لطيفة؟» سألتني.

«لا. أنا مرهق جدًا. للتو نزلت من الحافلة. كل ما أريده هو أن أخلد للنوم».

«مؤخرة جيدة ستساعدك على النوم. والمسألة تكلف ٥ دولارات فقط».

«أنا مرهق جدًا».

«إنها فتاة لطيفة ونظيفة».

«أين هي؟»

«أنا الفتاة».

وقفت واتجهت صوبي.

«آسف. أنا مرهق للغاية، بصدق».

«بدولارين فقط».

«لا، أنا آسف».

خرجت. بعد دقائق، سمعتُ صوت رجل.

«اسمعي، هل تريدين أن تقولي لي إنك لم تنجحي في بيعه أيّ مؤخرة؟ قدّمنا أفضل غرفة لدينا لقاء ٥ دولارات فقط. أتريدين أن تقولي لي إنك لم تنجحي في بيعه أي مؤخرة؟»

«برونو، أنا متعبة! أقسم باليسوع، يا برونو، أني متعبة».

«قحبة قذرة!»

عرفتُ الصوت. لم تكن صفعة. غالبية القوّادين يخافون من إحداث تورّمات في الوجه. يصفعون على الخد، تحت الفكّ، ويحرصون على تفادي العينين والفم. مؤكد أن برونو قد سيطَر على مجموعة كبيرة. كان الصوت بلا أدنى شك لكمات في الرأس. صرخَت وارتطمت بالحائط. بين اللكمات والحائط ارتدّت وصرَخت فيما أنا أتمدد على السرير وأفكر، حسنًا، الحياة تبدو مثيرة أحيانًا،

لكنني لا أريد تمامًا أن أسمع كل هذا. لو كنت أعرف ما سيحدث لكنت أسديت لها معروفًا.

ثم نمت.

نهضت في الصباح، ارتديت ملابسي. ارتديت ملابسي بطبيعة الحال. لكنني كنت ما زلت أعاني من الإمساك. ثم خرجت إلى الشارع وبدأت أبحث عن استديوهات تصوير. دخلت أول استوديو رأيته.

«نعم سيدي؟ هل ترغب في التقاط صورة؟»

كانت حمراء الشعراء جميلة وابتسمت لي.

«بوجه مثل وجهي، لماذا أرغب في التقاط صورة؟ أنا أبحث عن غلوريا وستهافن».

«أنا غلوريا وستهافن»، قالت، ورفعت ساقًا فوق ساق وشدّت قميصها نحو الخلف. ظننتُ أنه على الإنسان أن يموت كي يصعد إلى السّماء.

«ما حكايتك؟» سألتها. «أنت لست غلوريا وستهافن. التقيتُ بغلوريا وستهافن في الحافلة في الطريق من لوس أنجلوس».

«ما بها؟»

«حسنًا، سمعتُ أن أمّها تملكُ استوديو تصوير. أحاول أن أعثر عليها، حدث شيء ما في الحافلة».

«أنت تقصد لم يحدث شيء في الحافلة».

«التقيت بها. عندما نزلَت، ذرفت الدموع من عينيها. سافرتُ كلّ الطريق إلى نيو أورليانز ثم ركبت الحافلة عائدًا. لم تبكِ امرأة من أجلي حتى ذلك الوقت».

«لعلّها بكت لسبب آخر».

«وأنا حسبتُ ذلك إلى أن بدأ جميع الركاب بشتمي».
«وكل ما تعرفه هو أنّ أمّها تملك استوديو تصوير؟»
«هذا كلّ ما أعرفه».
«حسنًا، اسمع، أنا أعرف محرر أكبر صحيفة في هذه المدينة».
«لست متفاجئًا»، قلتُ وتأملتُ ساقَيها.
«حسنًا، اترك لي اسمك وعنوانك. سأتّصل به لكننا قد نضطرّ إلى تغيير الأحداث. التقيتما في الطائرة، هل تفهم؟ حبّ في السّحاب. الآن انفصلتما وفقدتما الواحد الآخر، هل تفهم؟ وسافرت كلّ الطريق عائدًا من نيو أورليانز، وكل ما تعرفه هو أن أمها تملك استوديو تصوير. هل فهمت؟ سننشر القصة في عمود م---- ك--- في صحيفة صباح الغد. اتفقنا؟»
«اتفقنا»، قلت. نظرتُ نظرة أخيرة إلى تينكَ الساقين وخرجت وهي تطلب الرقم. ها أنا في ثاني أو ثالث اكبر مدينة بعد تكساس، والمدينة في جيبي. توجهت مباشرة إلى أقرب حانة. . .
كان المكان هادئًا ومكتظًا نسبيًا في هذه الساعة من النهار. جلست على المقعد الفارغ الوحيد. حسنًا، لا، كان هناك مقعدان فارغان وكان أحدهما بجانب شخص ضخم. كان في الخامسة والعشرين من العمر تقريبًا، طوله ٦,٤ أقدام، ووزنه ٢٧٠ باوندًا على الأقل. جلست على أحد المقاعد وطلبت البيرة. أفرغتُ البيرة، وطلبتُ أخرى.
«هذا الشرب من النوع الذي أحبّه»، قال الشخص الضخم. «هؤلاء الرعاع هنا، يأتون ليجلسوا ويلهوا بالبيرة لساعات. أحب سلوكك، أيها الغريب. ماذا تفعل ومن أين أنت؟»
قلت: «لا أفعل شيئًا، وأنا من كاليفورنيا».

«هل لديك أفكار؟»

«لا. لا أفكار. أتسكع فقط».

شربتُ نصف بيرتي الثانية.

قال الشخص الضّخم: «أنت تعجبني، أيها الغريب، لذا سأكشف لك سرًا. لكني سأرويه لك بهدوء، ذلك لأنه رغم أني شخص ضخم، أخشى أننا أقلية».

قلت: «هيا»، وأنهيت بيرتي الثانية.

مال الشخص الضخم نحو أذني: «أهالي تكساس مقرفون» قال هامسًا.

نظرت حولي، وأومأتُ برأسي مصادقًا في هدوء.

عندما أنتهى من التلويح بلكمته، كنتُ تحت إحدى الطاولات التي قدمت لها النادلة الخدمة ليلًا. زحفت باتجاه الخارج، مسحت فمي بمنديل، نظرت إلى جميع من كانوا في البار وهم يضحكون، وخرجت...

عندما رجعتُ إلى الفندق لم أتمكن من الدخول. كانت هناك صحيفة تحت الباب وكان الباب مشقوقًا.

«هيه، أدخلوني»، قلت.

«من أنت؟» سأل الرجل.

«أنا نزيل الغرفة ١٠٢. دفعت أجرة أسبوع مسبقًا. اسمي بوكوفسكي».

«أنت لا ترتدي جزمة، صحيح؟»

«جزمة؟ ماذا تقصد؟»

«ماركة رينجر».

«رينجر؟ ما هذا؟»

قال: «هيا ادخل».

لم تمضِ عشر دقائق على دخولي الغرفة، ووجدتُ نفسي في السرير تحيط بي شبكة. كان السرير بأكمله - وقد كان سريرًا كبيرًا له ما يشبه السقف - محاطًا بهذه الشبكة. سحبتها ورقدتُ والشبكة تحيط بي. هذا الأمر أعطاني الإحساس وكأنّي كنتُ مثليَّ الجنس، ولكن بالطريقة التي سارت فيها الأمور، لم يكن مهمًا إذا شعرتُ بأنّي مثليّ أو شيء آخر. وكأنّ هذا لم يكن سيّئًا ما يكفي، حتّى سمعتُ حركة مفتاح في الباب، وفُتح الباب. هذه المرة كانت زنجية قصيرة القامة وممتلئة ذات وجه لطيف إلى حد ما، ومؤخرة ضخمة جدًا.

ها هي هذه الفتاة الزنجية الكبيرة واللطيفة تشدّ شبكتي إلى الخلف وتقول، «يا حلو، حان وقت تبديل الملاءات».

قلت، «لكني وصلت بالأمس فقط».

«يا حلو، نحن لا نبدّل الملاءات وفق برنامجك. لذا أخرج مؤخرتك الصغيرة والوردية من هناك ودعني أنهي عملي».

قلت: «أها، وقفزت من السرير عاريًا تمامًا. وهذا لم يُثِرها».

قالت لي: «لديك هنا سرير كبير ولطيف، يا حلو، لقد حصلت على أفضل غرفة وأفضل سرير في الفندق».

«يبدو أني محظوظ».

فرشت تلك الملاءات، وعرضت مؤخرتها أمامي. عرضت كل المؤخرة ثم استدارت وقالت: «حسنًا، يا حلو، ملاءاتك جاهزة. هل تريد شيئًا آخر؟»

«نعم، لا ضير في ١٢ أو ١٥ لترًا من البيرة».

«سأحضر لك البيرة. عليك أن تناولني النقود أولًا».

ناولتها النقود وقلت في نفسي، حسنًا، فليكن. سحبتُ الشبكة

من حولي كالمثليّ، وقررتُ أن أقضي الوقت في النوم. لكن الخادمة الزنجيّة الضخمة عادت وشدّت الشبكة إلى الخلف، وجلسنا هناك نتبادل الحديث ونرتشف البيرة.

قلت: «حدّثيني عنكِ».

ضحكت وحدّثتني. طبعًا، لم تكن حياتها سهلة. لا أدري كم من الوقت أمضينا في الشرب. في نهاية المطاف، اعتلت السرير ومارستُ إحدى أفضل مضاجعاتي على الإطلاق...

نهضتُ في اليوم التالي وسرتُ على طول الشارع، اشتريتُ صحيفة ورأيتُ القصّة منشورة في الزاوية الشهيرة. ذَكروا اسمي. تشارلز بوكوفسكي. كاتب، صحافيّ، رحّالة. التقينا فوق السحاب، أنا والسيّدة الرائعة. حطّت هي في تكساس، بينما واصلت أنا طريقي إلى نيو أورليانز في مهمة صحافية. لكنني عدت أدراجي، وكنت أفكّر في السيّدة الرائعة. الشيء الوحيد الذي أعرفه أنّ أمها صاحبة استوديو تصوير.

عدتُ إلى الفندق، شربتُ باينت ويسكي و- ٥ أو ٦ لترات من البيرة، وأخيرًا **تغوّطت** - يا له من فعل ممتع! كان من الممكن الكتابة عنه في العمود.

عدتُ إلى الشبكة من جديد. ثمّ رنّ الهاتف. كان ذلك الخط الداخلي للفندق. رفعت السماعة.

«لديك اتصال يا سيد بوكوفسكي، من محرر صحيفة ---- ------. هل ترغب في الرّد؟»

قلت: «حسنا، مرحبًا».

«أنت تشارلز بوكوفسكي؟»

«نعم».

«ماذا تفعل في مكان كهذا؟»

«ماذا تقصد؟ وجدتُ النّاس هنا لطفاء جدًا».

«هذا أسوأ ماخور في المدينة. نحاول التخلّص منه منذ ١٥ عامًا. ما الّذي جعلك تذهب تحديدًا إلى هناك؟»

«كان الطقس باردًا. ببساطة دخلتُ أول مكانٍ رأيته. وصلت بالحافلة وكان الطقس باردًا».

«وصلت بالطائرة. هل تذكر؟»

«أذكر».

«حسنًا. لدي عنوان مسكن السيّدة. هل تريده؟»

«حسنًا، إذا كنتَ لا تمانع. إذا كنت تتحفّظ، انس الأمر».

«أنا فقط لا أفهم ما الذي تفعله في مكان كهذا».

«حسنًا، أنت محرر أكبر صحيفة في المدينة وتحادثني هاتفيًا فيما أنا في ماخور في تكساس. الآن، اسمع، دعنا ننسى الأمر. السيّدة كانت تبكي أو ما شابه؛ فَعلِق الأمر في رأسي. ببساطة سأركب أوّل حافلة تغادر هذه المدينة».

«انتظر!»

«أنتظر ماذا؟»

«سأعطيك عنوانها. لقد قرأت العمود. فهمَت ما بين السطور. هاتفتني. تريد أن تلتقي بك. لم أبلغها أين تسكن. نحن أشخاصٌ مضيافون هنا في تكساس».

«نعم، كنت في إحدى حاناتكم البارحة. اكتشفت ذلك».

«هل تشرب أيضًا؟»

«كلا لا أشرب. أنا سكّير».

«لا أعتقد أنّه عليّ أن أعطيك عنوان السيّدة».

«إذًا انسَ كلّ المسألة اللعينة»، قلت وأقفلتُ السماعة...

رنّ الهاتف من جديد.

«لديك اتّصال يا سيّد بوكوفسكي، من محرر ---- ----».

«ضعيه على الخط».

«اسمع يا سيّد بوكوفسكي، نحتاج إلى تتمّة للقصة. أشخاص عديدون مهتمون بالموضوع».

«قل لكاتب العمود أن يستخدم خياله».

«اسمع، هل تمانع لو سألتك ماذا تفعل لكسب رزقك؟»

«لا أفعل شيئًا».

«فقط تسافر في الحافلات وتجعل الفتيات يبكين؟»

«لا يستطيع أي شخص القيام بذلك».

«اسمع، سأجازف. سأعطيك العنوان. اذهب إليها وقابلها».

«لعلّي أنا من يجازف».

أعطاني العنوان. «هل تريد أن أقول لك كيف تصل إلى هناك؟»

«لا يهم. إذا كان بوسعي أن أجد ماخورًا، بوسعي أن أجد بيتها».

قال: «فيك شيء لا يروق لي».

«انس الأمر. إذا كانت مؤخرتها جيّدة، سأتّصل بك».

أقفلتُ السماعة...

كان بيتًا صغيرًا ودافئًا. فتحت البابَ سيدةٌ عجوز.

قلت لها: «أبحث عن تشارلز بوكوفسكي. لا عفوًا. أبحث عن غلوريا وستهافن».

قالت: «أنا والدتها، أنت رجل الطائرة؟»

«أنا رجل الحافلة».

«قرأت غلوريا العمود. عرفت على الفَور أنّك أنت الشخص».

«حسنًا. ماذا نفعل الآن؟»

«ادخل».

دخلت.

«غلوريا»، نادت العجوز بصوت عالٍ.

نزلت غلوريا. كانت لا تزال بمظهر جيّد. امرأة أخرى من نساء تكساس الحمراوات الصحيّات.

قالت: «رجاء ادخل هنا. بعد إذنك يا أمي».

قادتني إلى غرفة نومها لكنها أبقت الباب مفتوحًا. جلسنا، ومسافة تفصلُ بيننا.

«ماذا تفعل؟» سألت.

«أنا كاتب».

«أوه، لطيف! أينَ نشرت كتبك؟»

«كتبي لم تُنشر».

«إذن، عمليًا أنت لست كاتبًا».

«صحيح. وأسكن في ماخور».

«ماذا؟»

قلت: «أنت محقّة، أنا لست كاتبًا حقًا».

«لا، قصدت القسم الثاني».

«أسكن في ماخور».

«هل تسكن في ماخور على الدوام؟»

«لا».

«كيف لم تخدم في الجيش؟»

«لم أجتز الفحوصات النفسيّة».

«أنت تمزح».

«يسعدني أني لا أمزح».

«ألا تريد أن تحارب؟»

«لا»

«لقد قصفوا بيرل هاربر».

«سمعت».

«ألا تريد أن تحارب ضدّ أدولف هتلر؟»

«ليس تمامًا. الأفضل أن يفعلها شخص غيري».

«أنت جبان».

«نعم، أنا جبان. ولا يعنيني كثيرًا أن أقتل شخصًا، كما أني لا أحب أن أتواجد داخل الخنادق مع رجال كثر يشخرون فيوقظني أحمق شبقيّ بالبوق، ولا أحب أن أرتدي الزي الزيتونيّ المثير للحكّة؛ جلدي حساس جدًا».

«أنا سعيدة أن فيك شيئًا حساسًا».

«وأنا كذلك، لكن خسارة أنه جلدي».

«ربما يجب عليك أن تكتب بجلدك».

«ربما يجب عليك أن تكتبي بفرجك».

«أنت فظ، وجبان. يجب على أحدهم أن يضع حدًا لهذا الغوغائي الفاشي. أنا زوجة ملازم في الأسطول الحربيّ الأمريكيّ ولو كان هنا اللحظة لطَحنك».

«أنا على يقين من ذلك، لكن هذا سيجعلني أكثر فظاظة».

«على الأقل كان سيعلّمك أن تكون سيدًا نبيلًا في حضرة النساء».

«أفترض أنك محقة. لو قتلت موسوليني، هل كنت سأكون سيدًا نبيلًا؟»

«بالطبع».

«سأتجند في الحال».

«هم رفضوك. هل تذكر؟»

«أذكر».

جلسنا هناك مدة طويلة، ولم أقل شيئًا. ثم قلت: «اسمعي، هل تسمحين لي بسؤال؟»

قالت: «اسأل».

«لماذا طلبتِ مني أن أنزل معك من الحافلة؟ ولماذا بكيت عندما لم أنزل؟»

«حسنًا، السبب هو وجهك. أنت قبيح قليلًا، أنت تعرف».

«نعم أعرف».

«في الواقع أنت قبيح ومأساوي. ببساطة لم أرغب في استبعاد كلمة «مأساوي» هذه. أشفقت عليك، فبكيت. كيف صار وجهك مأساويًا إلى هذا الحد؟»

قلت: «أوه يا إلهي»، ثم نهضت وخرجت.

مشيتُ كل الطريق عائدًا إلى الماخور. عرفني الرجل عند البوابة.

«هيه، يا بطل، من أين هذه الشفة المنتفخة؟»

«الأمر له علاقة بتكساس».

«تكساس؟ كنت مع أم ضد تكساس؟»

«مع تكساس بالطبع».

«أنت تتعلم، يا بطل».

«نعم أعرف».

صعدت الدرج ورفعت السماعة وطلبت من الموظف أن يتصل برقم محرر الصحيفة.

«أنا بوكوفسكي، يا رفيق».

«هل قابلت السيدة؟»

«قابلت السيدة».

«كيف جرت الأمور؟»

«جيد. جيد جدًا. طبعًا مارست الجنس ساعة كاملة. أبلغ صاحب العمود في صحيفتك بذلك».

أقفلت السماعة.

نزلت عبر الدرج وخرجت ووجدت الحانة نفسها. لم يتغير شيء. كان الرجل الضخم ما زال هناك، والمقاعد الخالية عن جانبيه. جلست وطلبت بيرتين. أفرغت الأولى دفعةً واحدة، وشربت نصف الثانية.

قال الرجل الضخم: «أنا أذكرك، ما حكايتك؟»

«جلد. حساس».

سأل: «هل تذكرني؟».

«أذكرك».

«ظننتك لن تعود أبدًا».

«عدت. هيا نلعب اللعبة الصغيرة».

«نحن لا نلعب ألعابًا هنا في تكساس، أيّها الغريب».

«حقا؟»

«أما زلت تعتقد أن أهالي تكساس مقرفون؟»

«بعضهم مقرفون».

من جديد كنت تحت الطاولة. خرجت، وقفت، ورحلت. عدت إلى الماخور.

في اليوم التالي ذكروا في الصحيفة أنّ العلاقة الغرامية انتهت بالفشل. غادرتُ المدينة بالطائرة متوجهًا إلى نيو أورليانز. رزمتُ أغراضي وتوجهت إلى محطة الحافلات. وصلت إلى نيو أورليانز، عثرتُ على غرفة جيدة، وبقيت هناك لبعض الوقت. احتفظت بقصاصات الصحيفة لمدة أسبوعين تقريبًا، ثم رميتها. وأنتم أما كنتم سترمونها؟

ستّة إنشات

كانت الأشهر الثلاثة الأولى من زواجي بسارة مقبولة، إلّا أنّه بعد مضيّ فترة قصيرة، بدأت مشاكلنا. كانت تُجيد الطّبخ، ولأوّل مرة منذ سنوات أكلتُ بشهيّة. ازداد وَزني. وبدأت سارة تُبدي الملاحظات.

«آه يا هنري، أنت تبدو مثل ديك يُسمنونه استعدادًا لعيد الشكر».

قلتُ لها: «فعلًا يا حبيبتي».

عملتُ في الشّحن في مستودع لقطع غيار السيارات وكان الأجر لا يكاد يكفي. وجدتُ مُتعي الوحيدة في الأكل، والشرب، ومطارحة سارة الفراش. لم تكن بالضبط حياةً متنوعة، لكن على الرجل أن يقبل بما هو موجود. سارة كانت امرأة غزيرة. كل شيء فيها كان يشعّ جنسًا. في الواقع، التقيت بها في حفلة الميلاد عند أحد الموظفين في المستودع. كان سارة تعمل سكرتيرة هناك. لاحظت أنّه لم يقترب منها أيّ من الزّملاء في الحفلة ولم أنجح في فهم السبب. لم أرَ في حياتي امرأة بهذه الجاذبية، ولم تبدِ تصرفًا غبيًا أيضًا. دنوتُ منها وتبادلنا الحديث. كانت جميلة. لكن شيئًا غريبًا كان في عينيها. فقد كانت تتأمّلني بهما طوال الوقت، ولم

ترمش للحظة. عندما غادرَت إلى الحمّام توجّهتُ إلى هاري سائق الشّاحنة.

سألته: «قل لي يا هاري، كيف يُعقل أنّ أحدًا من الزملاء لا يغازل سارة».

«إنها ساحرة يا رجل، ساحرة حقيقية. ابتعد عنها».

«لا وجود للساحرات يا هاري. لقد أثبتوا عدم صحّة هذا الكلام. كان إحراق كلّ النّساء اللاتي شُددن بالوتد في تلك الأيام، خطأً قاسيًا وشنيعًا. لا أساس لوجود الساحرات».

«حسنًا، ربما أحرقوا عددًا هائلًا من النساء من دون وجه حق، لا أدري. لكنّ هذه القحبة ساحرة، ثق بي».

«كل ما تحتاجه، يا هاري، هو التفهّم».

«كل ما تحتاجه هو الضحيّة» قال هاري.

«كيف تعرف ذلك؟»

قال هاري: «الحقائق. اثنان من الزملاء هنا. ميني، رجل مبيعات. ولينكولن، موظّف».

«ما الذي حدث؟»

«ببساطة اختفيا أمام أعيننا، ولكن ببطء - أمكنك أن تراهما وهما يتلاشيان، يختفيان...».

«ماذا تعني؟»

«لا أريد التحدث في الموضوع. ستخالني مجنونًا».

انصرف هاري. ثمّ خرجت سارة من الحمام. بَدت جميلة.

سألتني: «ماذا قال لكَ هاري عني؟»

«كيف عرفت أنّ هاري تحدّث عنك؟»

قالت: «أعرف».

«لم يقل شيئًا كثيرًا».

«أيًا كان ما قاله، انسَ الأمر. كلّ شيء هراء. رفضتُ أن أرضخ لطلباته ولذا يشعر بالغيرة. وهو يحبّ النميمة».

قلت لها: «لا آبه بآراء هاري».

قالت: «سننجح أنت وأنا يا هنري».

حضرت إلى شقتي بعد الحفلة، وأؤكّد لكم، لم أمارس الجنس في حياتي بهذه الطريقة. كان أكثر النساء اللاتي قابلتهنّ في حياتي، أنوثةً. بعدها بنحو شهر تزوّجنا. استقالت من عملها على الفور، لكنني لم أقل شيئًا فقد كنت سعيدًا بأنها ملكي. خاطت سارة الثياب لنفسها، وصفّفت شعرها بنفسها. كانت امرأة استثنائيّة. استثنائيّة جدًا.

لكن كما قلت، بعد مرور ثلاثة أشهر بدأت تبدي ملاحظات حول وَزني. في البداية، كانت مجرد ملاحظات صغيرة ولطيفة، لكنها سرعان ما تحوّلت إلى ملاحظات هازئة. عدتُ في أحد المساءات إلى البيت، فقالت لي: «اخلع ملابسك اللعينة!»

«ماذا يا حبيبتي؟»

«سمعت ما قلت أيها الوغد، اخلع ملابسك!»

بدت سارة مختلفة عن ذي قبل. خلعت ملابسي وسروالي الداخليّ وألقيت بهما إلى الكنبة. حدّقت بي.

قالت: «فظيع، كلّ هذا الخراء!»

«ماذا يا عزيزتي؟»

«قلت إنّك تبدو مثل حوض كبير من الخراء!»

«ما الذي حصل، يا حلوة؟ هل تشعرين بضيقٍ الليلة؟»

«اخرس! انظر إلى السمنة المتدليّة من جانبيك!»

كانت محققة. بدا الأمر وكأنّ أكياسًا صغيرة من الدهون تتدلّى من كلا الجانبين، فوق الوركين تمامًا. ثمّ طوت قبضتَيها ولكمتني بقوة عدة مرات في كلّ كيس.

«علينا أن نلكم هذا الخراء! أن نفتّت أنسجة الدهون، والخلايا...».

لكمتني من جديد، عدة مرات.

«أوه! يا حبيبتي، هذا يؤلمني!»

«جيّدًا الكم نفسك الآن!»

«ألكم نفسي؟»

«هيا، اللعنة عليك!»

لكمتُ نفسي عدة مرات، بقوّة. عندما انتهيت كانت الأكياس لا تزال موجودة، لكنّها صارت حمراء تمامًا.

قالت لي: «سنخلصك من هذا الخراء».

خمّنت أن ذلك كان حبًا وقررتُ أن أتعاون...

بدأت سارة تعدّ سعراتي الحرارية. استبعدت المأكولات المقلية، الخبز، البطاطا، صلصة السلطة، لكني أبقيتُ على البيرة. كان عليَّ أن أريَها من منّا كان الرجل.

قلت: «اللعنة، كلا، لن أتنازل عن بيرتي. أنا أحبك جدًا، لكن البيرة ستبقى!»

قالت سارة: «حسنًا، سنسيّر الأمور في كلّ الأحوال».

«نسيّر ماذا؟»

«أقصد، سنخلّصك من هذا الخراء، ونعيدك إلى حجمك المطلوب».

سألت: «وما هو الحجم المطلوب؟»

«سترى».

مع عودتي كلّ ليلة إلى البيت، طرحَت عليّ السؤال ذاته.

«هل لكمت جانبيك اليوم؟»

«بالطبع!»

«كم مرّة؟»

«٤٠٠ لكمة في كل جانب، لكمات قويّة».

كنت أسير في الشوارع وألكم جانبيّ. نظر الناس إليّ لكنني سرعان ما تجاهلت، لأني عرفت أني أنجز شيئًا ما وأنّهم لا ينجزون.

كانت الأمور تسير، بشكل رائع. انخفض وزني من ٢٢٥ باوندًا إلى ١٩٧. ثم انخفض من ١٩٧ إلى ١٨٤. شعرتُ أني أصغر بعشر سنوات. قال لي الناس إني أبدو بحالة جيدة. جميعهم ما عدا هاري سائق الشاحنة. طبعًا، كان فقط يغار مني، لأنه لم ينجح في إغراء سارة. حظه عاثر.

في إحدى الليالي فحصت وزني وكنت قد وصلت إلى ١٩٧ باوندًا.

قلت لسارة: «ألا تظنين أني نقصت بما فيه الكفاية؟ انظري إلي!»

كانت الأكياس قد اختفت من الجانبين منذ مدة. كان بطني مسطّحًا. بدت وجنتاي كما لو كنتُ أمصّهما نحو الداخل.

قالت سارة: «وفق جداولي، وفق جداولي، لم تصل بعد إلى الحجم المطلوب».

قلت لها: «اسمعي، طولي يعادل ستة أقدام. فما هو الوزن المطلوب؟»

ثمّ أجابتني سارة إجابة غريبة جدًا:

«لم أقل «إلى الوزن المطلوب». قلت «إلى الحجم المطلوب». هذا هو العصر الجديد، العصر الذريّ، وأهمّ من ذلك عصر التزايد السكانيّ. أنا مخلّصة العالم. أمتلك حلًا للانفجار السكّانيّ. انفجار. فلينشغل الآخرون بمسألة التلوّث. حلّ التزايد السّكانيّ هو لبّ الموضوع؛ فهو سيحلّ التلوّث ومسائل أخرى كثيرة».

«عمّ تتحدّثين بحق الجحيم؟» سألتها، وأنا أزيلُ غطاء قنينة البيرة.

قالت: «لا تقلق، ستعرف».

ثمّ بدأتُ ألاحظ، كلّما وزنتُ نفسي، أنّه على الرغم من أنّي كنت ما زلتُ أفقدُ من وزني لم يبدُ عليّ أنّي صرتُ أكثر نحولًا. كان الأمر غريبًا. ثمّ لاحظت أنّ أطراف بنطالي قد تدلّت متجاوزةً حذائي قليلًا، وأن أطراف قميصي تجاوزت معصميّ. عندما قدتُ السيّارة متوجّهًا إلى العمل انتبهتُ إلى أنّ المقود كان بعيدًا عنّي. كان عليّ أن أسحب المقعد إلى الأمام قليلًا.

في إحدى الليالي وزنت نفسي.

١٥٥.

«اسمعي يا سارة».

«نعم يا حبيبي؟»

«ثمّة شيء لا أفهمه».

«ماذا؟»

«يبدو لي أنّي أتقلّص.»

«تتقلّص؟»

«نعم، أتقلّص».

«يا لك من غبيّ! هذا أمر لا يُصدّق! كيف يمكن لرجل أن يتقلّص؟ هل تعتقد فعلًا أن حميتك تقلّص عظامك؟ العظام لا تذوب! تقليل السعرات الحرارية يقلل الدهون فقط. لا تكن أحمق! تتقلّص؟ مستحيل!»

ثم ضحكت.

قلت: «حسنًا، تعالي إلى هنا. إليك قلم رصاص. الآن سأقف قبالة الحائط. والدتي كانت تفعل هذا معي وأنا طفل أتقدم في السن. الآن ضعي خطًا على الحائط حيث يصل قلم الرصاص بعد أن تضعيه مباشرة عند الجزء العلوي من رأسي».

قالت: «حسنًا أيها الغبيّ».

رسمَت الخطّ.

بعد مضيّ أسبوع كان وزني قد نقص ووصلت إلى ١٣١. حدث ذلك بشكل متسارع.

«تعالي إلى هنا يا سارة».

«نعم، أيها الفتى الغبيّ».

«الآن، ارسمي الخط».

رسمت الخط، والتفت أنا إليها.

«لاحظي الآن، لقد فقدت ٢٤ باوندًا و٨ إنشات في الأسبوع الماضي. أنا أذوب! طولي الآن عادل ٥,٢ قدمًا. هذا جنون! جنون! يكفي. لقد أمسكت بك وأنت تقصّين أطراف بنطالي، وأكمام قميصي. لن ينجح الأمر. سأعود إلى تناول الطعام مرة أخرى. أعتقد أنك ساحرة!»

بعد مرور فترة وجيزة دعاني رئيسي في العمل إلى مكتبه.

تسلقت على كرسي في الجانب الآخر من مكتبه.

«هنري ماركسون جونز الثاني؟»

«نعم، يا سيدي».

«حسنًا، يا جونز، كنّا نراقبك بعناية. أخشى فقط ألا تكون مناسبًا لهذا العمل بعد اليوم. نكره أن نراكَ تغادر هكذا... لكن...».

«أكره أن أدعك تغادر هكذا، ولكن...».

«اسمع يا سيّدي، أنا أبذل قصارى جهدي دائمًا».

«ونحن نعلم ذلك يا جونز، ولكنّك لم تعد تقوم بعملك كرجلٍ هناك».

أقالني. بالطبع، كنت أعرف أنني سوف أتلقّى تعويضات الإقالة. ولكنني كنتُ أرى أن إقالتي بهذا الشكل كانت قرارًا سخيفًا من طرفه...

بقيتُ في البيت مع سارة. هذا ما جعل الوضع يزداد سوءًا- أطعمتني. وصل الأمر إلى غاية السّوء، إلى درجة أنّه لم يعد في مقدوري بلوغ باب الثلاجة. ثمّ كبّلتني بسلسلة فضيّة صغيرة.

سرعان ما وصل طولي إلى قدمين. اضطررت إلى استخدام قعادة للتغوّط. لكنها ظلّت تسمح لي بشرب البيرة، كما وعدت.

قالت: «آه، يا حيواني الأليف الصغير، كم أنت صغير ولطيف!»

حتى حياتنا الجنسية وصلت إلى نهايتها. كل شيء ذاب بتناسبية. كنت أتسلّقها وكانت هي بعد فترة من الزمن تنزلني ضاحكة.

«آه، يا بطّتي الصغيرة، لقد حاولتَ!»

«لستُ بطة، أنا رجل!»

«آه، يا رجلي الصغير الحلو!»

حملتني وقبلتني بشفتيها الحمراوين.

أوصلتني سارة إلى ٦ إنشات. جرّتني إلى الدكان وأنا داخل حقيبتها. أمكنني أن أرى الناس من خلال ثقوب الهواء الصغيرة التي أحدثتها في حقيبتها. سأقول شيئًا واحدًا في حق هذه المرأة. لقد ظلّت تسمح لي بشرب البيرة. شربت من كشتبان. كان يكفيني لتر واحد في الشهر. في الأيام الخوالي كنتُ أشرب الكميّة نفسها في غضون ٤٥ دقيقة. رضيتُ بالحكم. كنت أعرف أنها لو أرادت لأخفتني تمامًا. ٦ إنشات أفضل من لا شيء. حتى الحياة الصّغيرة تصبح غالية جدًا عندما يقترب الأجل. لذلك، قمتُ بإرضاء سارة. هذا كلّ ما أمكنني فعله. جهزت لي ملابس صغيرة وحذاءً صغيرًا ووضعتني على رأس المذياع وأدارته قائلة، «ارقص يا صغيري! ارقص، يا غبيّ! ارقص، يا أحمق».

حسنًا، لم يكن في مقدوري جباية تعويضات إقالتي، لذا رقصت على رأس المذياع بينما صفّقت هي وضحكت.

كما تعلمون، كنت أخاف العناكب بشكل رهيب وكان الذباب بحجم نسور عملاقة، وإذا تمكّنت إحدى القطط من إمساكي عذّبتني مثل فأر صغير. ولكنّي كنت لا أزال أعزّ الحياة. رقصت وغنيت وقاومت. مهما بلغ صغر حجم الرجل، سيكتشف أنه على استعداد بأن يرضى بالقليل دائمًا. عندما كنت أتغوط فوق السجادة كنت أتلقّى ضربات في عجيزتي. نثرت سارة قطع الورق الصغيرة وتغوّطتُ عليها. قطّعت الورقة إلى قطع صغيرة حتّى أنظّف عجيزتي. شعرت بها كالورق المقوى. أصبت بالبواسير. لم أستطع النوم ليالي متواصلة. الشعور بالدونية، بأني وقعت في الفخ. ذعر؟

على أيّ حال، كان شعوري جميلًا عندما غنيت ورقصت وسمحت لي سارة بشرب البيرة.

كانت تملك دافعًا لإبقائي على ستة إنشات بالضبط. لكن السبب فاق قدرتي، كما فاق قدرتي كل شيء آخر.

ألّفت الأغاني من أجل سارة، وأسميتها أغاني سارة:

«أوه، ما أنا سوى مقرف صغير،
ولا بأس في ذلك إلى حين أهتاج،
عندها لا شيء تولجه فيه
سوى رأس دبّوس لعين!»

كانت سارة تصفق بيديها وتضحك.

«إذا كنت ترغب في أن تكون قبطانًا في بحريّة الملكة
استمتع فقط مع الكلبة اللعينة
تقلّص إلى ٦ إنشات وعندما تخرج الملكة لتتبول
يمكنك أن تتلصّص مباشرة على الفرج الرطب...».

صفّقت سارة بيديها وضحكت. حسنًا، كان هذا لا بأس به. لم يكن بدّ...

لكنّ أمرًا مقرفًا جدًا وقعَ ذات ليلة. كنتُ أغنّي وأرقص وكانت سارة مستلقية فوق السّرير، تصفق بيديها، تشرب النبيذ وتضحك. كنتُ أقدّم عرضًا جيّدًا. أحد أفضل عروضي. ولكن، كما هو الحال دائمًا، عَلت حرارة الجزء العلوي من الراديو وأحرقت قدمي. لم أستطع تحمل ذلك أكثر.

قلت: «اسمعي يا حبيبتي، لقد تعبت. أنزليني. أعطيني علبة بيرة. لا نبيذ. أنت تشربين النبيذ الرخيص. أعطيني كشتبانًا من البيرة الجيّدة».

قالت: «بالتأكيد، يا حبيبي، فقد قدّمت عرضًا رائعًا الليلة. لو كان ماني ولينكولن يؤديان مثلك، لكانا هنا الليلة. لكنهما لم يغنّيا أو يرقصا. لقد غرقا في الاكتئاب. والأسوأ من ذلك كله، أنهما اعترضا على العرض الأخير».

سألت: «وماذا كان العرض الأخير؟»

«انسَ يا حبيبي، اشرب بيرتك واسترخ فقط. أريدك أن تستمتع بالعرض الأخير. من الواضح أنك شخص موهوب أكثر بكثير من ماني أو لينكولن. أعتقد أنه يمكننا أن نصل إلى ذروة الأضداد».

قلتُ مفرغًا بيرتي: «طبعًا. الآن املئي لي من جديد. ما هي ذروة الأضداد؟»

«استمتع بشرب بيرتك، يا حبيبي، ستعرف قريبًا».

انتهيت من شرب بيرتي ثم حدث الشّيء المقزز، شيء مقزز فعلًا. حملتني سارة ووضعتني بين فخذيها، حيث فتحتهما قليلًا. كنت أواجه غابةً من الشعر. تصلّب ظهري وعضلات الرقبة، عندما استشعرت عن بعد ما كان قادمًا. اعتُصرتُ في الظلام الدامس والرائحة الكريهة. سمعت تأوهات سارة. ثم بدأت سارة تحرّكني ببطء جيئة وذهابًا. كما قلت، كانت الرائحة لا تطاق، وعانيتُ من صعوبة في التنفس، ولكن بشكل ما كان هناك هواء- جيوب جانبية وتيارات هوائية من الأوكسجين. بين الحين والآخر اصطدم رأسي بالبظر، فكانت سارة تتأوّه أكثر.

بدأت سارة تحرّكني أسرع فأسرع. بدأ جلدي يتأجج، وصار من الصعب عليّ التنفس؛ ازدادت الرائحة سوءًا. سمعتُ لهاثها. خطر ببالي أني إذا انتهيت من الأمر على وجه السرعة، ستخفّ معاناتي.

في كل مرة تحرّكني إلى الأمام كنت أقوّس ظهري ورقبتي، أتكوّر داخل هذا المنحنى وأصطدم بالبظر.

فجأة انتُشلتُ من هذا النفق الرهيب. رفعتني سارة قبالة وجهها.

«اقذف، أيها اللعين! اقذف!» طالبت.

كانت سارة في حالة سكر تام من النبيذ والشهوة. شعرت نفسي مزجوجًا داخل النفق من جديد. حرّكتني بسرعة جيئةً وذهابًا. وفجأة التقطتُ الهواء داخل رئتيّ لزيادة حجمي، وبعد ذلك جمعتُ اللعاب بين فكّي وبصقته مرة، مرتين، ٣ مرات، ٤، ٥، ست مرات، ثم توقفت... تزايدت الرائحة الكريهة بشكل يفوق الخيال، وفي النهاية، رفعتني عاليًا في الهواء.

رفعتني سارة تحت ضوء المصباح وبدأت تقبّلني من الرأس والكتفين.

«يا حبيبي! يا ذَكري الصّغير العزيز! أحبك!»

ثم قبلتني بتلك الشفتين الفظيعتين الملوّنتين بالأحمر. تقيّأت. وفي نشوة النبيذ والشّهوة، وضعتني بين ثدييها. ارتحتُ هناك واستمعت إلى ضربات قلبها. أزالت عنّي الطّوق، كان سلسلة من الفضة، ولكن هذا لم يغيّر شيئًا. لم أكن حرًا. سقط أحد ثدييها الضّخمين على جانب واحد، وبدا أنّه فوق القلب تمامًا. قلب الساحرة. إذا كنتُ أنا الحلّ للانفجار السكاني، لماذا لم تستخدمني في شيء أكثر من مجرّد وسيلة ترفيهية، دمية جنسيّة؟ تمدّدتُ هناك وأصغيتُ إلى نبضات قلبها. جزمتُ بأنها ساحرة. ثم رفعتُ بصري. أتعرفون ماذا رأيتُ؟ شيئًا في غاية الدّهشة. في هذا الشق الصغير تحت اللوح الأمامي للسرير. دبوس قبّعة. نعم، دبوس قبعة طويل عليه إحدى تلك الدوائر الزجاجية الأرجوانية في الطّرف. مشيتُ بين

ثدييها، تسلّقت إلى حلقها، وصلتُ إلى ذقنها (بمجهود كبير)، ثم مشيتُ بهدوء عبر شفتيها، ثم تحرّكت هي قليلًا وكدتُ أسقط وكان عليّ أن أمسك بأنفها لأتماسك. ببطء شديد صعدت باتجاه العين اليمنى - كان رأسها يميل قليلًا إلى اليسار ثم بلغت جبهتها، بعد أن اجتزت الصدغ، وكنت قد دخلت الشعر، كانت طريقًا صعبة الاجتياز. ثم وقفت وتمددت - مددت يدي وتمكنت من الوصول بالضبط إلى طرف الدبوس. كان النزول سريعًا أكثر غدرًا. كدت أفقد توازني عدة مرات، في محاولة شدّ دبوس القبعة. سقوط واحد وتكون نهايتي. ضحكت مرات لأن الأمر كان سخيفا جدًا. كانت محصّلة حفلة الرفاق في العمل، عيد ميلاد مجيدًا.

ثم نزلت مرة أخرى أسفل الثدي الضخم. وضعت الدبوس واستمعت ثانية. استمعت للنبض الدقيق للقلب. حددت مكانه أدنى الوحمة البنيّة الصغيرة بالضّبط. ثم وقفت. التقطت الدبوس مع خرزه الزجاجي الأرجواني، الذي بدا جميلًا في ضوء المصباح. وفكرت، هل سينجح الأمر؟ كنت بطول ٦ إنشات، وقدّرت أن يكون الدّبوس أطول منّي بمرّة ونصف. ٩ إنشات. خُيّل لي أن قلبي كان أقرب من ذلك.

رفعت الدبوس وغرزته في الدّاخل مباشرةً تحت الوحمة.

تدحرجت سارة وانتفضت. أمسكتُ بالدّبوس. كادت تلقي بي إلى الأرض- التي كانت تبعد وفق حجمي مسافة ألف قدم أو أكثر.

كادت أن تقتلني. تمسّكتُ بها. أطلقت شفتاها صوتًا غريبًا.

ثم بدا أنها ترتعش بكاملها مثل امرأة تتجمّد من البرد.

مددت يدي وغرزت البوصات الثلاث المتبقّية من الدبوس في صدرها حتى التصقت الخرزة الزجاجية الجميلة للدبوس بجلدها.

ثم سكتت سارة وأنا أصغيت.

أصغيتُ إلى القلب، واحد اثنان، واحد اثنان، واحد اثنان، واحد اثنان، واحد...

توقف.

وبيديّ، يدي القاتل الصغيرتين، أمسكت بالملاءة ونزلت أرضًا. كان طولي يعادل ٦ إنشات، وكنتُ حقيقيًا ومذعورًا وجائعًا. وجدت ثقبًا في إحدى ستائر غرفة النوم التي تواجه الجهة الشرقيّة، وركضت من السقف باتجاه الأرض. أمسكت بغصن شجيرة، تسلقت عليه، وزحفت على طول الغصن إلى أن صرتُ داخل الشجيرة. لم يعرف أحد أن سارة قد ماتت سواي. لكن الأمر لم يسعفني. إذا أردت المضي قدمًا، عليّ أن أتناول شيئًا أولًا. تساءلت ماذا سيحكمون على حالتي في المحكمة؟ هل كنت مذنبًا؟ انتزعت ورقة وحاولت أن آكلها. لم تكن شهية. أكلتها بصعوبة. ثم رأيت سيدة في الساحة الجنوبية، سيدة تضع صحنا من طعام القطط لقطتها. زحفت من غصن الشجيرة واتجهت نحو طعام القطط، حذرًا من حركات الحيوانات. كان مذاقه أسوأ من أي شيء آخر أكلته في حياتي، لكن لم يكن لديّ خيار آخر. أكلت كلّ ما قويتُ عليه من طعام القطط، للموت مذاق أسوأ. ثم مشيت باتجاه الشجيرة وتسلّقتها من جديد.

ها أنا، ٦ إنشات، حلّ الانفجار السكاني، معلّق فوق شجيرة وأعاني من تخمة من طعام القطط.

ثمّة تفاصيل لا أريد أن أُشعركم بالملل بتكرارها. هربت من القطط ومن الكلاب ومن الجرذان. شعرتُ بنفسي أكبر رويدًا رويدًا. رأيتهم يُخرجون جثّة سارة. ذهبتُ إلى هناك ووجدتني لا أزال صغير الحجم على فتح باب الثلاجة.

في اليوم الذي كاد يمسكني القط عندما أكلتُ من صحنه، كان واجبًا عليّ أن أرحل من هناك.

كان طولي آنذاك ٨ أو ١٠ إنشات، وكنت أكبر. حتّى أنّي أخفتُ الحمام.

عندما تُخيفُ الحمام تعرف أنّك في الاتجاه الصحيح. ببساطة ركضت يومًا في الشارع، واختبأت على طول ظلال المباني وتحت الشجيرات وما شابه ذلك. واصلت الركض والاختباء إلى أن وصلتُ إلى مدخل سوبر ماركت واختبأت تحت موقف للجرائد نُصب عند مدخل المحلّ. بعد ذلك، وفيما كانت سيّدة ضخمة تتقدّم وينفتح الباب الكهربائيّ أمامها، سرتُ وراءها. نظر أحد الموظفين في موقف الكشف وأنا أسير خلف المرأة:

«مهلًا، اللعنة ما هذا؟»

«ماذا؟» سألته زبونة.

قال الموظّف: «خلتُ أني رأيت شيئًا. ربما لا. آمل ذلك».

بطريقة ما تسللت إلى المخزن من دون أن يراني أحد. اختبأت من وراء بعض صناديق الفاصولياء المخبوزة، حلّ الليل وحصلت على وجبة ملوكية. سلطة البطاطا، مخللات، ولحم خنزير في خبز الجاودار، ورقائق البطاطس، وبيرة وفيرة. تحوّلت المسألة إلى عادة. كل يوم، طوال النهار، كنت أختبئ في المخزن، وليلًا أخرج وأحتفل. ولكن كنت آخذًا في النموّ وصارت مسألة الاختباء أكثر صعوبة. بدأت أراقب المدير وهو يودع المال في الخزينة كل ليلة. كان هو آخر من يغادر. أحصيت عدد النقرات بينما كان يودع المال كل ليلة. بدت لي -٧ يمينًا، ٦ يسارًا، ٤ يمينًا، ٦ يسارًا، ٣ يمينًا، ثم فُتحت الخزينة. توجهت نحو الخزينة كل ليلة وجرّبت الأرقام.

كان علي أن أبني لنفسي شيئًا شبيهًا بالدرج من الصناديق الكرتونية الفارغة كي أصل إلى قرصها. لم أنجح ولكني واصلتُ المحاولة. أقصد، كل ليلة. في أثناء ذلك كنت أنمو بسرعة كبيرة. ربما كان طولي قد بلغ ٣ أقدام. في المحلّ، كان هناك جناح صغير للملابس واضطررت طوال الوقت إلى اختيار أحجام أكبر. لقد عادت المشكلة السكانية من جديد. وفي إحدى الليالي، فتحت الخزينة. احتوت على ٢٣ ألف دولار نقدًا. لا بد أنني أصبت الهدف عشية الإيداع البنكيّ. أخذت المفتاح الذي استخدمه المدير من أجل الخروج من دون أن أقرعَ جرس الإنذار بالسطو. ثم خرجت إلى الشارع وحجزت غرفة لمدة أسبوع في فندق سانسيت. قلت للسيدة إني أؤدي دور القزم في الأفلام السينمائية. يبدو أني أضجرتُها.

«يحظر تشغيل التلفزيون أو إحداث ضجة بعد الساعة العاشرة مساء. هذه قواعدنا هنا».

أخذت النقود، أعطتني إيصالًا وأغلقت الباب.

على مفتاح الغرفة سجّل الرقم ١٠٣. لم أنظر حتى إلى الغرفة. سُجل على أبواب الغرف ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، سرت شمالًا باتجاه تلال هوليوود، نحو تلك الجبال التي تقف وراءها، فيما نور الله الذهبيّ العظيم يسطع عليّ، ويتعاظم.

آلة النّيك

كانت ليلة حارّة في حانة طوني. لم أفكّر حتّى في الجنس. شربت البيرة الباردة وحسب. مرّر طوني بيرَتين لي ولمايك الهنديّ، وأخرج مايك النقود. جعلته يدفع ثمن الجولة الأولى. أخذ طوني النقود، شعرَ بالملل، تلفّت حوله - جلس خمسة أو ستة آخرون يحدّقون في بيراتهم، ببلاهة. ثمّ اتّجه طوني صوبنا.

سألته: «ما الجديد يا طوني؟»

«آه، خراء»، قال طوني.

«هذا ليس أمرًا جديدًا».

«خراء»، قال طوني.

«آه، خراء»، قال مايك الهنديّ.

شربنا البيرات.

سألتُ طوني: «ما رأيك في القمر؟»

«خراء»، قال طوني.

«نعم»، قال مايك الهنديّ، «الإنسان خراء على الأرض وخراء على القمر، الأمر سيّان».

«يقولون إنّه على الأرجح لا توجد حياة على المريخ»، قلت.

«وماذا في ذلك؟» سأل طوني.

قلت: «اللعنة، هات بيرتين إضافيّتين».

مررهما طوني إلينا، ثم حضر ليأخذ نقوده. دفعتُ أنا هذه المرة. وضعها في الخزينة. «اللعنة، ما أحرّ الجوّ. ليتني كنت متّ من الواقي ليلة البارحة».

«أين يذهب الرّجال عندما يموتون يا طوني؟»

«اللعنة. من يهمه ذلك؟»

«ألا تعتقد بالروح البشرية؟»

«كلام تافه».

«ماذا عن تشي؟ وجان دارك؟ والفتى بيلي؟ ماذا عن كلّ هؤلاء؟»

«كلام تافه».

شربنا بيراتنا، وتفكّرنا في الأمر.

قلت: «اسمع، يجب أن أتبوّل».

توجهت نحو المبولة، وهناك، كالعادة، تواجدَ «بيتي البومة».

أخرجته وبدأت أتبول.

قال لي: «أيركَ صغير جدًا».

«صغير، نعم، عندما تتبول أو تغرق في التفكير. لكنّي من النوع المتمدّد. عندما أكون مستعدًا، فكلّ إنش عندي الآن يعادل ستة».

«آه، هذا جيد، أن كنت صادقًا. لأن ما أراه حاليًا يعادلُ إنشَين».

«أنا أدلّي الرأس فقط».

«سأعطيكَ دولارًا وأمصّ أيرك».

«ليس بالمبلغ الكبير».

«أنت تدلّي أكثر من الرأس. إنك تخرج كلّ أيرك من هذا الخيط».

«اللعنة عليك، يا بيت».

«ستعود عندما تفلس».

خرجت.

طلبتُ بيرتين إضافيتين.

عاد طوني إلى منواله، واتّجه نحونا ثانية.

قال: «الجوّ حارّ جدًا، أظنني أجن».

قلت لطوني: «الحرّ يجعلك تدرك حقيقتك».

«لحظة! هل تدعوني بالمجنون؟»

«معظمنا مجانين. لكن الأمر يبقى سرًا».

«حسنًا، لا ضير في أن تهذر بسخافاتك، كم شخصًا عاقلًا يوجد في هذا العالم؟ هل ثمّة كهؤلاء أصلًا؟»

«قلّة».

«كم؟»

«من بين البلايين؟»

«نعم، نعم».

«حسنًا، كنت سأقول ٥ أو ٦».

قال مايك الهنديّ: «٥ أو ٦؟، مصّ أيري».

قال طوني: «اسمع، كيف تعرف أني مجنون؟ لماذا لا أحد يتعرّض لنا؟»

«حسنًا، بما أننا جميعنا مجانين، وقلّة من يمكنهم أن يُحكموا السّيطرة علينا، فإنهم ببساطة يدَعوننا نعيش كما نحن. هذا كلّ ما بِيَدِهم فعله اللحظة. خلتُهم سيجدون لأنفسهم مكانًا في الفضاء

الخارجيّ بعد أن يقوموا بإبادتنا، لكنّي أدرك اليوم أنّ المجانين يسيطرون على الفضاء أيضًا».

«كيف تعرف؟»

«لأنّهم وضعوا العَلم الأمريكيّ فوق سطح القمر».

«لنفترض أنّ الروس وضعوا العلم الروسي فوق سطح القمر؟»

قلت: «سيان».

«إذن، أنت لا تبالي؟»

«أنا لا أبالي إلى حدّ جنونيّ».

سكتنا. واصلنا الشرب. وكذا طوني، بدأ يصبّ لنفسه الوسيكي والماء. كان يجيزُ لنفسه، فقد كان صاحب الحانة.

«يا إلهي، ما هذا الحرّ!» قال مايك الهنديّ.

ثمّ بدأ طوني يتكلّم. «جنون، هل تعلمون، ثمة شيء جنونيّ يحدث اللحظة».

قلت: «طبعًا!».

«لا لا لا- أقصد هنا في حانتي».

«حقًا؟»

«نعم. شيء جنونيّ جدًا لدرجة أنّي أشعر بالذّعر أحيانًا».

قلت: «حدّثني عنه يا طوني». أنا دائمًا على استعداد لسماع تفاهات الآخرين.

مال طوني قريبًا جدًا منا. «أعرف شخصًا يمتلك آلةً للنيك. ليس هراءَ مجلّةٍ جنسيّة، كالتي ترَونها في الإعلانات، زجاجات مياه دافئة بفروج أحادية الاستعمال مصنوعة من لحم البقر، وكلّ هذا الهراء. لقد نجح هذا الشخص في فعلها. عالم ألمانيّ. وصلنا إليه، أقصد

حكومتنا، قبل أن يتمكّن الروس من اختطافه. لا تخبروا أحدًا».

«أكيد يا طوني أكيد».

«اسمه فون برشليتس. حاولت حكومتنا أن تثير اهتمامه بالفضاء. لم يذهب. عجوز ألمعي، لكنه يفكر فقط في آلة النّيك هذه. وفي الوقت نفسه يخال نفسه فنانًا، يطلق أحيانًا على نفسه لقب ميكالنجلو... منحناه معاشًا قدره ٥٠٠ دولار للشهر كي يبقى حيًا ولا يدخل مستشفى المجانين. تعقّبوا أثره لبعض الوقت، ثمّ سئموا منه أو لعلّهم نسوه، لكنّ الشيكات ظلّت تتوافد، وبين الحين والآخر اتّصل أحد الوكلاء ليتحدّث معه لمدة عشر أو عشرين دقيقة شهريًا، يكتب تقريرًا بأنه ما زال مجنونًا، ويغادر. هكذا كان يتجول بين المدن يجرّ خلفه صندوقا كبيرًا أحمر. أخيرًا دخل إلى الحانة في إحدى الليالي وبدأ يشرب. أبلغني أنه عجوز متعب، ويحتاج إلى مكان هادئ جدًا ليعمل على بحثه. كنت أتبعه طوال الوقت. مجانين كثر يأتون إلى هنا، كما تعلم!»

قلت: «نعم».

«ثم غاصَ يا رجل، في الثمالة، وقصّ عليّ حكايته. لقد صمّم امرأة آلية في مقدورها أن تمارس الجنس مع الرجال على نحو أفضل من أي امرأة أخرى خلقت على الأرض! وبلا حاجة إلى استخدام الواقي، لا خراء، لا نقاش!»

قلت: «طوال حياتي بحثتُ عن امرأة كهذه».

ضحك طوني. «كلّ رجلٍ يبحث عن امرأة كهذه. حسبته بالطبع مجنونًا، إلى أن نزلتُ يومًا إلى شقّته فأخرج آلة النّيك من الصندوق الأحمر.!»

«ثمّ...؟»

«كان الأمر أشبه بالصعود إلى الجنّة من دون أن تموت!»
قلت لطوني مطالبًا، «دعني أخمّن البقيّة».
«خمّن».
«يتواجد فون برشليتس وآلته في شقّتك في الطابق العلويّ في هذه اللحظات!»
«أها»، قال طوني.
«كم؟»
«عشرين دولارًا للفرد».
«عشرين دولارًا لنيك آلة؟»
«لقد تفوّق على الخالق الذي خلقنا، أيًا كان، سترى».
«بيتي البومة مستعد لمصّ أيري لقاء دولار واحد!»
«بيتي البومة لا بأس به. لكنّه ليس اختراعًا متفوّقًا على الآلهة».
دفعتُ إليه بـ ٢٠ دولارًا.
«أقسم بحياتي، يا طوني، إذا كانت هذه دعابة مجنونة من دعابات الليالي الحارّة فستكون قد خسرتَ أفضل زبائنك!»
«كما قلت قبل قليل، جميعنا مجانين أصلًا. الأمر منوطٌ بك».
«حسنًا».
قال مايك الهنديّ: «حسنًا. إليكَ الـ ٢٠ دولارًا خاصّتي».
«يجب أن تعرفوا أنّي أتحصّل على ٥٠٪ فقط، الباقي من نصيب فون برشليتس. معاش قدره ٥٠٠ دولار ليس بالشيء الكثير في ظل التضخّم الماليّ والضرائب، وفون ب. يشرب الشنابس كالمجنون».
قلت، «هيا نفعلها، معي ٤٠ دولارًا. أين هي آلة النّيك الخالدة هذه؟»
رفع طوني قاطعًا في الحانة وقال، «تعالوا من هنا. اصعدوا

الدرج، حتى الجانب الخلفيّ، اصعدوا إلى هناك فقط، اقرعوا الباب وقولوا إن طوني أرسلنا».

«هل يوجد للباب رقم #؟»

«باب # ٦٩».

قلت: «أوه اللعنة، طبعًا، ماذا أيضًا؟»

قال طوني «أوه اللعنة، طبعًا، خذ خصيتيك؟»

وجدنا الدرج وصعدنا إلى أعلى. قلت: «طوني على استعداد لفعل أي شيء من أجل دعابة جيدة».

مشيت في الرواق، كان الباب هناك: «باب # ٦٩»

قرعت: «طوني أرسلنا».

«آه، رجاء ادخلوا يا سادة».

كان كائنًا غريبًا شبقيًا عجوزًا، كأس من الشنابس بيده، ونظارات سميكة، كما في الأفلام القديمة تمامًا. اتّضح أنّه كان يستضيف فتاة شابة، شابة جدًا، بدت رقيقة وقوية في الآن ذاته.

رفعت ساقًا فوق ساق، وكشفت عن كلّ شيء: ركبتين من النايلون، فخذين من النايلون، والجزء الصغير هناك فقط، حيث تنتهي الجوارب الطويلة وينكشف الجلد. كانت عبارة عن مؤخرة وصدر، ساقين من النايلون، وعينين ضاحكتين زرقاوين صافيتين. . .

«يا سادة- هذه ابنتي تانيا . . .».

«ماذا؟»

«آه، نعم، أعلم، أنا طاعن في السن. . لكن كما في أسطورة الرجل الأسود ذي الأير الكبير، ثمّة أيضًا أسطورة حول ألمان مسنين وشبقيين لا يتوقّفون عن النّيك. يمكنكم أن تعتقدوا ما تشاؤون. هذه

ابنتي تانيا، على كلّ حال...».

قالت ضاحكة: «هالو، يا شباب».

ثم نظرنا جميعنا ناحية الباب الذي علّقت عليه لافتة: **مخزن لآلة النيك**.

أفرغ كأس الشنابس.

«إذن، حضرتم إلى هنا لتجرّبوا أفضل مضاجعة في حياتكم، صحيح؟»

قالت تانيا: «بابا! لماذا يجب أن تكون فظًا هكذا على الدوام؟»

رفعت تانيا ساقًا فوق ساق من جديد، عاليًا هذه المرّة، وكدتُ أقذف. أفرغ الأستاذ كأسًا أخرى من الشنابس، ثم نهض واتّجه نحو الباب الذي عُلّقت عليه لافتة **مخزن لآلة النيك**. دار وابتسم لنا، وببطء فتح الباب. دخل وخرج وهو يدحرج شيئًا أشبه بسرير مستشفى بعجلات.

كان عاريًا، كتلة معدنية.

دحرج الأستاذ هذا الشيء اللعين مباشرة أمامنا، ثم بدأ يدندن أغنية مقرفة ما، الأرجح أنها ألمانية.

كتلة معدنية بثقب في مركزها. تناول الأستاذ علبة زيت بيده، وأقحمها في الثقب، وبدأ يقطر من هذا الزيت في الداخل. في أثناء ذلك واصل دندنة أغنيته الألمانية المجنونة.

واصل دهن الزيت، ثم نظر إلى الخلف ما بعد كتفه وقال: «لطيف، أليس كذلك؟» وواصل العمل، بإقحام الزيت في الدّاخل.

نظرَ إليّ مايك الهنديّ، حاول أن يضحك، قال «اللعنة... خدعونا ثانية».

قلت، «نعم، يبدو لي أنّه قد مرّت ٥ سنوات منذ مارست فيها

الجنس، لكنّي ملعونٌ إن كنت سأولج أيري ثانية في كومة الرصاص الصلبة هذه».

ضحكَ فون برشليتس. اتّجه صوب حانته، وجد زجاجة شنابس أخرى، صبّ لنفسه كأسًا وجلسَ ووجهه يواجهنا.

«عندما بدأنا ندرك، ونحن في ألمانيا، أننا خسرنا الحرب، وبدأت الشبكة تحكم خيوطها - وصولًا إلى معركة برلين الأخيرة - عرفنا أن الحرب قد اتخذت شكلًا جديدًا --- أصبحت الحرب الحقيقية حربَ من سيستولي على معظم العلماء الألمان. لو تحصّلت روسيا على علماء ألمان - لكانت أول من وصل القمر، وأول من وصل المريخ. . لكانت الأولى في أيّ شيء. . . لا أدري ماذا كانت النتيجة في النهاية. . من ناحية كمّية أو بمصطلحات قوة - دماغ علمي. أعرف فقط أن الأمريكان وصلوا إليّ أولًا، اختطفوني، أخذوني من هناك في سيارة، ناولوني شيئًا للشرب، صوّبوا المسدسات باتّجاه رأسي، قطعوا وعودًا، تحدثوا كالمجانين! وقّعتُ على كل شيء. . . ».

قلت، «حسنًا، هذه مادّة جيّدة للتاريخ. لكنّي ما زلت غير مستعد لإيلاج قضيبي، الصغير والمسكين، في الكتلة المعدنية أو أيًا كان ذلك الشيء! لا بدّ أن هتلر كان مجنونًا برعايته لك. ليت الرّوس اختطفوك أولًا! أريد العشرين دولارًا خاصتي!»

ضحك فون برشليتس «ههههه. . . إنّها دعابتي الصغيرة ههههههه».

دفع بالكتلة المعدنيّة نحو الخزانة. صفع الباب. «أوه هههههههههههههههه!» شرب بضع كؤوس أخرى من الشنابس.

صب فون ب. لنفسه المزيد من الشنابس. كان حقًا صاحبَ

كأس. «يا سادة، أنا فنان ومخترع! آلة النّيك خاصّتي هي في الواقع ابنتي، تانيا...».

«دعابات صغيرة أخرى يا فون؟» سألت.

«لا دعابات! اذهبي إلى السيّد واجلسي فوق ركبتيه!»

ضحكت تانيا، نهضت، اتّجهت نحوي وجلست فوق ركبتيّ. آلة النيك؟ كان جلدها حقيقيًا، أو هكذا بدا، ولم يكن لسانها الذي تحرّك في فمي عندما تبادلنا القبل، آليًا- كلّ حركة كانت مغايرة، وتجاوبت هي مع حركاتي.

أخذت الأمر على محمل الجد، مزّقت قميصها، تشابكنا؛ بشكل ما وقفنا، امتدّت يدي نحوَ مؤخرتها، وقد تمددت فتحتها وأنا أواصل، انتشت - أمكنني أن أشعر بدقات قلبها، وانضممت إليها.

كانت هذه أفضل مضاجعة في حياتي!

غادرت تانيا إلى الحمام، استحمّت وانتعشت، افترضتُ أنها ارتدت ملابسها من جديد من أجل مايك الهنديّ.

«أفضل ما اخترعه الإنسان»، قال فون برشليتس بجديّة تامة. وقد صدق.

ثم خرجت تانيا وجلست فوق ركبتيّ.

«لا! لا! تانيا! الآن دور الرجل الثاني! للتوّ انتهيت من مضاجعة هذا الرجل!»

لم يبد أنها سمعت، وكان الأمر غريبًا، حتى بالنسبة إلى آلة نيك، لأني بصدق، لم أكن يومًا حبيبًا جيدًا.

سألت: «هل تحبني؟»

«نعم».

«أحبك. وأنا سعيدة. وليس من المفترض أن أكون كائنًا حيًا.

أنت تعلم ذلك، أليس كذلك؟»

«أنا أحبّك يا تانيا. هذا كلّ ما أعرفه».

صرخ العجوز: «اللعنة! آلة النيك هذه!» اتّجه صوبَ الصندوق المطليّ والذي علّقت بجانبه لافتة كُتب عليها تانيا.

كانت هناك أسلاك صغيرة تخرج منه؛ وفراجير، وإبر تهتزّ، والعديد من الألوان والأضواء التي كانت تضيء وتنطفئ، أشياء كانت تتكتك - كان فون ب. أغرب قوّاد قابلته في حياتي، وظل يلعب بالفراجير، ثم نظر إلى تانيا:

«٢٥ عامًا! تطلّبني عمرٌ كامل تقريبًا لأصنعك! حتى اضطررت أن أواريك عن عيون هتلر! والآن، تحاولين أن تتحولي إلى مجرد عاهرة عادية؟»

قالت تانيا: «عمري ليس ٢٥ عامًا، عمري ٢٤ عامًا»

«هل ترين؟ هل ترين؟ تمامًا مثل عاهرة عادية!»

عاد إلى فراجيره.

قلت لتانيا: «وضعت أحمر شفاه مغايرًا».

«هل يعجبك؟»

«أوه، نعم!»

انحنت وقبلتني.

ظل فون ب. يلعب بفراجيره. شعرت أنه على وشك الفَوز.

تحوّل فون ب. إلى مايك الهندي. «ثمّة مجرد شبكٍ طفيف في الجهاز. ثق بي. سأصلح الأمر خلال دقيقة واحدة، حسنًا؟»

«آمل ذلك»، قال مايك الهندي، «ثمة ١٤ إنشًا تنتظر ولديّ عجز بقيمة ٢٠ دولارًا».

قالت لي تانيا: «أنا أحبك، لن أمارس الجنس أبدًا مع أيّ رجل

آخر. إن لم تكن لي، فلن أكون لغيرك».

«سأسامحكِ، يا تانيا، عن أي شيء تفعلينه».

بدأ الأستاذ الشمل يهتاج. ظل يحرّك الفراجير ولكن شيئًا لم يحدث. «تانيا! حان الوقت لتضاجعي الرجل الثاني! أنا متعب، أحتاج إلى بعض الشنابس، ثم النوم.. يا تانيا»

قالت تانيا، «آه، عجوز تافه وحقير! أنت وشرابك. ثم إنّك تقضم نهديّ طوال الليل، حتى لا أعود أقوى على النوم في حين لا تقوى أنت حتى على جعله ينتصب كما يجب! أنت مثير للاشمئزاز!»

«ماذا؟»

«قلت، إنّك لا تقوى حتى على جعله ينتصب كما يجب!»

«ستدفعين الثمن غاليًا يا تانيا! أنت من صنعي، أنا لست ملكك!»

واصل تحريك أزراره السحرية، أقصد، أزرار الآلة. كان غاضبًا جدًا، وأمكنك أن ترى، بشكلٍ ما، كيف منحه الغضب طاقةً حيويّة تتجاوزه. «انتظر يا مايك. كلّ ما عليّ فعله هو ضبط الإلكترونيات! انتظر! المسألة قصيرة! أنا أراه!»

ثمّ قفز. هذا الرجل الذي أنقذوه من أيدي الروس.

نظر إلى مايك الهندي. «الجهاز سليم الآن! الآلة تعمل! استمتع!»

ثمّ اتّجه نحو قارورة الشنابس، صبّ من جديد، وجلس يشاهد.

قامت تانيا من حضني واتجهت مباشرة نحو مايك الهندي. شاهدت تانيا ومايك الهندي يتحاضنان. فتحت تانيا سحاب مايك الهندي، وكان للرجل قضيب كبير! هو قال إن طوله يعادل ١٤ إنشًا

لكنه بدا ٢٠.

ثم وضعت تانيا كلتا يديها حول قضيب مايك.

تأوّه باعتزاز.

ثم مزّقت قضيبه وفصلته عن جسده، وألقت به جانبًا.

رأيته يتدحرج فوقَ السجادة مثل قطعة سجق مجنونة، يقطر دفقاتٍ صغيرة وحزينة من الدّم. تدحرج قبالة الحائط، وبقي هناك كشيء له رأس بلا ساقين وبلا مكان يذهب إليه - وهو وصف سليم جدًا.

بعد ذلك، وصلت الخصيتان طيرًا في الجوّ. مشهد كئيب وثقيل. ببساطة رستا في منتصف السجادة، وحارتا ماذا تفعلان عدا مواصلة النزيف.

وهكذا، نزفتا.

نظر فون برشليتس، بطل الغزو الروسي-الأمريكي، نظرة قاسية نحو ما تبقى من مايك الهنديّ، نديمي القديم، الذي تمدد فوق الأرض بلونه الأحمر الفاقع، ينزف من مركز جسده - خرج فون ب. نازلًا غرفة السلالم.

كانت غرفة ٦٩ كلّ شيء عدا ٦٩.

ثمّ سألتها: «تانيا، ستصل الشرطة إلى هنا في كلّ لحظة. هل لنا أن نكرّس رقم الغرفة لحبّنا؟»

«طبعًا يا حبيبي!»

فعلناها، في الوقت، ودخل رجال الشرطة الحمقى. أحد المتعلّمين بينهم أعلن عن وفاة مايك الهنديّ.

وبما أنّ فون ب. كان بشكلٍ ما صناعة الحكومة الأمريكية، فقد عج المكان بالبشر- العديد من الموظفين المقرفين - رجال إطفاء،

مراسلين، رجال شرطة، المخترع، السي.أي. إيه، ال إف.بي. أي، وعيّنات أخرى من الخراء البشري.

توجهت تانيا نحوي وجلست فوق ركبتيّ. «سيقتلونني الآن. أرجوك حاول ألا تحزن».

لم أجب.

بدأ فون برشليتس بالصراخ، وأشار نحو تانيا: «**أؤكّد لكم يا سادة، إنها عديمة الإحساس! لقد أنقذتُ هذا الشيء اللعين من هتلر!** أؤكّد لكم، هذا الشيء ليس إلّا آلة!»

وقف الجميع هناك، غير مصدّقين فون ب.

لقد كانت ببساطة أجمل آلة، اسمها امرأة، رأوها في حياتهم.

«اللعنة! حمقى! كل امرأة هي آلة للنيك، ألا تدركون ذلك؟ إنهن يذهبن مع من يعرضُ أعلى سعر! لا يوجد شيء اسمه الحب! **إنّه خرافة مثل عيد الميلاد المجيد!**»

كانوا لا يزالون لا يصدّقونه.

«**إنها** مجرّد آلة! لا تخافوا! انظروا!»

أمسك برشليتش بإحدى ذراعي تانيا.

فصلها تمامًا عن جسدها.

وفي الداخل- داخل ثقب كتفها - أمكن بسهولة أن ترى - لم يكن هناك شيء سوى الأسلاك والمواسير - أشياء ملفوفة ومتعرجة - إضافة إلى مادة بسيطة كانت تشبه الدم قليلًا.

رأيت تانيا تقف هناك وبكرة الأسلاك تتدلّى من كتفها، حيث كان موضع الذراع، نظرت إليّ:

«أرجوك، من أجلي! طلبتُ منك ألّا تحزن كثيرًا».

شاهدتهم يهجمون عليها، مزقوها واغتصبوها وهشموها.

لم أستطع أن أتمالك نفسي. دفنت رأسي بين فخذيّ وبكيت...

لم يتحصل مايك الهنديّ على مقابلٍ لل-٢٠ دولارًا خاصّته.

مرّت شهور. لم أعد إلى الحانة. جرت محكمة لكن الحكومة برّأت فون ب. وآلته. انتقلت إلى بلدة أخرى، نائية. وفي أحد الأيام وفيما أنا جالس في صالون حلاقة، فتحت مجلة للجنس. وهناك ورد الإعلان الآتي: «إلعق لدميتك الصغيرة! ٢٩,٩٥ دولارًا! مادة مطاطية ومقاومة، وتدوم! تشمل الرزمة السلاسل والأسواط. بيكيني، حمالات صدر، سراويل تحتية، باروكتين، أحمر شفاه، وعلبة صغيرة من مرهم الحب. فون برشليتس م. ض».

أرسلت إليه نقود الطّلبيّة إلى صندوق بريد في ماساتشوستس. هو أيضًا انتقل. وصل الطرد في غضون ٣ أسابيع تقريبًا. شيء محرج. لم يكن لدي مضخة منفاخ للدراجة، فقدت أعصابي وأخرجت الغرض من الطرد. اضطررت للذهاب إلى محطة الوقود التي تقع في الزاوية واستخدام المنفاخ.

بدت الدمية أفضل وهي منفوخة. نهدان كبيران. مؤخرة كبيرة.

«ماذا يوجد بحوزتك، يا رفيق؟» سألني العامل.

«اسمع يا رجل، أنا أقترض بعض الهواء فقط. نادرًا ما أعبئ وقودًا من هنا»

«أوكي. لا بأس، يمكنك أن تستخدم المنفاخ. أنا فقط لا يمكنني ألا أتساءل عما بحوزتك-»

قلت: «انس!»

«يا إلهي! انظر إلى هذين النهدين!»

«أنا أنظر أيّها الغبيّ!»

تركته هناك ولسانه يتدلى، حملتها على كتفيّ وعدتُ إلى شقتي. جررتُها باتّجاه غرفة النوم.

كان السؤال الأكبر على الطّريق..

فتحت الساقين وبحثت عن فتحة.

لم يتقاعس فون برشليتس تمامًا.

اعتليتها وبدأت بتقبيل الفم المطاطيّ. بين الحين والآخر نزلتُ باتّجاه أحد النهدين المطاطين الضخمين ورضعته. ألبستها الباروكة الصفراء ودهنت قضيبي بمرهم الحب. لأنه لم تكن هناك حاجة إلى دهن الكثير من المرهم. ربما أرسل كمية تكفي لعام كامل.

قبّلتها بشهوة من وراء الأذنين، دسست إصبعي في مؤخرتها، وواصلت الهز. ثم قفزت منتصبًا، كبّلت يديها خلف ظهرها. كان ثمة قفل صغير ومفتاح ثم جلدت مؤخرتها جيدًا بالسيور الجلدية.

يا إلهي، لا بدّ أني جننت! قلت في نفسي.

ثم قلبتها وأولجته مرة أخرى. واصلتُ النّيك. بصراحة، كان الأمر مملًا نوعًا ما. تخيلت كلابًا ذكورًا يأتون قططًا إناثًا؛ تخيلت شخصَين يمارسان الجنس في الهواء بعد أن قفزا من مبنى إمباير ستيت. تخيلت فرجًا بحجم أخطبوط، يزحف باتجاهي، رطبًا ونتنًا ويتوق إلى هزة الجماع. تذكرت كل السراويل التحتية والرّكب والسيقان، والأثداء، والفروج التي رأيتها في حياتي. كان المطاط يتعرّق؛ كذلك أنا.

قلتُ هامسًا في إحدى أذنيها المطاطيّتين، «أحبك، يا حبيبتي!».

أكره أن أعترف بذلك، ولكني أجبرتُ نفسي على القذف داخل هذه القطعة المطاطية الكبيرة القذرة. لم تكن تانيا على الإطلاق.

تناولت شفرة حلاقة ومزقتها. ألقيت بها مع علب البيرة.

كيف يشتري العديد من الرجال في أمريكا هذه الأشياء الغبية؟

أو أنه يمكنك أن تمر على مئة آلة للنيك في ١٠ دقائق سيرًا على الأقدام تقريبًا عند أي شارع رئيسي في أمريكا - الفرق فقط هو أنهن يتظاهرن بأنهن من البشر.

مسكين مايك الهندي. بقضيبه الميت بطول ٢٠ إنشًا. جميع الهنود من طينة مايك، مساكين. كل الصاعدين إلى الفضاء. كل مومسات فيتنام وواشنطن.

تانيا المسكينة، كان بطنها بطن خنزير. أوردتها أوردة كلب. لم تكد تقضي حاجتها. فقط مارست الجنس - قلب وصوت ولسان تم استعارتهم من الآخرين - ١٧ عملية زرع أعضاء فقط كانت محتملة في ذلك الوقت. تقدّم فون ب. عليهم بفارق كبير.

تانيا المسكينة، لم تكد تأكل - معظم طعامها اقتصر على الجبن الرخيص والزبيب. لم تكن لديها رغبة في المال أو الممتلكات أو السيارات الجديدة أو المنازل المكلفة. لم تقرأ يومًا جريدة. لم تكن لديها رغبة في التلفزيون الملون، والقبعات الجديدة، والجزمات، والثرثرة مع زوجات حمقاوات؛ ولم تكن لديها رغبة في الزواج من طبيب، أو وكيل في البورصة، أو عضو كونغرس أو شرطيّ.

الرجل في محطة الوقود سألني على الدوام، «هيه، ماذا حدث مع هذا الشيء الذي أحضرته إلى هنا يومًا ونفخته بالمنفاخ؟»

لكنه لم يعد يسألني. أعبئ الوقود في مكان جديد. حتى إنّي لم

أعد أحلق شعري في المكان الذي رأيت فيه تلك المجلة التي حَوَت إعلان دمية الجنس المطاطية التي صنعها فون برشليتس. أحاول أن أنسى كل شيء.

وأنتم ماذا كنتم ستفعلون؟

آلة عَصر الخصى

علّق دانفورث الجثث واحدة تلو الأخرى بعد أن عُصرت في العصارة. جلس باغلي بجانب الهواتف.

«كم نملك؟»

«١٩، يبدو وكأنه يوم موفّق».

«اللعنة، نعم، نعم، يبدو وكأنه يوم موفّق. كم كانت البارحة؟»

«١٤».

«معقول، معقول. سننجح إذا واصلنا هكذا. ما يقلقني طيلة الوقت أن يوقفوا هذا العمل في فيتنام»، قال باغلي عبر الهاتف.

«لا تكن أحمق- ناس كثر يربحون من هذه الحرب ويعتمدون عليها».

«لكنّ مؤتمر باريس للسلام».

«أنت ببساطة لست أنت يا باغ. أنت تعرف أنّهم فقط يجلسون ويضحكون طيلة اليوم، سيتلقون رواتبهم ويندفعون باتجاه النوادي الليلية الباريسية كلّ ليلة. هؤلاء الأشخاص يعيشون حياة هنيئة. لا يريدون أن ينتهي مؤتمر السلام هذا تمامًا كما لا يريدون أن تنتهي الحرب. جميعنا نسمن، ولا نعاني من خدش واحد. هذا حلو. وإذا أنهوا هذا العمل خطأ، ستكون حروب أخرى. إنهم يهتمون بأن تكون هناك نقاط متوهجة على وجه الأرض».

«نعم، يبدو أني قلق أكثر من اللازم». رنّ أحد الهواتف الثلاثة على الطاولة. رفع باغلي السماعة، «**وكالة عمل مُرضية**. هنا باغلي».

أخذ يصغي. «نعم، نعم. لدينا محاسب جيد. الراتب؟ ٣٠٠ دولار في الأسبوعين الأولين، أقصد في الأسبوع. نحصل على الراتب في الأسبوعين الأولين، ثم نخفضه إلى ٥٠ في الأسبوع أو نفصله. إذا فصلتَه بعد مرور أسبوعين، نعطيكَ مئة دولار. لماذا؟ اللعنة، أنت لا تفهم، كلّ الفكرة مواصلة تحريك المسائل. كل شيء نفسيّ، مثل سانتا كلوز. متى؟ نعم، سنرسله حالًا. ما العنوان؟ حسنًا، حسنًا، سيأتي حالًا. تذكر جميع الشروط. سنرسل العقد معه. وداعًا».

أغلق باغلي السماعة. دندن لحنًا بينه وبين نفسه، ووضع خطًا تحت العنوان.

«أرسل شخصًا إلى هناك يا دانفورث، شخصًا متعبًا، نحيفًا، لا حاجة لإرسال الأفضل من الجولة الأولى».

تقدم دانفورث نحو حبل الغسيل المعدنيّ وأنزل المشابك عن شخصٍ متعب، ونحيف.

«أحضره إلى هنا. ما اسمه؟»

«هيرمان. هيرمان تيليمان».

«اللعنة. لا يبدو جيدًا. يبدو وكأن ما يزال به بعض الدم. وألاحظ بعض اللون في عينه... في ظنّي. اسمع يا دانفورث، هذه العصارات تعمل كما يجب! أرى كل الخصى معصورة، من دون احتجاج، هل تفهم؟ نفّذ عملك وأنا سأنفذ عملي».

«بعض هؤلاء الرجال دخلوا يتمتعون بصلابة، بعضهم يتحلون

بالشجاعة أكثر من غيرهم، أنت تعرف ذلك. لا يمكنك أن تعرف وفقًا للشكل».

«حسنًا، دعنا نجربه. هيرمان. مهلًا، يا ولد!»

«يا إلهي ماذا حصل؟»

«هل ترغب في وظيفة صغيرة لطيفة؟»

«آه، اللعنة، كلا!»

«ماذا؟ ألا تريد الحصول على وظيفة صغيرة لطيفة؟»

«لماذا، اللعنة؟ رجلي العجوز، كان من جيرسي، عمل طوال حياته اللعينة وبعد أن دفناه مع أمواله، هل تعلم كم تبقى له؟»

«كم؟»

«١٥ سنتًا وحياة مملة باهتة».

«ولكن ألا تريد زوجة، وعائلة، ومنزلًا، واحترامًا؟ سيارة جديدة كل ٣ سنوات؟»

«لا أريد أن أُطحَن، يا بابا، لا تضعني في أي قفص مغلق. أريد فقط أن أتكاسل. ما هذا الخراء؟»

«دانفورث، أدخل هذا الوغد إلى العصارة واشدد هذه البراغي!»

أمسك دانفورث بتيليمان ولكن ليس قبل أن صرخ:

«في ثقب أمك العجوز...».

«واعصر خصيتيه، على آخرهما! هل تسمعني؟»

أجاب دانفورث: «حسنًا، حسنًا! اللعنة، أظن أحيانًا أنك حصلت على أسهل جزء في المصلحة».

«انس المصلحة! اعصر خصيتيه. نيكسون قد ينهي الحرب...».

«ها أنت تتحدث هراءات مرة أخرى! لا أعتقد أنك حصلت على كفايتك من النوم يا باغلي. شيء ما فيك ليس على ما يرام».

«نعم، نعم، معك حق. إنه الأرق! أفكر طيلة الوقت بأننا يجب أن نكون جنودًا! أنا أتقلب كل ليلة! أي عمل يمكن أن يكون هذا!»

«باغ، نحن نفعل أفضل ما في وسعنا. هذا كل ما في الأمر».

«حسنًا، حسنًا، كم مرة دوّرته في العصارة حتى الآن؟»

«دورتين! انتزعت منه خصيتيه، انتظر وسترى».

«حسنا، ألق به إلي. فلنجربه».

أعاد دانفورث هيرمان تيليمان. بدا فعلًا مختلفًا قليلًا. اللون الذي بدا في عينيه قد اختفى وكانت ابتسامته زائفة تمامًا. كان منظرًا رائعًا.

«هيرمان؟» سأل باغلي.

«نعم، يا سيدي؟»

«ما هو شعورك؟ أو كيف تشعر؟»

«لا أشعر بأي شيء يا سيدي».

«هل تحب أصحاب الزيّ الأزرق؟»

«ليسوا أصحاب الزي الأزرق، يا سيدي - رجال شرطة. هم ضحايا شراستنا على الرغم من أنهم يحموننا أحيانًا بإطلاق النار علينا، ويسجنوننا، ويضربوننا ويغرّموننا. ليس هناك من شيء اسمه زي أزرق سيئ. أقصد شرطيًا عفوًا. هل تدرك أنه إذا لم يكن هناك رجال شرطة، لوجب علينا أن نمسك القانون بأيدينا؟»

«ثم ماذا سيحدث؟»

«لم أفكر قطّ في ذلك، يا سيدي».

«ممتاز، هل تؤمن بالله؟»

«أوه، نعم يا سيدي، بالله والأسرة والدولة والوطن والعمل المتفاني».

«يا إلهي!»

«ماذا، يا سيدي؟»

«آسف، اسمع، هل تحبّ أن تعمل ساعات إضافية؟»

«أوه، نعم يا سيدي! أود أن أعمل ٧ أيام في الأسبوع إذا أمكن، بوظيفتين إذا أمكن».

«لماذا؟»

«المال، يا سيدي. المال من أجل اقتناء تلفزيون ملون، وسيارات جديدة، وقرض من أجل المنزل، وبيجامة من حرير، وكلبين، وحلّاقة كهربائية، وتأمين على الحياة وتأمين طبي، جميع أنواع التأمين، ورسوم التعليم العالي لأطفالي، إن كنتُ سأنجب، وأبواب أوتوماتيكية للمرآب وملابس جميلة وأحذية بقيمة ٤٥ دولارًا، وكاميرات، وساعات يد وخواتم وغسالات، وثلاجات، وكراسي جديدة وأسرّة جديدة، وسجاد من الحائط إلى الحائط، وتبرعات للكنيسة، وأجهزة تدفئة و. . .».

«حسنًا. يكفي. اسمع، متى ستستخدم كل هذه الأشياء؟»

«لا أفهم يا سيدي».

«أعني، عندما تعمل ليلًا ونهارًا إضافة إلى العمل الإضافي، متى ستستمتع بهذه الكماليات؟»

«أوه، سيأتي يوم، سيأتي يوم، يا سيدي!»

«ألا تعتقد أن أطفالك سوف يكبرون يومًا ويرون فيك مجرد أحمق؟»

«بعد أن أفنيت نفسي في العمل من أجلهم يا سيدي! بالطبع لا!»

«ممتاز. الآن مجرد بضعة أسئلة».

«نعم يا سيدي».

«ألا تعتقد أنّ كلّ هذا العمل الشاق المتواصل يضرّ بصحتك وبروحك، مثلًا. . .؟»

«اللعنة، لو لم أعمل طيلة الوقت لكنت فقط أجلس وأشرب أو أرسم لوحات زيتية أو أضاجع أو أذهب إلى السيرك أو أجلس في الحديقة أراقب البط. أشياء من هذا القبيل».

«ألا تعتقد أن الجلوس في الحديقة ومشاهدة البط أمرٌ لطيف؟»

«هكذا لن تجني المال يا سيّدي».

«حسنًا، اللعنة عليك».

«سيّدي؟»

«هذا يعني أني انتهيت من الحديث معك».

«حسنًا، إنه جاهز يا دان. عمل جيد. أعطه العقد، وليوقع عليه. لن يقرأ الحروف الصغيرة، يعتقد أننا لطفاء. أوصله إلى المكان. سيأخذونه. منذ أشهر لم ترسل محاسبًا أفضل منه».

أعطى دانفورث هيرمان العقد ليوقع عليه، فحص عينيه مرة أخرى للتأكد من أنهما ميتتان، ووضع العقد والعنوان في يده، وقاده إلى الباب ودفعه دفعة خفيفة أسفل الدرج.

استند باغلي إلى الخلف مع ابتسامة راحة تشي بالنجاح، وشاهد دانفورث وهو يدخل الأشخاص الثمانية عشر الآخرين إلى العصارة. كان من الصعب ملاحظة أين تختفي الخصى ولكن كل رجل تقريبًا خسر خصيتيه في مكان ما في الطريق. أولئك الذين وسموا ب «متزوجين مع عائلة» أو «ما بعد الـ ٤٠» فقدوا الخصيتين بسهولة.

استند باغلي إلى الوراء عندما أدخلهم دانفورث إلى العصارة، سمعهم يتحدثون:

«من الصعب على رجل في سنّي أن يتحصل على عمل، أوه، كم هو أمر صعب!»

وقال آخر:

«آه يا عزيزي، الجو البارد في الخارج».

وقال آخر:

«سئمت من القمار والقوادة، والاعتقال، الاعتقال، الاعتقال. أنا بحاجة إلى شيء آمن، آمن، آمن، آمن. . . ».

وقال آخر:

«حسنًا، كان لديّ الوقت لاستمتع. الآن. . . ».

وقال آخر:

«لا تجارة لي. ينبغي أن يكون لكل رجل تجارة، وأنا لا تجارة لي. ماذا أفعل؟»

وقال آخر:

«جبت العالم - وأنا في الجيش - أعرف أشياء».

وقال آخر:

«إذا كان عليَّ أن أفعل كلّ شيء من جديد، لكنت طبيب أسنان أو حلاقًا».

وقال آخر:

«كلّ رواياتي وقصصي القصيرة وقصائدي تعود إليّ. اللعنة، لا يمكنني أن أسافر إلى نيويورك وأصافح الناشرين! لديّ موهبة تفوق أي شخص ولكنّك تحتاج إلى الباطن! سأعمل في أي وظيفة لكنّني أفضل من أن أعمل في أيّ وظيفة لأنّي عبقري».

وقال آخر:

«انظروا كم أنا جميل؟ انظروا إلى أنفي؟ انظروا إلى أذني؟ انظروا إلى شعري؟ بشرتي؟ سلوكي! هل ترون كم أنا جميل؟ هل ترون كم أنا جميل؟ لماذا لا يحبني أحد؟ لأنني بهذا الجمال. إنهم يغارون، يغارون، يغارون...».

رن جرس الهاتف مرة أخرى.

«وكالة عمل مُرضية. باغلي يتحدّث. ماذا تحتاجون؟ غواصًا يعوم في أعماق االبحر؟ اللعنة! ماذا؟ أوه، عفوًا، طبعًا، طبعًا، لدينا عشرات الغواصين العاطلين عن العمل. أجر الأسبوعين الأولين يُسلّم إلينا ٥٠٠, في الأسبوع. خطير، أنتم تعرفون، خطير جدًا. الأوزّ، وسرطان البحر، وما إلى ذلك... الأعشاب البحرية، حوريات البحر. الأخطبوطات، الشعاب الصخرية المرجانيّة. نزلات البرد. اللعنة، نعم. أجر الأسبوعين الأولين لنا. إذا أقلتوه بعد أسبوعين نعطيكم ٢٠٠ دولار. لماذا؟ ها؟ إذا طرح طائر الروبن بيضة من الذهب على عتبة بيتكم هل كنتم ستسألون لماذا؟ ها؟ سوف نرسل إليك غواص بحر في غضون ٤٥ دقيقة! العنوان؟ حسنًا، حسنًا، نعم، حسنًا، بجانب مبنى ريتشفيلد. نعم أعرف. ٤٥ دقيقة. شكرًا جزيلًا. وداعًا».

أقفل باغلي السماعة. كان مرهقًا وكان الوقت أوّل النهار.

«دان»؟

«نعم، أيها المنيك؟»

«أحضر لي شخصًا يغوص في أعماق البحر. مع بعض الدهون حول البطن. أزرق العينين، على صدره بعض الشعر، أصلع قبل الأوان، رزينًا بعض الشيء، به انحناءة طفيفة، يعاني من مشاكل في

الرؤية وبداية تطوّر لمرض سرطان الحلق لم يُكتَشَف بعد. هذا هو الغواص الذي يغوص في أعماق البحر. الكلّ يعرف كيف يكون غواص في أعماق البحر. أحضر لي واحدًا كهذا أيها المنيك».

«حسنًا، أيّها الأبله». وقفه أمام الطاولة. كُتب على بطاقته «بارني أندرسون».

«مرحبًا يا بارني»، قال باغ.

«أين أنا؟» سأل بارني.

«وكالة عمل مرضية».

«بربكم، إذا لم تكونا زوج منيكين قذرين، لا أدري من يكون إذن!»

«اللعنة ماذا يحدث هنا يا دان!»

«دوّرته في العصارة ٤ دورات».

«قلت لك شدّ البراغي!»

«وأنا قلت لك إنّ بعض الرجال يملكون قوة أكثر من غيرهم!»

«ذلك كله خرافة، أيها الأحمق المجنون!»

«من الأحمق المجنون؟»

«كلاكما أحمقان مجنونان»، قال بارني أندرسون.

«أريدك أن تُدخل مؤخرته إلى العصارة ثلاث مرات»، قال باغلي.

«حسنًا، حسنًا، ولكن دعنا أولًا نرتب المسائل، أنت وأنا».

«حسنًا، على سبيل المثال، اسأل بارني هذا من هم أبطاله».

«بارني، من هم أبطالك؟»

«حسنًا، دعني أرى- كليفر، ديلينجر، تشي، مالكولم إكس،

غاندي، جيرسي جو والكوت، الجدة باركر، كاسترو، فان غوخ، فيلون، همينغواي».

«هل ترى؟ إنه يتضامن مع كل الخائبين. هل يعطيه شعورًا جيدًا. إنّه يستعدّ للإخفاق. نحن على وشك مساعدته. هم يتواصلون مع هذا القرف الروحاني وبهذه الطريقة نحصل على مؤخراتهم. لا يوجد شيء روحانيّ. تلك خديعة. لا يوجد أبطال. تلك خديعة. لا يوجد فائزون- كل شيء خديعة وبراز خيول. لا يوجد قديسون، لا يوجد عباقرة- كلّ شيء خديعة، وخرافات الأطفال هي ما يحرّك اللعبة. كلّ رجل يحاول أن يصمد ويحظى ببعض الحظ- إذا استطاع. الباقي هراء».

«حسنًا، حسنًا، أدركُ أبطالك الفاشلين! لكن ماذا عن فيدل كاسترو؟ يبدو سمينًا جدًا، وفق آخر صورة رأيته فيها».

«هو يصمد لأن الولايات المتحدة وروسيا قررتا إبقاءه في الوسط. لكن لنفترض أنهما قررتا فعلًا ضربه؟ على أي شيء سيستند؟ يا رجل، هو لا يمتلك شيفرات ليدخل إلى ماخور مصريّ متحلل».

«اللعنة عليكما! أنا أحب من أحب!» قال بارني أندرسون.

«يا بارني، عندما يهرم الإنسان كفاية، ويعلق كفاية، ويجوع كفاية، ويتعب كفاية- سوف يمص أيرًا، حلمة، سيأكل برازًا ليبقى حيًا، إما هذا أو ذاك، أو الانتحار. الجنس البشري يدرك ذلك يا رجل. هؤلاء جماعة رديئة».

«إذن، سنغير ذلك يا رجل. هذه هي الخطة. إذا كنا قادرين على الوصول إلى القمر، بإمكاننا أن ننظف الخراء من المرحاض. ببساطة ركّزنا في الأمور الخاطئة».

«أنت مريض يا فتى. ومن حول بطنك بعض الدهون، وآخذ في الصلع. قوّمه يا دان».

أخذ دانفورث بارني أندرسون، عصره وعصره ودوّره في العصارة ثلاث دورات. ثم أعاده.

«بارني؟» سأل باغلي.

«نعم يا سيدي؟»

«من هم أبطالك؟»

«جورج واشنطون، بوب هوب، ماي ويست. ريتشارد نيكسون، عظام كلارك غيبيل، وكل الأشخاص اللطفاء الذين رأيتهم في ديزني لاند. جو لويس، دينا شور، فرانك سيناترا، بيب روث، البيريه الخضر، اللعنة، كلّ الجيش والأسطول البحريّ الأمريكيّ وخصوصًا قوّات مشاة البحرية، وحتى وزارة الماليّة، السي. آي. إيه، الأف. بي. آي، الحرس المدنيّ، جميع أصحاب الزي الأزرق في لوس أنجلوس اللعينة، وحتى شرطة الإقليم.

لم أقصد أن أقول ذوي الزي الازرق، قصدت، «رجال الشرطة». وهناك مارلين ديتريخ، مع هذا الشق في تنورتها، لا بدّ أنها بلغت السبعين الآن؟- ترقص في فيغاس، انتفخ قضيبي، يا لها من امرأة رائعة. حياة الرفاه الأمريكية والمال الأمريكي الوفير قادران على المحافظة على شبابنا إلى الأبد، ألا تستوعبان؟

«دان؟»

«نعم، يا باغ؟»

«إنه جاهز! لم تتبق لديه مشاعر كثيرة، إلا أنه رغم ذلك يثير فيَّ الغثيان. دعهُ يوقّع على عقده الصغير وأرسله إليهم. سوف يعجبهم.

يا إلهي، ماذا يجب على الإنسان أن يفعل كي يبقى على قيد الحياة؟ أحيانًا أكره حتى عملي. إنه سيئ، أليس كذلك يا دان؟»

«بالتأكيد يا باغ، وبمجرد أن أرسل هذا الأحمق إلى سبيله، سأريك شيئًا يناسبك تمامًا - لمسة من المنشّط القديم الجيد».

«آه، حسنًا، حسنًا، ما هو؟»

«فقط ربع دورة في العصارة».

«ماذا؟»

«أوه، إنها تفيد الكآبة أو التفكير المرهق، أشياء من هذا القبيل».

«هل يفيد؟»

«أفضل من الأسبرين».

«حسنًا، فقط تخلّص من الأحمق».

تم إنزال بارني أندرسون عبر الدرج. قام باغلي وسار نحو أقرب عصارة. «هؤلاء النساء الهرمات - ويست وديتريخ، لا يزلن يكشفن عن الأثداء والسيقان، اللعنة، لا منطق في هذا، فعلن ذلك عندما كان عمري ٦ سنوات. ما الذي يجعل ذلك ينجح؟».

«لا شيء. شدّ الوجه، والمشدات، والمساحيق، والأضواء، وأغطية الجلد الاصطناعية، والحشو، والكريم، والقش، وبراز الخيول. كلّها بوسعها أن تجعل جدّتك تبدو وكأنها فتاة في السادسة عشر من عمرها».

«جدّتي ماتت».

«مع ذلك بوسعها».

«نعم، نعم، أعتقد أنك على حق». سار باغلي باتّجاه العصارة.

«ربع دورة فقط، تذكر. هل أستطيع أن أثق بك؟»

«أنت شريكي، ألستَ كذلك يا باغ؟»
«بالتأكيد يا دان».
«منذ متى ونحن معًا غي المصلحة؟»
«٢٥ عامًا».
«إذن، حسنًا، عندما أقول ربع دورة، أقصد ربع دورة».
«ماذا أفعل؟»
«فقط ضع يديك داخل الأسطوانات، إنها مثل الغسّالة».
«هناك؟»
«نعم، بدأنا! ووبيبي!»
«مهلًا يا رجل، تذكر، فقط ربع دورة».
«بالتأكيد، يا باغ، ألا تثق بي؟»
«أنا مجبر الآن».
«تعرف، كنتُ أضاجعُ زوجتك من وراء ظهرك».
«يا لك من ابن عاهرة نتن! سوف أقتلك!»
تركَ دانفورث الجهاز يعمل، جلس من وراء طاولة باغلي، أشعل سيجارة. دندن لحنًا ما، «محظوظ أنا، يمكنني العيش في ترف، لأن جيبي مليء بالأحلام، جيبي مليء بالأحلام»
قام وسار باتّجاه الآلة وباجلي.
«قلت ربع دورة»، قال باغلي. «صرنا دورة ونصف».
«ألا تثق بي؟»
«أكثر من أي وقت مضى، بشكل ما».
«مع ذلك، كنتُ أضاجعُ زوجتك من وراء ظهرك».
«حسنًا، أعتقد أنّه لا ضير في ذلك. أشعر بالتّعب من مضاجعتها. كلّ رجل يشعرُ بالتّعب من مضاجعة زوجته».

«ولكن أريدك أن تريد منّي أن أضاجع زوجتك».

«حسنًا، أنا لا أكترث ولكنّي لا أعرف ما إذا كنت بالضّبط أريد منك أن تفعل».

«سأعود في غضون ٥ دقائق تقريبًا».

عاد دانفورث ليجلس على كرسي باغلي الدوار، ووضع قدميه على طاولة وانتظر. كان يحب الغناء. أنشد أغنيات: «نلتُ الكثير من كلّ شيء لا شيء «كثير» بالنسبة إليّ. نلتُ النجوم، نلتُ الشمس، ونلتُ البحر اللامع».

دخن دانفورث سيجارتين وعاد إلى الآلة.

«باغ، لقد ضاجعتُ زوجتك من وراء ظهرك».

«أوه، أريد منك أن تفعلها يا رجل! أريد منك أن تفعلها! هل تعرف ماذا أيضًا؟»

«ماذا؟»

«أعتقد أنّي أودّ المشاهدة».

«طبعًا، لا مشكلة عندي».

اتّجه دانفورث إلى الهاتف، طلب رقمًا.

«ميني؟ نعم يا دان. أنا قادم لأضاجعك مرة أخرى. باغ؟ أوه، إنه قادم أيضًا. يريد المشاهدة. لا، نحن لسنا مخمورين. أنا فقط قررت إغلاق المحل اليوم. كلّ شيء مرتّب. بالنّسبة إلى المسألة المتعلّقة بإسرائيل والعرب، وجميع الحروب الأفريقية، لا داعي للقلق. بيافرا كلمة جميلة. على أيّ حال، نحن قادمان. أريد أن آتيك من دبرك. ما أكبر إليتيك. لعلّي أيضًا آتي باغ من دبره. أعتقد أنّ إليتيه أكبر حجمًا. ابقي مكانك يا حبيبتي، نحن في الطريق!»

أقفل دان السمّاعة. رن الهاتف مرّةً أخرى. رفع السماعة.

«اخرس أيّها المنيك النتن، حتى حلماتك لها رائحة كريهة مثل براز الكلاب في رياح غربية». أقفل السماعة وابتسم. توّجه صوب باغلي، وأخرجه من الآلة. أغلقا باب المكتب، نزلا معًا عبر الدرج. عندما أصبحا في الخارج كانت الشمس مشرقة وكلّ شيءٍ بدا لطيفًا. أمكن رؤية ما تحت تنانير النّساء الرقيقة. أمكن تقريبًا رؤية عظامهنّ. كان الموت والعفن في كل مكان. كنا في لوس أنجلوس، قرب شارع ٧ وبرودواي، المفترق الذي أهان فيه الموتى بعضهم من دون حتى معرفة السبب. كانت لعبة يتعلّمونها كما يتعلّمون نطّ الحبل أو تشريح الضفادع أو التبول في صندوق البريد أو الاستمناء لكلبك الأليف.

أنشدا: «نلنا الكثير من كلّ شيء، ولا شيء كثير بالنسبة إلينا...».

نزلا إلى الموقف تحت الأرضيّ متشابكَي الذّراعَين، وجدا سيارة باغ الكاديلاك طراز العام ٦٩، دخلا، وأشعل كلّ منهما سيجارًا ثمنه دولار، دان قاد السيارة، أخرجها من هناك، كاد يصدم شحاذًا وهو يخرج من ميدان بيرشينج، اتّجه غربًا باتجاه الطريق السريع، نحو الحرية وفيتنام والجيش، ومساحات واسعة من العشب والتماثيل العارية والنبيذ الفرنسي، بيفرلي هيلز.

انحنى باغلي إلى الأمام وفتح سحّاب دانفورث أثناء القيادة. أرجو أن يترك شيئًا لزوجته، فكّر دانفورث.

كان صباحًا لطيفًا في لوس انجلوس، أو ربما كان الوقت ظهرًا، تفقّد لوحة القيادة على مدار الساعة. كانت الساعة ١١:٣٧ عندما أنهى بالضبط، زاد سرعة السيارة إلى ٨٠. زلق الأسفلت من تحته مثل قبور الموتى. أشعل تلفزيون السيارة، ثم مدّ يده إلى الهاتف، تذكّر أن يقفل السّحاب. «ميني، أنا أحبك».

أجابته: «أنا أحبك جدًا يا دان. هل الأخرق معك؟»
«بالضّبط بجانبي. للتوّ أنتهى من المصّ».
«أوه، دان، لا تبذّر ذلك!»

ضحك وأقفل السماعة. كادا يصدمان زنجيًا قاد شاحنة. لم يكن أسود البشرة، كان زنجيًا، هذا كل ما كان. لا توجد أجمل مدينة في العالم بالنسبة إلى الناجح، ولا توجد أسوأ مدينة بالنّسبة إلى الفاشل - لوس أنجلوس. زاد دانفورث السرعة إلى ٨٥. ابتسم له شرطيّ قاد دراجة نارية وهو يمرّ عنه. ربما يتّصل ببوب في وقت لاحق من تلك الليلة. كان بوب دائمًا مضحكًا جدًا. دائمًا أعطاه كتّابه الاثنا عشر أفضل الجمل. كان بوب يقولها بطبيعيّة مثل براز خيول. كان رائعًا!

ألقى سيجار الدولار، أشعل آخر، زاد سرعة السيارة إلى ٩٠، مباشرة إلى السماء مثل السهم، الأعمال جيدة والحياة جيّدة، والعجلات تدور فوق الموتى والمحتضرين، والمحتضرين القادمين.

ثلاث نساء

سكنّا، أنا وليندا، مباشرة في الجانب الآخر من شارع مكارثر بارك، وذات ليلة ونحن نشرب، رأينا جثة رجل تهوي من أمام نافذتنا. كان المنظر غريبًا، أشبه بمزحة، لكن لم يكن في الأمر أيّ مزحة عندما ارتطمت الجثة بالرصيف. قلت لليندا: «يا إلهي، لقد انسحق تمامًا مثل حبة طماطم قديمة! نحن مصنوعون من أحشاء وبراز ومادة لزجة ما! تعالي إلى هنا! تعالي إلى هنا! انظري إليه!». توجهت ليندا صوب النافذة، ثم ركضت إلى الحمام وتقيأت. خرجت. استدرتُ ونظرت إليها. «أقسم باليسوع، يا حبيبتي، إنه أشبه بوعاء كبير مراق من اللحم المتعفن والسباغيتي، يرتدي قميصًا وبنطالًا ممزقين!» عادت ليندا إلى الحمام وتقيأت من جديد.

جلست وشربت النبيذ. سرعان ما سمعت الصفارة. ما يجب عليهم استدعاؤه بالفعل هو قسم تنظيف الشوارع. حسنًا، اللعنة، كل إنسان ومشاكله. لم أعرف يومًا كيف أتحصل على المال لدفع إيجار الشقة ونحن دائمًا مريضان من أثر الشرب، ولم نبحث عن عمل. في كلّ مرّة اجتاحنا القلق، مارسنا الجنس. هذا الأمر جعلنا ننسى لبعض الوقت. مارسنا الجنس كثيرًا، ولحسن حظي، كانت ليندا جيدة في الفراش. كان الفندق يعج بأشخاص مثلنا، يشربون النبيذ ويمارسون

الجنس ولا يدرون ما الخطوة التالية. بين الحين والآخر، قفز أحدهم من النافذة. لكن المال كان يصلنا من مكان ما، في كلّ مرّة بدا وكأنّنا سنأكل برازنا، مرّة ٣٠٠ دولار من عمّ متوفّى، ومرّة عائدات من ضريبة الدّخل. في إحدى المرّات سافرتُ في الحافلة وكانت نقود من فئة الخمسين سنتًا على المقعد قبالتي. ماذا كانت العبرة، أو من تركها هناك، لم أدرِ، وحتى الآن لا أفهم. انتقلتُ مقعدًا واحدًا إلى الأمام وبدأتُ أحشو نقودًا من فئة النصف دولار في جيوبي. عندما امتلأت جيوبي، قرعتُ الجرس ونزلتُ عند المحطة التالية. لم يقلُ أحدٌ شيئًا ولم يحاول أحدٌ إيقافي. هذا يعني، أنّك في حال كنت ثملًا، عليكَ أن تكون محظوظًا، وحتّى لو لم تكن ثملًا، عليكَ أن تكون محظوظًا.

كنّا نمضي جزءًا من النّهار يوميًا في المتنزه، نراقب البطّ. صدّقوني، عندما تتضعضع صحتكم من أثر الشرب ومن نقص في الغذاء الصحيّ، وتشعرون بالإرهاق من فرط المضاجعة وتحاولون النسيان، لا شيءَ أفضل من البطّ. هذا يعني، عليكم الخروج من الغرفة، فقد تغرقون عميقًا في الوحل وتقفزون من النّافذة. الأمر أهون مما قد تتخيّلون. أنا وليندا، كنّا نجلس على المقعد ونتأمل البط. البط خالٍ من الهموم- لا إيجار شقة، لا ملابس، وفرة في الطعام - فقط يسبح في الماء ويتغوط ويبطبط. يقضم، ويقضم، يأكل طيلة الوقت. مرّة كلّ حين، ينزل أحد نزلاء الفندق ليلًا، يقبض على بطة، يقتلها، يأخذها إلى الغرفة، ينظفها ويطبخها. ونحن أيضًا فكرنا في الأمر لكننا لم نفعلها يومًا. عدا ذلك، فإنّ الإمساك بها مسألة صعبة؛ فقط تدنو وتدنو، ثمّ سلوووووش! رشّة من الماء وتختفي الملعونة! معظم الوقت أكلنا الفطائر المحلاة الصغيرة

المصنوعة من الطحين والماء، أو كنا بين الفينة والأخرى نسرق بضع أكواز الذرة من حديقة أحدهم- حيث كانت حديقته معدة للذرة فقط- لا أصدّق أنه تمكن من أكل كوز واحد منها، وكنّا دائمًا نسرق من السوق، أقصد، كان ثمّة موقف لبيع الخضار أمام محل بقالة، ومن هناك أخذنا حبة أو حبتين من الطماطم، أو خيارة صغيرة. كُنّا لصوصًا صغارًا، صغارًا جدًا. نقصنا شيءٌ من الحظّ فقط. الحصول على السّجائر كان المهمّة الأسهل- جولة ليليّة- ترك أحدهم نافذة السيّارة مفتوحة على الدوام، وعلى لوحة أجهزة القياس كنّا نجد علبة أو نصف علبة سجائر. بالطّبع، كان الخمر والإيجار المشكلتين الحقيقيتين، وكنّا نمارس الجنس ونحن قلقان حيال ذلك.

وككلّ أيام اليأس النهائيّ، حانَ يومنا أيضًا. لا نبيذ، لا حظ، لا شيء. لا شفاعة عند صاحبة الشقة أو في محلّ الخمور. قررت ضبط المنبّه عند الساعة ٠٥:٣٠ صباحًا، وأن أخرج متجهًا إلى سوق العمل الزراعيّ، ولكن حتى المنبّه لم يعمل كما يجب. انكسر واضطررتُ إلى فتحه وتصليحه. كُسر أحد الزنبركات فيه، وكانت الطريقة الوحيدة لجعله يعمل ثانية هي كسر جزء منه، تركيبه من جديد، إغلاقه وإعادة ضبطه.

الآن إذا رغبتم في معرفة ما الذي يفعله زنبرك قصير لساعة منبه، أو أيّ ساعة من أيّ نوع آخر، سأخبركم. كلّما كان الزنبرك قصيرًا، دارت عقرب الدقائق أو الساعات أسرع. أؤكّد لكم، كانت تلك الساعة مجنونة، وكلّما أنهكتنا ممارسة الجنس كي نتوقف عن الإحساس بالقلق، كنّا ننظر إلى تلك السّاعة ونحاول أن نفهم كم السّاعة حقًا. أمكننا رؤية عقرب الدقائق يتحرّك- وكنّا نضحك.

في ذلك اليوم- استغرق الأمر أسبوعا لحلّ اللغز - اكتشفنا أن

الساعة تتحرك ثلاثين ساعة لكلّ اثنتي عشرة ساعة فعلية. وكان لا بدّ من ضبطه كلّ ٧ أو ٨ ساعات وإلا توقّف. أحيانًا كنّا نستيقظ ونُلقي نظرة على الساعة ونتساءل ما الوقت الحقيقي. كنت أقول، «حسنا، اللعنة، يا حبيبتي، ألا يمكنك حساب ذلك؟ تتحرك الساعة أسرع من العادة بمرتين ونصف. المسألة بسيطة».

«نعم، ولكن كم كان الوقت عندما ضبطناه في المرة الأخيرة؟» كانت تسألني.

«كيف أعرف يا حبيبتي، كنت مخمورًا».

«حسنًا، من الأفضل أن نقوم بضبطه وإلا توقف».

«حسنًا».

قمتُ بضبطه، ومارسنا الجنس.

لذلك، في الصباح الذي قررت فيه الذهاب إلى سوق العمل الزراعي، لم أنجح في ضبط الساعة. حصلنا على قارورة نبيذ من أحد الأمكنة وشربناها ببطء. تأملت تلك الساعة، من دون أن أعرف كم كان الوقت، وخفت أن أفوت ساعات الصباح الباكر، فتمددت في السرير ولم أنم طيلة الليل. ثم نهضت، ارتديت ملابسي ونزلت إلى شارع سان بيدرو. بدا لي وكأن كلّ من كان هناك وقف وانتظر. كان هناك عدد غير قليل من الطماطم عند النوافذ، التقطت حبتين أو ٣ منها وأكلتها. كان هناك لوح كبير: **مطلوب قاطفو قطن لبيكرسفيلد.**

يتوافر الطعام والسكن. ما هذا بحق الجحيم؟ القطن في بيكرسفيلد، كاليفورنيا؟ حسبتُ أن إيلي ويتني ومحلج القطن عزفا عن الموضوع. ثم وصلت شاحنة كبيرة واتضح أنهم بحاجة إلى عمال

لقطف الطماطم. حسنًا، اللعنة، كرهت أن أترك ليندا لوحدها في السرير. لا يمكن أبدًا إبقاؤها في السرير لوحدها طويلًا. لكنني قرّرت المحاولة. بدأ الجميع يتسلقون الشاحنة. انتظرت وتأكدت من ركوب جميع السيدات، كانت هناك نساء كبيرات الحجم. كان الجميع في الداخل، وبعد ذلك بدأت أتسلق. ثم رفع رجل مكسيكي ضخم، ومن الواضح أنه مدير العمل، باب الشاحنة الخلفي - «آسف، يا سيد، الشاحنة ممتلئة!». انطلقوا من دوني.

قاربت الساعة التاسعة مساءً بحلول ذلك الوقت، استغرق الأمر ساعة من المشي للعودة إلى الفندق.

مررت بجانب أشخاص أغبياء المظهر ومهندمون. كدت أُدهس من قبل رجل غاضب يقود سيارة كاديلاك سوداء. لا أعرف ما الذي أغضبه. ربما الطقس. كان الطقس حارًا يومها. عندما عدت إلى الفندق واضطررت إلى صعود السلالم لأن المصعد كان بجانب باب صاحبة الشقة وكانت دائمًا منشغلة بالمصعد، تلمّع النحاس، أو تقف هناك فقط وتتطفّل.

صعدتُ ٦ طوابق وعندما وصلت سمعت ضحكة تصدر من غرفتي. تلك العاهرة ليندا، لم تنتظر طويلًا لتفعلها. سوف أضربهما على مؤخرتيهما.

فتحت الباب.

كانت هناك كلّ من ليندا وجيني وإيف. «عزيزي!» قالت ليندا، اتّجهت صوبي. تأنّقت وانتعلت كعبًا عاليًا. لاسنتني في قُبلتها. «تلقّت جيني للتوّ أوّل معاش بطالة لها، وتلقّت إيف إعانة ماديّة! نحن نحتفل!»

كان هناك الكثير من النبيذ الرّخيص. دخلت واستحممتُ ثمّ

خرجتُ بسروالي القصير. دائمًا أحبّ الكشف عن ساقيّ. كان لي أكبر وأقوى ساقين رأيتهما لدى أي رجل. باقي أعضائي لم تكن شيئًا جديرًا. جلست مرتديًا بنطالي الممزق ووضعت ساقيّ على طاولة القهوة.

قالت جيني: «تبًا! انظرن إلى هاتين الساقين!»

قالت إيف: «نعم، نعم».

ابتسمت ليندا. صببن لي كأسًا من النبيذ. تعلمون كيف تسير مثل هذه الأمور. شربنا وتحدثنا، وتحدثنا وشربنا. ذهبت الفتيات لإحضار المزيد من القوارير. المزيد من الكلام. ودارت الساعة. وسرعان ما حلّ الظلام. شربت وحدي، كنتُ ما زلت مرتديًا بنطالي القصير الممزق. ذهبت جيني إلى غرفة النوم ونامت في السرير. نامت إيف على الأريكة، ونامت ليندا على الأريكة الجلدية الصغيرة في الرواق المؤدي إلى الحمام. لم أفهم بعد لماذا أغلق المكسيكي باب الشاحنة الخلفي. كنت تعيسًا.

ذهبت إلى غرفة النوم واندسست بجانب جيني. كانت امرأة ضخمة، وعارية. بدأت أقبل ثدييها، وأمصهما.

«مهلًا، ما الذي تفعله؟»

«أفعله؟ سأنيكك!»

وضعت إصبعي في فرجها وحركته جيئةً وذهابًا.

«سأنيكك».

«لا! ستقتلني ليندا!»

«لن تعرف أبدًا!»

اعتليتها ببطء شديد وبهدوء حتى لا تحدث زنبركات السرير صوتًا، وتُسمع جلبة. أولجته وأخرجته ببطء شديد، وعندما

انتعظت، تمنّيت لو أن الأمر يدوم. كانت من أفضل المضاجعات في حياتي.

وبينما كنت أنظف بالملاءة، فكّرت - لعلّ الإنسان يمارس الجنس على نحو خاطئ منذ قرون.

ثم خرجت، جلست في الظلام، وشربتُ المزيد. لا أذكر كم من الوقت جلست هناك. شربت قليلًا. ثم ذهبت إلى إيف. صاحبة الإعانة. كانت كائنًا سمينًا، عليها بعض التجاعيد، ولكن شفتيها كانتا مثيرتين للغاية، شفتين قبيحتين، ومثيرتين وفاحشتين. شرعت في تقبيل ذلك الفم الرهيب والجميل. لم تُبدِ اعتراضًا. فتحَت ساقيها ودخلتُ. كانت خنزيرة صغيرة، تضرط وتنخر وتشهق وتتلوى. لم يشبه انتعاظي معها انتعاظي مع جيني - الذي كان طويلًا ومصحوبًا برعشات - كان مجرّد قذف. نزلت عنها. وقبل أن أصل إلى مقعدي سمعتها تشخر من جديد. مذهل - مارَسَت الجنس كما تنفست - من دون مجهود. كلّ امرأة تمارس الجنس بطريقة مغايرة - وهذا ما يحرّك الرجل، هذا ما يأسر الرجل.

جلستُ وشربتُ المزيد وأنا أفكّر بما فعله بي ابن القحبة القذر في الباب الخلفي للشاحنة. لم تنفعني الأخلاق. بدأت أفكّر في معاش الإعانة. هل يمكن لرجل وامرأة غير متزوّجين الحصول على معاش إعانة؟ بالطبع لا. من المفروض أن يموتوا جوعًا. والحب هو كلمة فظة. لكن هذا ما كان تقريبًا بيني وبين ليندا- حب. لهذا جعنا معًا، وعشنا معًا. ما معنى الزواج؟ الحياة الزوجية تكرّس **الجنس**، والجنس المكرّس نهايته **الملل**، يستحيل إلى **مهمة**. لكن هذا ما يريده العالم: ابن قحبة فقير، محاصَر وتعيس، ومهمات في انتظاره. حسنًا، اللعنة، فضّلت السكن في المناطق الإجراميّة، وتسليم ليندا

إلى بيغ إيدي. كان سيشتري لها بعض الملابس ويذيقها شرائح اللحم، وهذا أكثر مما في مقدوري فعله.

بوكوفسكي صاحب أرجل الفيل، صفر اجتماعي.

أفرغت الزجاجة وقررتُ أني بحاجة إلى شيء من النوم. ضبطت ساعة المنبّه وانزلقت إلى الداخل مع ليندا. استيقظَت وبدأت تحتك بي. «أوه اللعنة، اللعنة»، قالت، «لا أدري ماذا ينتابني!».

«ما بك، يا حبيبتي؟ هل أنت مريضة؟ هل أتصل بالمستشفى الألماني؟»

«أوه، كلا. أنا فقط متهيجة! متهيّجة! متهيّجة جدًا!»

«ماذا؟»

«قلت، أنا أشتعل شبقًا! نِكني!»

«ليندا...».

«ماذا؟ ماذا؟»

«انا مرهق. لم أنم منذ ليلتين. ذلك السّير الطويل إلى السوق والعودة منه، ٣٢ شارعًا تحت الشمس الحارة.. بلا طائل. لا عمل. مرهق كالكلب».

«سأساعدك!»

«ماذا تقصدين؟»

زحفَت حتّى منتصف الطريق إلى الأسفل وبدأت تلعق أيري. تأوّهتُ بتعب. «يا حبيبتي، ٣٢ شارعًا تحت الشمس الحارّة.. أنا منتهٍ».

واصلت عملها. كان لها لسانٌ خشنٌ وعرفت كيف تحرّكه.

قلت لها: «يا حبيبتي، أنا صفر اجتماعيّ! أنا لا أستحقّك! أرجوك اتركيني!»

كما قلت، كانت جيّدة. ثمّة نساء ناجحات في هذا الأمر، وثمّة نشاء فاشلات. الغالبيّة يعرفن لعق الرأس العاديّ. بدأت ليندا بالأير، تركته، انتقلت إلى الخصيتين، ثمّ تركت الخصيتين، وعادت إلى الأير، على طوله. دائمًا تترك رأس الأير، ولا تلمسه. أخيرًا تأوّهت حتّى السّقف ورويتُ لها أكاذيب شتّى عمّا سأفعله من أجلها عندما تترتّب حياتي ولا أعود عاطلًا أكثر.

ثم مسكت رأسه، وضعت ثلثه تقريبًا في فمها، مصته مع عضّة خفيفة، عضّة الذئب - قذفت للمرة الرابعة في تلك الليلة، وكنتُ منتهيًا. ثمّة نساء علومهنّ أوسع من العلوم الطبيّة.

عندما أفقتُ، كنّ جميعهنّ مستيقظات ويرتدين ملابسهن - بَدَونَ جميلات؛ ليندا، جيني، وإيف. لكزنني من تحت الأغطية وضحكن.

«هيه، هانك، سننزل لنبحث عن شخص حيّ! ونحتاج كذلك إلى مشروب لنفتح أعيننا! سنكون في محل تومي هاي!»

«حسنًا، حسنًا، مع السلامة».

غادرن واحدة تلو الأخرى، خرجت المؤخرات واحدة تلو الأخرى من الباب.

كلّ الانسانيّة ضائعة إلى الأبد.

كنتُ على وشك النّوم عندما رنّ الهاتف.

«نعم؟»

«السيّد بوكوفسكي؟»

«نعم؟»

«رأيتُ أولئك النّسوة! لقد خرجن من غرفتك!»

«كيف عرفت؟ هناك ٨ طوابق وعشر أو اثنتا عشرة غرفة في كل طابق!»

«أعرف كلّ المستأجرين لديّ، يا سيّد بوكوفسكي! جميعهم هنا أشخاص شرفاء وعاملون!»

«حقًّا؟»

«حقًّا، يا سيّد بوكوفسكي. أنا أدير هذا المكان منذ عشرين عامًا، ولم أر في حياتي سلوكيّات من هذا النّوع! دائمًا كان السّكان من الشرفاء هنا، يا سيّد بوكوفسكي!»

«نعم، هم شرفاء جدًّا إلى حدّ يصعد فيه أحد أولاد القحبة مرة كل أسبوعين إلى السقف ويقفز قفزة رأس مباشرة باتجاه الإسمنت بين هذه الشجيرات الاصطناعيّة!»

«أمهلك حتّى الظّهيرة لتنصرف من هنا يا سيّد بوكوفسكي».

«ما الساعة الآن؟»

«الثامنة صباحًا».

«شكرًا».

أقفلت السماعة. عثرت على الصودا، شربت من كأس مستعملة. ثمّ وجدتُ بعضًا من النبيذ. أزحت الستائر ونظرت إلى الشمس. هذا عالم صعب، لا شيء جديد، لكني كرهت الحيّ الإجراميّ. أحب الغرف الصغيرة، الأماكن الصغيرة التي يمكن أن يحاول المرء أن يحيا فيها. امرأة، ومشروب، لكن بلا عمل يومًا تلو يوم. لم أنجح في العثور على مكان كهذا. لم أكن ذكيًا بما يكفي. فكرت في القفز من الشباك، لكني لم أقو. ارتديت ملابسي ونزلت متوجهًا إلى حانة تومي هاي. كانت البنات يضحكن في طرف الحانة مع شخصين. عرفني السّاقي مارتي. لوّحتُ له بتركي وشأني. لا مال. جلست هناك.

وصلني الويسكي والماء، ومعهما ورقة.

«قابلني في فندق روتش، غرفة ١٢، في منتصف الليل. سأحجز غرفة لكلينا، مع حبي، ليندا».

تناولت المشروب، انصرفت من هناك، جربت فندق روتش في منتصف الليل. قال لي موظف الاستقبال: «لا يوجد حجز لغرفة ١٢ باسم بوكوفسكي». عدت في الواحدة ليلًا. أمضيتُ طيلة النهار في المتنزه، وجلستُ طيلة الليل. الأمر ذاته. «لا حجز لغرفة ١٢، يا سيّدي».

«هل يوجد حجز لأي غرفة باسمي أو باسم ليندا بريان؟»

فحص في سجلّاته.

«لا يا سيّدي».

«هل تمانع بأن ألقي نظرة على غرفة ١٢؟»

«لا يوجد أحد هناك، يا سيّدي. قلت لك يا سيّدي».

«أنا عاشق، يا رجل. آسف. أرجوك دعني ألقي نظرة!»

حدجني بنظرة من تلك النظرات التي يوجّهونها إلى حمقى من الدرجة الرابعة، ورمى إليّ بمفاتيح الغرفة.

«عد إلى هنا في غضون خمس دقائق وإلّا ستكون في ورطة».

فتحت الباب، أضأت الأضواء- «ليندا!»- برؤية الأضواء، هربت الصراصير مختبئة بين ورق الجدران. كان هناك آلاف منها. عندما أطفأت الضوء أمكنني سماعها تزحف باتجاه الخارج من جديد. بدا ورق الجدران جميلًا مثل جلد صرصور ضخم.

نزلت في المصعد عائدًا إلى موظف الاستقبال.

«شكرًا»، قلت. «صدقت. لا يوجد أحد في غرفة ١٢».

للمرة الأولى بدا صوته مؤدّبًا.

«آسف يا رجل».

قلت: «شكرًا».

عندما خرجت من الفندق توجهت يسارًا، وقد كان شرقًا، حيث المنطقة الإجراميّة. عندما قادتني قدماي إلى هناك بصعوبة تساءلت، لماذا يكذب الناس؟ الآن لم أعد أتساءل ولكن ما زلت أذكر، والآن عندما يكذبون أعرف ذلك تقريبًا من أول لحظة يكذبون فيها، لكني لست ذكيًا مثل موظف الاستقبال ذاك في فندق الصراصير الذي كان يدرك أن الكذب موجود في كل مكان، أو مثل البشر المارّين من نافذتي وأنا أشرب النبيذ في ساعات ما بعد الظهر الحارة في لوس أنجلوس قبالة مكارثر بارك، حيث لا يزالون يمسكون البطّ، ويقتلونه ويأكلونه، ويفعلون ذلك مع البشر أيضًا.

الفندق لا يزال موجودًا هناك، وكذلك الغرفة التي سكنّا فيها، وإذا أردتم أن تقفزوا يومًا سأريكم إياها. لكن لا جدوى من ذلك، أليس كذلك؟ دعونا نقول إنّه في إحدى الليالي نكتُ ثلاث نساء أو أنّهن نكنني، وهذا يكفي لسرد قصّة.

ثلاث دجاجات

كانت فيكي امرأة لا بأس بها، ولكننا عانينا من المشاكل. شربنا نبيذ البورت. هذه المرأة إذا سكرت شرعت في الكلام، ومن شأنها أن تفتري عليّ بأبشع الأشياء. وكانت نبرة صوتها زائفة وفيها لثغة ومزعجة ومجنونة. كان من شأن ذلك أن يثيرَ أعصاب أيّ رجل. وقد أثارت أعصابي.

في إحدى المرّات، صرخت بهذا الجنون وهي تجلس في سرير شقتنا القابل للطيّ. توسلتُ إليها أن تتوقف. لكنها لم تفعل. أخيرًا، اتجهت صوبَها، رفعتُ السرير وهي تجلس فيه، وطويتُ كل شيء في الحائط.

ثم عدتُ وجلست أستمع إلى صراخها.

لكنها ظلت تصرخ، حتى ذهبتُ وسحبتُ السرير من الحائط مرة أخرى، بينما جلست هي هناك تمسك يدها، وتدّعي أنها كسرت.

قلت: «لا يمكن أن تكون يدك قد كسرت».

«إنها مكسورة، إنها مكسورة، أوه. أيها الوغد المستمني، كسرتَ يدي!»

شربتُ قليلًا لكنها ظلّت تمسك يدها وتئنّ. في النهاية سئمت وقلتُ لها سأعود حالًا. خرجتُ من الشّقة وعثرتُ على بعض

الصناديق الخشبية القديمة وراء محل بقالة. وجدت ألواحًا خشبية قوية وفي حالة جيدة. سرقتُها، وأخرجتُ منها المسامير. عدتُ إلى المصعد وصعدتُ إلى شقتنا.

تطلب الأمر حوالي ٤ ألواح. أوثقتها من حول يدها بقطعة قماش مزقتها من أحد فساتينها. سكتت مدّة ساعتين. ثم عادت تصرخ من جديد. لم أستطع تحمل ذلك أكثر. لذلك طلبت سيارة أجرة، وذهبنا إلى المستشفى العموميّ. لحظة مغادرة التاكسي أزلتُ الألواح عنها وألقيت بها في الشارع.

ثمّ أجروا تصويرًا بالأشعة السينية لصدرها وجبّروا يدها بالجبص. هل يمكنكم أن تتخيلوا ذلك؟

أظن أنها لو كسرت رأسها لكانوا صوّروا مؤخرتها.

على أيّ حال، جلسَت لاحقًا في الحانات وقالت: «أنا المرأة الوحيدة التي تمّ طيّها في حائط في سرير قابل للطيّ».

وأنا لم أكن واثقًا من ذلك تمامًا، لكني سمحتُ لها بأن تواصل.

مرة اخرى أثارت أعصابي فصفعتها ولكنّ الصفعة كانت في الفم فكسرت سنّ العيرة.

فوجئت أن سنّها العيرة قد كُسر. خرجت واشتريت لها صمغًا لاصقًا ذا جودة عالية وألصقت لها سنّها. نجح الأمرُ لفترة من الوقت، وفي إحدى الليالي وبينما كانت تجلس وتشرب النبيذ امتلأ فمها فجأة بالأسنان المكسورة.

كان النبيذ قويًا لدرجة أنه نفذ إلى الصمغ اللاصق. كان الأمرُ مقززًا. كان علينا أن نأتي لها بأسنان جديدة. لا أذكر تمامًا كيف فعلنا ذلك، لكنها ادّعت أنها جعلتها تبدو كالحصان.

عادة ما دارت بيننا نقاشات كهذه بعد أن نشرب، وادعت فيكي أني أصبحُ قاسيًا وأنا مخمور، لكني أعتقد أنها هي القاسية من بيننا. على أيّ حال، في لحظة ما أثناء النقاش كانت تنهض، وتغلق الباب وتركض صوب إحدى الحانات. «تبحث عن شخص حيّ»، كما تقول الفتيات.

كنت أشعر دائمًا بالضيق عندما تغادر. عليّ أن أعترف. أحيانًا كانت تغيب لمدة يومين أو ٣ أيام بلياليها. لم يكن ذلك أمرًا لطيفًا.

في إحدى المرّات، ركضتَ صوب الخارج، بينما جلستُ أنا هناك وشربتُ النبيذ، وفكرتُ في الأمر. ثم قمتُ وتوجهت صوب المصعد ونزلت أنا أيضًا إلى الشوارع. وجدتها في الحانة المفضلة لديها. جلست هناك تمسك بوشاح أرجواني. لم أر الوشاح الأرجواني من قبل. تُخفي عني أشياء. اتّجهتُ صوبَها وقلت بصوتٍ عالٍ جدًا:

«لقد حاولت أن أجعل منك امرأة ولكنّك لستِ سوى عاهرة لعينة!»

امتلأت الحانة على آخرها. كل المقاعد كانت مشغولة. رفعتُ يدي نحوها. صفعتها صفعة أزاحتها عن كرسيها اللعين. سقطت على الأرض وصرخت.

حدث ذلك في الجانب الخلفي للحانة. لم أستدر حتى لأنظر إليها. مشيت على طول الحانة حتى خرجت، ثم استدرت وتوجهت إلى الحانة. كانت هادئة جدًا.

قلت لهم: «اسمعوا. إذا كان هنا شخص لا يعجبه ما فعلت، فلينهض وليقل شيئًا».

ساد هدوء أكبر.

استدرت وفتحت الباب. لحظة خرجت إلى الشارع سمعتهم يهذرون هناك في الداخل، يهذرون
ويلغطون!
«السّفلة! لم يكن بينهم حتّى رجل واحد!»
لكنها، عادت بالطبع لمواصلة الحكاية، جلسنا في إحدى الليالي نشرب النبيذ وقد عادت النقاشات القديمة ذاتها من جديد. هذه المرة قررت أن أغادر.
«سأخرج من هذا الجحر اللعين!» صرخت في وجه فيكي. «لم يعد بإمكاني احتمال مهاتراتك!»
قفزَت قبالة الباب.
«على جثتي، وهذا هو السبيل الوحيد لتخرج من هنا!»
«حسنًا، إذا كان هذا هو الحلّ».
صفعتها صفعة قوية فسقطت أمام الباب. اضطررت إلى إزاحة جسدها كي أتمكّن من الخروج.
نزلتُ في المصعد. كان شعوري جيدًا. اجتزتُ ٤ طوابق. كان المصعد مثل قفص برائحة جوارب قديمة، وقفازات قديمة، ومماسح رثة قديمة، لكنه أعطاني شعورًا بالأمان والقوة - بطريقة أو بأخرى - وتسرّب النبيذ في عروقي.
ولكنّي بعد ذلك خرجت، وغيرّت رأيي. ذهبت إلى محل الخمور. اشتريت ٤ قارورات من النبيذ وعدت إلى شقتي وركبت المصعد صاعدًا إلى أعلى. نفس الشعور بالأمان والقوة. عدتُ إلى شقتي. كانت فيكي تجلس على كرسي وتبكي.
قلت لها: «عدتُ إليكِ، يا حبيبتي المحظوظة».
«أيها الوغد، ضربتني، لقد ضربتني!»

قلت: «أممم». وفتحت قارورة جديدة. «وإذا واصلتِ سأضربك من جديد».

صرخَت: «**نعم! ستضربني لكنّك لا تملكُ خصيتين لتضرب رجلًا!**»

صرختُ فيها: «**طبعًا لا! ما كنتُ لأضرب رجلًا في حياتي! هل تحسبينني مجنونًا؟ ما علاقة بذلك بك، اللعنة!**»

أسكتها هذا لبعض الوقت، وجلسنا وشربنا كأسًا تلو الأخرى من نبيذ البورت.

ثم عادت من جديد إلى كلامها السيئ، كلام عادة ما يكون حول استمنائي أثناء نومها.

حسنًا، حتى لو كان ذلك صحيحًا، وأظنّ أن هذا ليس من شأنها، أو غير صحيح، هي **فعلًا** مجنونة. ادّعت أني أستمني في حوض الاستحمام، وفي الخزانة، وفي المصعد، في كل مكان.

في كلّ مرة خرجتُ من الحوض ركَضت إلى الحمام، وصرخت على نحو:

«**ها هو! أراه! انظر!**»

«مجنونة، هذا مجرد وسخ حول الحوض».

«**لا، إنه منيّ! إنه منيّ!**»

أو أنها دخلت الحمام راكضة تحت ذراعي أو بين ساقيّ وأنا أستحمّ وتقول «انظر، انظر، **انظر! كنت تفعلها!**»

«أفعل ماذا؟ ألا يمكن لرجل أن يغسل خصيتيه؟»

«ما هو ذلك الشيء البارز هناك؟»

«سبابتي اليسرى. الآن **اخرجي من هنا، اللعنة!**»

«أو أكون نائمًا في السرير، وفجأة أجد تلك اليد تمسك بشيئي،

يا رجل، أكون نائمًا في منتصف الليل، وأجد هذه الأظافر!»

«آها! ضبطتك! ضبطتك!»

«مجنونة، في المرة القادمة إذا فعلتها أقسم أنّي سأقتلك!»

«ضبطتّك! ضبطتّك! ضبطتّك!»

«بالله عليك، اخلدي للنوم. . .».

في إحدى الليالي جلسَت وصرخَت بتهم الاستمناء التي اتهمتني بها. بينما جلستُ وشربتُ نبيذي ولم أنكر شيئًا. وهذا ما جعلها تغتاظ أكثر فأكثر.

أخيرًا لم تعُد تحتمل ذلك، كلّ حديثها دار حول الاستمناء، أقصد أني أستمني بيدي، وأني أجلس هناك وأبتسم لها، فقفزت من مكانها وركضت صوب الباب.

سمحتُ لها بالذهاب. جلستُ وشربت نبيذي، من صنف بورت.

كالعادة.

فكّرت في الأمر. أمم، أمم، حسنًا.

وبأريحية، قمتُ من مكاني ونزلت في المصعد. نفس الشعور القديم بالقوة. لم أغضب. كنت في غاية الهدوء. ببساطة نفس الحرب القديمة.

مشيت أسفل الشارع ولكني لم أذهب إلى حانتها المفضلة. لماذا أكرر نفس المسرحية؟ أنت عاهرة؛ حاولت أن أجعل منك امرأة. هراء. بعد مدة، يبدو المرء سخيفًا جدًا. لذلك قصدتُ حانة أخرى، وجلست على كرسي بالقرب من الباب. طلبت مشروبًا وارتشفتُ جرعة، وضعته على الكونتوار، ثم رأيتها. فيكي. كانت في الطرف الآخر من الحانة. بدت لسبب ما خائفة جدًا.

لكني لم أذهب إليها. فقط نظرت إليها كما لو إنّي لم أعرفها.

ثم انتبهت إلى امرأة جلست بجواري ترتدي فراء ثعلب من الطراز القديم. الطراز. كان رأس الثعلب معلّقًا فوق صدرها وينظر إليّ. كان صدرها ينظر إليّ.

قلتُ لها: «يبدو أن ثعلبكِ بحاجة إلى مشروب يا حلوتي».

«إنّه ميّت، لا يحتاج إلى مشروب. أنا من تحتاج إلى مشروب وإلّا متّ».

حسنًا، أيّها الرجل اللطيف. من أكون لأنشر الموت؟ اشتريت لها المشروب. قالت لي إن اسمها مارجي. قلت لها إن اسمي توماس نايتنغيل، وإنّي بائع أحذية. كل هؤلاء النّسوة لهنّ أسماء، يشربن، يهذرن، يحضنّ، يضاجعن الرجال، ويطوَين داخل الجدران. كان ذلك مبالغًا.

شربنا مرتين إضافيتين، وكانت قد نبشت في حقيبتها، وأرتني صورة أطفالها، صبيًا مجنونًا وفتاة قبيحة بلا شعر، سكنا في مكانٍ ممل في ولاية أوهايو، كانا بصحبة والدهما. أوه، الأب وحش، يكسب المال. بلا حس فكاهة، وبلا تفهم. آه، واحد من هؤلاء؟ جلب النساء إلى المنزل وضاجعهن أمام عينيها والأضواء مشتعلة.

قلت: «آه، أفهم، أفهم. نعم، بالطبع، معظم الرجال وحوش، إنهم ببساطة لا يفهمون. وأنت عذبة جدًا، اللعنة، هذا ليس عدلًا».

اقترحت أن نذهب إلى حانة أخرى. كانت مؤخرة فيكي متقلصة وكانت نصف هندية.

تركناها هناك. ذهبنا إلى ركن في الشارع. طلبنا مشروبًا آخر عند الركن.

ثم اقترحت أن نذهب إلى شقتي. نأكل قليلًا. أعني، نشتري شيئًا لطهي الطعام، الشواء، القلي.

لم أحك لها عن فيكي، بطبيعة الحال. ولكن فيكي تفاخرت دائمًا بدجاجها المشوي اللعين. ربما سبب ذلك أنها تبدو هي نفسها كالدجاج. دجاجة مشوية بأسنان حصان.

ولذا اقترحت أن نشتري دجاجة، نشويها، ونغمسها بالويسكي.

لم تبد اعتراضًا.

هكذا إذن. محل الخمور. خمس قارورة ويسكي. ٥ أو ٦ ليترات من البيرة. وجدنا سوبر ماركت مفتوحًا طيلة الليل. حتى إن الجزار موجود هناك.

قلت: «نريد أن نشوي دجاجة».

قال: «أوه، يا إلهي».

أوقعتُ إحدى زجاجات البيرة. فانفجرت تمامًا.

قال: «أوه، يا إلهي».

أوقعت زجاجة أخرى لأرى ماذا سيقول.

قال: «أوه، يا إلهي».

قلت: «أريد ثلاث دجاجات».

«ثلاث دجاجات؟»

قلت: «أوه، يا إلهي، نعم».

مدّ الجزار يده إلى الداخل وأخرج ثلاث دجاجات بيضاء - صفراء جدًا وعليها بعض الشعر الطويل الذي لم يُنظّف وقد بدا مثل شعر الإنسان، ولفّها جميعها بحزمة كبيرة جدًا، جميعها بورق وردي صلب وشريط لاصق حقيقي. دفعت له وخرجنا من هناك.

كسرتُ لترين إضافيين من البيرة في الطريق.

صعدنا بالمصعد، وشعرت بأنّ قوتي تتزايد. عندما وصلنا إلى باب الشقة رفعت فستان مارجي لأرى كيف تربط جواربها. ضربتها ضربة كبيرة وودية على مؤخرتها بأصابع يدي اليمنى. صرخت وأوقعت الحزمة الوردية الكبيرة. سقطت فوق السّجادة ومعها الدجاجات الثلاث، كلها بيضاء- صفراء اللون وعليها شعر آدمي متدلٍ منحور يطلّ منها. بدت غريبة جدًا بنظرتها المشدوهة فوق السجادة البالية بزهورها وأشجارها الصفراء والبنيّة، وتنانينها الصينية، وأضواء لوس أنجلوس الكهربائية في نهاية العالم عند شارع ٦ وشارع اليونيون.

«أووه، الدجاج».

«اللعنة على الدجاج».

كان رباط جواربها متسخًا. كان ذلك مثاليًا. ضربتُها على مؤخرتها مرة أخرى.

حسنًا، اللعنة، بعدها جلست وفتحت قارورة الويسكي، ملأت كأسين على آخرهما، انتزعتُ الحذاء والبنطال والقميص، وأخذت سيجارة منها. جلست مرتديًا ملابسي الداخلية. أفعل ذلك على الدّوام، من البداية. أحب الإحساس بالراحة. إذا كانت الأنثى لا تحب ذلك، فلتذهب إلى الجحيم. يمكنها أن ترحل. لكنهن يبقين دائمًا. لي أسلوب. بعض الإناث يقلن إنه كان ينبغي أن أكون ملكًا، والبعض الآخر يقلن أشياء أخرى. اللعنة عليهنّ.

شربَت معظم مشروبها، ومدّت يدها إلى حقيبتها. «لدي أطفال في ولاية أوهايو. هم أطفال رائعون...».

«انسي أمرهم. اجتزنا تلك المرحلة. قولي لي، هل تمصين الأير؟»

«ماذا تقصد؟»

«أوه، اللعنة!» كسرتُ كأسي في الحائط.

ثم ملأت كأسًا أخرى، على آخرها، وشربت قليلًا.

لا أدري كم من الوقت قضينا نشرب الويسكي لكن الأكيد أنه أثر فيّ لأن الشيء التالي الذي أذكره أنني رقدتُ في السرير عاريًا. حدقت في الضوء الكهربائي، ووقفت مارجي هناك عارية. فركت أيري بسرعة بفرائها. ثم عادت وقالت وهي تفرك «سوف أنيكك، سوف أنيكك...».

قلت: «اسمعي، لا أعرف ما إذا كنتِ قادرة على نيكي، فقد استمنيت في المصعد في وقت سابق هذا المساء. وأعتقد أن الساعة كانت حوالي ٨:٠٠».

«سأنيكك في جميع الأحوال».

مرّرت فراء الثعلب. كان ذلك جيدًا. لعلّي أشتري فراءً لي. عرفتُ يومًا شخصًا وضع كبدًا حيًا في كأس ماء طويلة وناكها. شخصيًا، لا أحب أن أحشر أيري في شيء قابل للكسر أو التمزيق. تخيلوا، أن أذهب إلى الطبيب بأيرٍ ينزف وأخبره أني نكت كأس ماء. في إحدى المرات وبينما كنت أتسكّع في بلدة صغيرة في تكساس، رأيت امرأة شابة بدت جميلة، كانت تستأهل النيك. كانت متزوجة من قزم عجوز سيّئ المزاج، عصبي طيلة الوقت ومصاب بمرض سبّب له رعشات متواصلة. ساندته ودفعته بكرسي متحرك في كل مكان، وكنتُ أفكر فيه وهو ينقض على كل هذا اللحم الجيّد. رسمتُ في خيالي الوضعية، كما تعلمون، وفي النهاية سمعتُ كل الحكاية. عندما كانت فتاة شابة انحشرت زجاجة كوكا-كولا في فرجها وأخفقت في انتزاعها، فاضطرت للذهاب إلى الطبيب. أخرج

الزجاجة، وبطريقة ما انكشفت الحكاية وضاعت سمعتها في تلك البلدة بعد ما حصل. لم تملك العقل الكافي لترحل. لم يرغب فيها أحدٌ باستثناء القزم المنفّر صاحب الرعشات. لم يأبه بالزجاجة - فقد حظيَ بأفضل مؤخرة في البلدة.

أين كنتُ؟ أوه، نعم.

فركت بفرائها أسرع، وأخيرًا بدأ يتحرّك عندي عندما سمعت صوت مفتاح في الباب. أوه، اللعنة، مؤكد أنها فيكي!

حسنًا، الأمر بسيط، فكرت. كل ما عليّ القيام به أن أضربها على مؤخرتها ولتبتعد عن شؤوني.

فتح الباب ووقفت فيكي هناك برفقة اثنين من رجال شرطة يقفان خلفها.

صرخَت: «أخرج هذه المرأة من بيتي!»

أيها الشرطيان! لم أستطع أن أصدق ذلك. سحبت الملاءة مخبئًا أيري الضخم، الخافق النابض، وتظاهرت بالنوم. بدوتُ وكأني أمسك خِيارًا هناك.

صرخت مارجي فيها: «أعرفك يا فيكي، وهذا ليس بيتك اللعين! هذا الرجل يكسب رزقه من لعق شعر عانتك! يجعلك ترتعشين حتى السماء بلسانه الطويل الخشن، أنت لا شيء سوى عاهرة، عاهرة زرقاء تأكل الخراء لقاء دولارين، وهذا كان يواعد فرانكي د. وكنتِ وقتها في الثامنة والأربعين!»

عندما سمعت ذلك، ذبُلت خيارتي. لا بد أن هاتين المرأتين في الثمانين. كل منهما على حدة، أقصد. أمكنهما معًا أن تبلغا سنوات كثيرة إلى الوراء لتمصّا أير إيب لينكولن، أو شيئًا من هذا القبيل. لتمصا أير الجنرال روبلات إي. لي.، وباتريك هنري، وموتسارت،

والدكتور صموئيل جونسون، وروبسبير، ونابليون، ومكيافللي؟ موادّ حافظة للنبيذ. الله يصمت. والمومسات يواصلن المصّ.

صرخت فيكي مرة أخرى: «من العاهرة هنا؟ من العاهرة هنا، آه؟ أنت العاهرة، أنت! أنت تبيعين حفرتك المريضة على طول شارع ألفرادو منذ ٣٠ عامًا! جرذ أعمى كان سيهرب ٤ مرات لو ركض داخله مرة واحدة! وأنت تصرخين «ووو! ووو!» إذا حالفك الحظ وجعلت أحدهم يقذف! وحدث ذلك عندما ناك كونفوشيوس أمه!»

«أيتها القحبة الرخيصة، عليك كرات زرقاء أكثر من شجرة عيد ميلاد فضية في ديزني لاند[١]. أيتها الـ...».

قال أحد الشرطيّين: «اسمعا أيّتها السيّدتان، سأطلب منكن الحرص على لغتكن وخفض الصوت، التفاهم والأدب هما أساس الفكر الديمقراطي. أوه، أنا فقط أعشق طريقة بوبي كينيدي في تسريح شعره الهائج والجميل في جانب واحد من رأسه الجميل، أليس ذلك رائعًا؟»

قالت مارجي: «أيها الشاذ المنيك! هذا سبب ارتدائك البنطال الضيق، حتى يبدو ثقب مؤخرتك أجمل؟ يا إلهي، هو فعلًا يبدو لطيفًا! سأكون سعيدة بنيكك. أراكم، أيها المقرفون الصغار، تنحنون عند نوافذ السيارات وتوزعون مخالفات السير في الطرقات ودائمًا أشعر برغبة بضرب مؤخراتهم الجميلة الضيقة».

التمعت عينا الشرطي الميتتان فجأة فأخرج هراوته وضرب مارجي على رقبتها. وقعت على الأرض.

---

(١) المقصود بذلك أنها امرأة فاجرة.

ثم كبّل يديها بالأساور. أمكنني سماع النقرات، هؤلاء الأوباش يكبلون بقوة. لكن الأساور تعطي شعورًا جيدًا وهي في اليدين، قوية وثقيلة، وتشعر كأنك اليسوع، أو تشعر بشيء درامي.

ظلت عيناي مغلقتين بحيث لم أتمكن من معرفة ما إذا ألقوا عليها رداءً أو أي شيء.

ثم قال الشرطي الذي وضع الأساور للشرطي الآخر: «سآخذها إلى المصعد. سنذهب إلى المصعد».

لم أستطع أن أسمع جيدًا، ولكني استمعت إليهم وهم ينزلون، وسمعت صراخ مارجي، «أووووو، أووووو، أيها الوغدان. أتركاني، أتركاني!»

وظل هو يقول: «اسكتي، اسكتي، اسكتي! أنت تحصلين على ما تستحقين! لم تري شيئًا حتى الآن! إنها مجرد بداية!»

ثم صرخت حقًا.

اتجه الشرطي الآخر صوبي. عبر العين الضيقة، أمكنني أن أراه يضع فردة حذائه الكبيرة السوداء واللامعة على الفراش، فوق الملاءة.

نظر إليّ.

«هل هذا الرجل شاذّ جنسيًا؟ إنه يبدو كالشواذ، مؤكد».

«لا أعتقد أنّه شاذ. قد يكون، لكنه يعرف كيف يلعق لامرأة».

سأل فيكي: «هل تريدين أن أسجنه؟»

واصلت إغماض عينيّ. كان ذلك انتظارًا طويلًا. يا إلهي، كان ذلك انتظارًا طويلًا. تلك القدم الكبيرة هناك فوق الملاءة، الضوء الكهربائي المتوهّج من السقف.

ثم تكلّمت. أخيرًا. «لا، هو شخصٌ طيّب. حسنًا. اتركه».

أنزل الشرطي قدمه. سمعته يجتاز الغرفة، ثم ينتظر عند الباب. تحدث إلى فيكي:

«يجب أن أتقاضى منك ٥ دولارات إضافية لقاء الحماية في الشهر المقبل. مسألة حمايتك تزداد صعوبة».

خرج.

أعني، خرج نحو الرواق. انتظرت حتّى دخل إلى المصعد. سمعته ينزل إلى الطابق الأول. قمت بالعدّ حتى ٦٤. ثم، قفزت عن السرير.

انتفخ منخراي مثل غريغوري بك ساعة غضبه.

«أيتها العاهرة القذرة. إذا فعلتها مرة أخرى، فسأقتلك!»

«لا، لا، لا!»

رفعت يدي لأصفعها نفس الصفعة القديمة.

«قلت له ألا يأخذك!» صرخت فيّ.

«اممم. هذا صحيح، عليّ أن آخذ هذا في الحسبان».

أنزلتُ يدي.

تبقّى شيءٌ من الويسكي والنبيذ أيضًا. قمتُ ووضعت السلسلة في الباب.

أطفأنا الأضواء وجلسنا هناك نشرب وندخن ونتحدث عن أشياء كثيرة. كان حديثًا هادئًا ورائقًا، كسابق عهدنا، ونحن نشاهد الحصان الأحمر نفسه الذي طارّ وطار في النّيون الأحمر بجانب مبنى في وسط المدينة شرقنا. طار وطار بجانب هذا المبنى طوال الليل. بغض النظر عما حدث، كنت أعرف أنه حصان أحمر بأجنحة حمراء من النّيون. ولكني شبق وقلت لكم ذلك. حصان مجنح. على أيّ

حال، أجرينا عدًا كعادتنا: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة.

كانت الأجنحة دائمًا تخفق ٧ مرات. ثم وقف الحصان، وكل شيء، بلا حراك. بعدها بدأ كل شيء مرة أخرى. امتلأت شقتنا بكاملها بالوهج الأحمر. وعندما توقف الحصان عن الطيران، بطريقة أو بأخرى أصبحَ كلّ شي أبيض لوهلة. لا أعرف السبب. أعتقد أن هذا سببه إعلان من تحت الحصان المجنح الأحمر، دُوّن فيه نوعٌ من المنتجات، شراء منتج أو شيء آخر. على كلّ، كان إعلانًا أبيض.

جلسنا وتحدثنا وشربنا ودخّنّا السجائر.

في وقت لاحق ذهبنا إلى الفراش معًا. قبلتني بشكل لطيف جدًا، وكان اللسان شكلا من أشكال الحزن الاعتذاري.

ثم مارسنا الجنس. مارسنا الجنس كما طار الحصان الأحمر.

خفقت الأجنحة ٧ مرات.. كانت الدجاجات الثلاث لا تزال هناك وسط السجادة. تراقب. صارت الدجاجات حمراء، وانقلبت بيضاء. صارت حمراء ٧ مرات، وانقلبت بيضاء ٧ مرات. صارت حمراء ١٤ مرة. ثم انقلبت بيضاء. صارت حمراء ٢١ مرة. ثم انقلبت بيضاء. ٢٨ مرة...

تحولت إلى بيضاء. ٢١ مرة وتحوّلت إلى حمراء. ثم تحوّلت إلى بيضاء. ٢٨ مرة...

في النهاية، كانت ليلة أفضل من معظم الليالي.

١٠ استمناءات

العجوز سانشيز عبقريّ، لكن أنا الوحيد الذي يعرف ذلك، وأعرف أنّ زيارته دائمًا مسألة جديرة. ثلّة قليل من البشر يمكنني المكوث معهم في غرفة لمدة تزيد عن ٥ دقائق من دون أن أشعر بالضيق. اجتاز سانشيز اختباري، وعلى أيّ حال، تسنّت لي رؤيته بين الحين والآخر في كوخه المكوّن من طابقين والذي بناه بمفرده. قام بتثبيت المواسير لوحده، وربط سلكًا امتلكه بأسلاك الكهرباء المركزية. كما أنه ركّب هاتفًا يتصل بالنظام التحت أرضي التابع لأحد الجيران. لكنه يشرح لي أنّه لا يستطيع الاتصال بخارج البلاد أو حتى بخارج المدينة من دون أن تنكشف طفيليّته. هو يعيش حتّى مع امرأة شابة قليلة الكلام، ترسم، تمشي بمظهر جذاب جدًا، وتضاجعه ويضاجعها، بطبيعة الحال. ابتاع أرضًا مقابل مبلغ زهيد، وعلى الرغم من أن المكان يبعد كثيرًا عن لوس انجلوس، إلا أنّ ذلك قد يكون امتيازًا. يجلس بين أسلاكه، ومجلات تعليم الميكانيكا بشكل ذاتيّ، ومجموعات تسجيل الشرائط، ورفوف الكتب في جميع المجالات. هو إيجازي بعيد عن الوقاحة؛ يتميز بروح الدعابة والغموض، يتقن الكتابة ولكنّ الشّهرة لا تعنيه، ومرة كل حين، يخرج من كهفه ويلقي شعره في إحدى الجامعات. ويقال

إن الجدران كانت ترتعش وتهتز لأسابيع بعدها، هذا إلى جانب الطلبة، وقد سجل ١٠,٠٠٠ شريط من المحادثة والأصوات والموسيقى، منها الممل وغير الممل، العادي وغير العادي. الجدران مغطاة بالصور والإعلانات والرسومات والكتل الصخرية، وجلود الثعابين، والجماجم، والأوقية المطاطية المجففة، والسناج، والفضة وبقع من مسحوق الذهب.

قلت له: «أخشى أني أنهار، أحد عشر عامًا في نفس العمل، والساعات تزحف مثل البراز الرطب، واو، وجميع الوجوه الذائبة لدرجة الصفر، تثرثر، وتضحك من أي شيء. لستُ مغرورًا، يا سانشيز، ولكن أحيانًا يتحول الأمر إلى عرض رعب حقيقي والنهاية الوحيدة هي الموت أو الجنون».

«التعقل نقصٌ»، قال متناولًا حبّتي دواء.

«يا إلهي، أعنّي، يحاضرون عنّي في جامعات كثيرة. هناك أستاذ يعدّ كتابا عنّي، وقد تُرجمت إلى عدةلغات»

«ونحن كذلك. أنت تتقدم في السّن يا بوكوفسكي، وتضعف. حافظ على طاقتك. إمّا النصر أو الموت».

«أدولف».

«أدولف».

«عندما تكون الرهانات كبيرة تكون الخسائر كبيرة».

«صحيح، أو العكس عند الإنسان البسيط».

«حسنًا، اللعنة».

«نعم».

صمتنا لبعض الوقت، ثم قال: «يمكنك أن تأتي لتعيش معنا».

«شكرًا، بالتأكيد، يا رجل. ولكن أعتقد أنني سأجرّب شيئًا من الجرأة أولًا».

«إنّها لعبتك».

على الحائط القائم بجانبه، عُلقت لافتة سوداء ألصق عليها بحروف بيضاء:

«فتى ما بكى يومًا، ولا ركض ألف كيلومتر». داتش شولتز[١]، على فراش الموت.

«بالنسبة إلي، فإنّ الغراند أوبرا هي القمّة». آل كابوني.

«لا تخف، يا سيد، من السّلحفاة». لايبنتس.

«لم يعد ثمّة شيء». شعار الثور الجالس[٢].

«عميل الشرطي هو الكرسي الكهربائي». جورج جيسيل.

«سريع وحرّ في أمر واحد،

سريع وحرّ في كلّ شيء.

لم يكن ذلك منصفًا يومًا في عيني. ولن يكون منصفًا في عيونكم. ولا في عيون الآخرين». المحقق باكِت.

«كلمة آمين هي حاصلُ أرقام». -بيكو ديلا ميراندولا، في استنتاجاته الكابالاوية.

«النجاح المتأتّي من الصناعة هو المثل الأعلى للفلاحين». والاس ستيفنس[٣].

---

(١) رجل عصابة أمريكي.

(٢) محارب ورئيس قبيلة هندية.

(٣) شاعر أمريكي.

«بالنسبة إليّ، برازي هو الأكثر قرفًا، باستثناء براز كلب». تشارلز بوكوفسكي.

«الآن حُشِدَ الإباحيّون في المحرقة». أنتوني بلومفيلد.

«قول مأثور عن العفوية- الأعزب يطحن بنفسه قطعة الشوكولاتة». مارسيل دوشامب.

«قبّل اليد التي لا يمكنك قطعها». مثل أمزيغي.

«جميعنا كنّا يومًا أذكياء». أدميرال ساينت فينسينت.

«حلمي أن أخلّصهم من الطبيعة». كريستيان ديور.

«افتح يا سمسم- أريد الخروج». ستانيسلاس جيرسي ليك.

«مقياس المتر لا يعني
أن الغرض المقاس
هو بطول متر». لودويغ فيتغنشتاين.

أنا ثمل من البيرة. «اسمع، أعجبني الأخير: الغرض الذي يجب قتله ليس بالضرورة أن يكون بطولِ متر».

«أعتقد أن هذا أفضل، لكنّ ليس هذا ما هو مكتوب».

«حسنًا. كيف حال كاكا؟ هذه كلمة تعني برازًا بلغة الأطفال، واسم أجمل امرأة رأيتُها في حياتي».

«أعرف، وقد بدأ الأمر بكافكا. أحبت كافكا فنادَيتُها باسمه، ثم غيّرته بنفسها». نهض ومشى باتجاه صورة. «تعال إلى هنا يا بوكوفسكي». رميتُ بيرتي في حاوية القمامة واتجهت صوبه.

«ما هذا؟» سأل سانشيز.

تأمّلتُ الصورة. إنها صورة جيدة جدًا.

«حسنًا، يبدو الرّسم وكأنّه أير».

«أي نوع من الأيور؟»

«أير منتصب. كبير».

«إنه أيري».

«إذن؟»

«ألا تلاحظ؟»

«ماذا؟»

«المنيّ»

«نعم، أنا أراه. لم أرد أن أقول...».

«لم لا؟ ما مشكلتك بحقّ الجحيم؟»

«لا أفهم».

«أقصد، هل ترى المنيّ أم لا؟»

«ماذا تقصد؟»

«أقصد أنّي أستمني، ألا تفهم كم من الصّعب القيام بذلك؟»

«ليس أمرًا صعبًا، يا سانشيز، فأنا أفعله طيلة الوقت...».

«أوه، أيّها الثور! أقصد أنّي ربطتُ الكاميرا بخيط. هل يمكنك أن تتخيل أيّ مجهودٍ بذلت للحفاظ على التركيز، لبلوغ القذف، ولتشغيل الكاميرا في نفس الوقت؟»

«أنا لا أستخدم الكاميرا».

«كم رجلًا يستخدم الكاميرا؟ أنت كالعادة تفوّت النقطة الأساسية. كيف بحق الجحيم يترجمونك إلى الألمانية والإسبانية، والفرنسية وغيرها، لن أفهم ذلك أبدًا! اسمع، هل تدرك أنّه يلزمني ثلاثة أيّام لتصوير هذه الصورة البسيطة! هل تعرف كم مرّة اضطررت إلى الاستمناء؟»

«٤ مرات؟»

«عشر مرّات!»

«يا إلهي! ماذا عن كاكا؟»

«أعجبتها الصورة».

«أقصد. . .».

«يا إلهي، يا فتى، لا لسان لي يرد على سذاجتك».

اتجه إلى الجانب الآخر للغرفة، وجلس من جديد على كرسيّه بين أسلاكه وكماشاته وترجماته ودفتره الضخم من نوع بيتر-ليب. يلتصق أنف أدولف بالجانب الخلفيّ، وفي الخلفية تشطيبات العمل في خندق برلين.

قلت له: «أشتغل الآن على شيء، قصة أجري فيها حوارًا مع ملحّن شهير. هو سكران. أنا بدأت أسكر. له خادمة. كلانا نشرب النبيذ. يميل إلى الأمام وأقول له، «الخنوعون سيرثون الأرض. . .»».

«حقًا؟»

«ثم يقول، ترجمةً، فإنّ هذا يعني أن الحمقى يصمدون أكثر من الجميع».

قال: «وضيع جدًا، لكن لا بأس به لك».

«لكني لا أدري ماذا أفعل في القصة. لدي خادمة تتجول بفستان قصير جدًا ولا أدري ماذا أفعل معها. الملحن مخمور، وأنا مخمور، وهي تمشي وتختال بمؤخرتها الفاتنة، ولا أدري ماذا أفعل بهذا. فكرت، لعلّي أستطيع إنقاذ القصة لو أقوم بجلد الخادمة بإبزيم حزامي ثم أمص أير الملحّن. لكني لم أمص أيرًا في حياتي، لم أشعر يومًا برغبة في ذلك، أنا غبي، لذا تركت القصة في المنتصف ولم أكملها».

«كل رجل هو مثليّ، يمص أيورًا؛ كل امرأة هي سحاقية. لمَ أنت قلق إلى هذا الحدّ؟»

«لأني لو لم أكن أكن سعيدًا لكنتُ في وضع سيئ، ولا أريد أن أكون في وضع سيئ».

جلسنا هناك مدة من الوقت ثم نزَلَت من الطابق العلوي، بشعرها الناعم الطويل.

أعتقد أنّها كانت أول امرأة أمكنني أن آكلها.

لكنها مرّت من جانب سانشيز ولسانه لعق شفتيه قليلًا، مرّت من جانبي وشعرتُ كأنّ كرات من السحر تقافزت في جسدي، ليت السماء تقبّل خصيتيّ لو لم يكن ذلك صحيحًا، مرّت من جانب كلّ شيء بكامل بهائها مثل انهيار ثلجيّ تحت الشمس.

قالت: «مرحبًا يا هانك».

«كاكا»، ضحكت.

جلست وراء طاولتها وشرعت في الرسم فيما سانشيز كان جالسًا هناك، ذقنه أشد سوادًا من سحر أسود، ولكن بهدوء، بلا مطالبات. بدأت أسكر، وأقول أشياء فظة، أقول أي شيء. ثم تحوّلت إلى شخص مملّ. أتمتم وأغمغم. «أوه، آسف أنا أفسد مساءكما.. آسف للغاية، أيها المنيكون! نعم أنا قاتل ولكني لن أقتل أيًا منكما. لدي أسلوبي. أنا بوكوفسكي! ترجموني إلى سبع لغات! أنا الواحد الأحد! بوكوفسكي!

هويتُ إلى الأمام في محاولة تأمّل صورة المستمني مرة أخرى، أتعثّر بشيء. فردة حذائي. لدي عادة سيّئة، عادة خلع أحذيتي.

قالت: «توخّ الحذر يا هانك».

سأل: «بوكوفسكي؟ هل أنت بخير؟»

رفعني. «يا رجل، أعتقد أنه من الأفضل أن تبقى هنا هذه الليلة».

«لا، اللعنة، سأذهب إلى حفل الحطّابين!»

الأمر الثاني الذي أعرفه أنه رفعني على كتفه. جرّني سانشيز إلى فراشه في الطابق العلوي، كما تعلمون، حيث يتناكح مع زوجته، وتمدّدتُ فوق السرير، وقد اختفى هو. أوصد الباب ثم سمعتُ موسيقى وضحكًا في الطابق السفلي. كلاهما يضحك، ولكنه ضحك طيّب، ليس حقودًا، وقد حرتُ ماذا أفعل. نتعلّم ألا نتوقّع الأفضل، لا مع الحظ ولا مع البشر، الجميع مخيّبون للآمال في النهاية. ثم فتح الباب، وأشعل الضوء، وقف سانشيز هناك:

«هيه، بوبو، قارورة فاخرة من النبيذ الفرنسيّ.. ارتشف منها على مهلٍ، ستشعر أفضل. ستنام. ستكون سعيدًا. لن أقول إننا نحبك، فهذا أمر سهل للغاية. وإذا أردتَ أن تنزل إلى الطابق السفلي، وترقص وتغنّي، وتتحدث، حسنًا. افعل ما تريد. وهاك النبيذ».

سلّمني القارورة. رفعتها مرة تلو الأخرى مثل بوق مجنون. دلف عبر ستارة ممزقة بعضٌ من ضوء القمر البالي، إلى الداخل؛ هذه ليلة جيدة؛ هنا ليس سجنًا؛ هنا بعيد عن كلّ هذا...

استيقظتُ صباحًا، نزلتُ لأتبوّل، عدت ووجدتهما نائمين على الأريكة الضيقة التي بالكاد تتسع لجسد واحد، ولكنها ليسا شخصًا واحدًا ينام بوجهين، وجسدين ملتصقين نائمين، فلماذا هذه السخافة؟ أشعر فقط بخرمشة صغيرة في الحلق، هي البث التلقائي للكآبة والمحبة، وبأنّ أشخاصًا لديهم ذلك، وأنهم لا يكرهونني، وأنهم يتمنون لي شيئًا، ما هو؟

خرجتُ وأنا قوي وحزين وبي مشاعر، ومريض وكئيب وبوكوفسكي، وعجوز، وشمس مرصعة بالنجوم، يا إلهي، وصلتُ إلى الزاوية الأخيرة، احتفال منتصف الليل الأخير، السيد ك. البارد، ه. الضخم، ماري ماري، نظيفٌ مثل صرصور على الحائط. حرارة ديسمبر مثل شبكة عنكبوت على عمودي الفقري الأبدي. ميرسي مثل طفل كيرواك الميّت يتمدد فوق السكة الحديدية المكسيكية في يوليو الأبدي للقبور الممتصّة. سأتركهما، العبقري وحبيبته، كلاهما أفضل مني، لكن المعنى يتغوط، يتحرّك، يذر الرمل، ربّما أكتبه بنفسي، أحذف شيئًا من التفاصيل (تعرضت للتهديد من مختلف القوى النافذة لقيامي بأشياء عادية، القيام بها متعة).

دخلتُ سيارتي ذات الأحد عشر عامًا
غادرتُ المكان
وجدتُ نفسي هنا
وهنا أكتب لكم قصة غير قانونية صغيرة عن
الحب
شيئًا ساميًا. منّي
ولكن، قد يكون أمرًا مفهومًا
عندكم.
تفضلوا بقبول فائق الاحترام،
سانشيز وبوكوفسكي

ملاحظة - هذه المرة أخفقَت الحرارة. لا تحتفظوا بأكثر مما يمكنكم ابتلاعه: الحب، الحرارة أو الكراهية.

اثنا عشر قردًا طائرًا
لا يتزاوجون كما يجب

قُرع الجرس ففتحتُ النافذة الجانبيّة عند الباب. الوقت ليلًا.

«من هناك؟» سألت.

اتّجه أحدهم صوب النافذة لكنّي لم أنجح في رؤية الوجه. فوق الآلة الكاتبة ضوءان مشتعلان. صفعتُ النافذة، لكن ما زال ثمة لغو في الخارج. جلستُ بجانب الآلة الكاتبة وما زال لغو في الخارج. نهضتُ وفتحتُ الباب على مصراعيه وصرختُ:

«قلت لكم لا تزعجوني أيها المنيكون!»

نظرتُ حولي ورأيتُ شخصًا أسفل السلالم وشخصًا آخر يقف في الرواق ويتبول؛ يتبول على شجيرة نبتت عن يسار الرواق، فيما يقف هو عند الطرف، يتقوس بوله على شكل قوس ثقيلة، نحو الأعلى ثمّ نحو الأسفل على الشجيرة.

قلت: «هيه، هذا الشّخص يتبوّل على شجيرتي».

ضحك الشّخص وواصل التبوّل. أمسكت به من بنطاله، رفعته ورميته، وهو يتبوّل، من فوق الشجيرة إلى الليل.

لم يعُد. قال الآخر، «لم فعلت ذلك؟»

«كانت لي رغبة في ذلك».
«أنت سكران»
سألتُ: «سكران؟»

انعطف عند الزاوية واختفى. أوصدتُ الباب وجلستُ من جديد على الآلة الكاتبة. حسنًا، لديّ هذا العالِم المجنون، وقد علّم القرود الطيران، يمتلك أحد عشر قردًا بأجنحة. في الحقيقة كانت القرود جيّدة، حتّى إنّ العالم علّمها أن تتسابق في ما بينها. سباقات من حول هذه الأبراج، نعم. والآن، لنر. عليّ أن أحبكها. كي تتخلّص من قصّة فإنّك تحتاج إلى المزيد من النيك، إذا أمكن. من الأفضل أن تكون أحد عشر قردًا، ستّة ذكور وستّة من الجنس الآخر. جيّد. بدأت القصّة. بدأ السباق. ها هي تدور حول البرج الأول. كيف أجعلها تتنايك؟ لم أبع قصة واحدة منذ شهرين. كان علي أن أبقى في عملي اللعين في مكتب البريد. ها هي تتحرك حول البرج الأول. لعلّها تحلّق فقط. على نحو مفاجئ. لم لا؟ إنها تطير إلى واشنطن العاصمة، وتحلّق في الجوّ وتخرأ على العامة، تتبول عليهم، تدهن برازها على البيت. لعلّي أمكّن أحد القرود من التغوّط على الرئيس؟ لا، هذا طلب مبالغ فيه. حسنًا، فليخرأ على وزير الخارجية. يصدرون الأوامر بإطلاق النار عليها في السماء. مؤسف، أليس كذلك؟ لكن ماذا عن النيك؟ حسنًا. حسنًا. لنر. أصيب عشرة من هؤلاء المساكين الصغار. تبقى اثنان؛ أحدهما ذكر والآخر من الجنس الثاني. فشلوا في العثور عليهما. في إحدى الليالي، بينما كان أحد رجال الشرطة يمشي في متنزه، عثر عليهما، هذين الاثنين، بأجنحة متشابكة، يتنايكان كالشيطان. دنا الشرطي منهما. سمعه

الذكر، حوّل رأسه، رفع بصره، ابتسم ابتسامة قرود حمقاء، لم يفوّت خفقةً، ثم أدار رأسه وواصل النيك.

فجّر الشرطيّ رأسه. أقصد، رأس القرد. قلبت الأنثى الذكر عنها باشمئزاز ووقفت. أما عن القردة، فإنّها تبدو لطيفة. فكّر الشرطي في، فكر في- ولكن لا، فقد يكون ضيقا جدًا، وقد تعضّه. أثناء تفكيره في الأمر، استدارت وبدأت تحلّق. صوّب الشرطي مسدسه نحوها، وأصابها. سقطت. ركض باتجاهها. أصيبت، لكنّها لم تمت. تلفّت الشرطي حوله. رفعها، أخرج أيره، حاول أن يولجه. لا سبيل. ثمة متّسعٌ للرأس. اللعنة. أسقطها أرضًا، وجّه المسدس نحو دماغها. بوم! انتهى.

قُرع الجرس من جديد.

فتحتُ الباب.

دخل ثلاثة رجال. هؤلاء الرجال دائمًا. لا تتبول امرأة أبدًا عند مدخل بيتي، نادرًا ما تأتي امرأة هنا. من أين ستأتيني الأفكار الجنسية؟ كدتُ أنسى كيف يفعلونها. لكنّهم يقولون إن الأمر أشبه بركوب الدراجة، لا يمكنك أن تنساه أبدًا. إنّه أفضل من ركوب الدراجة.

كان ذلك المجنون جاك واثنان من اللاعبين لا أعرفهما.

قلت: «اسمع يا جاك، ظننت أنّي تخلّصتُ منكَ».

جلس جاك وحسب، وجلس الاثنان الآخران. وعدني جاك أنه لن يأتي إلى هنا أبدًا، لكنه مخمورٌ طيلة الوقت، لذلك لا قيمة لوعوده. يعيش مع أمه ويتظاهر بأنه رسام. أعرف أربعة أو خمسة أشخاص يعيشون مع أمهاتهم، ويتلقون دعمًا منهن، ويدّعون دائمًا أنهم عباقرة. وجميع الأمهات سيان: «أوه، لا أحد يقبل لوحات

نيلسون الفنية. إنّه يسبق زمنه». لكن لنقل إن نيلسون رسام وإنهم علّقوا له لوحة: «أوه، لقد علقوا لنيلسون لوحة فنيّة في وارنر-فينش هذا الأسبوع. لقد اعترفوا أخيرًا بعبقريته! هو يطالب بـ ٤,٠٠٠ دولار ثمن اللوحة. هل تعتقد أن المبلغ مبالغ؟» نيلسون، جاك، بيدي، نورمان، جيمي وكاتيا، اللعنة.

يرتدي جاك الجينز الأزرق، حافي القدمين، بلا قميص، أو بقميص تحتي، شالٌ بنيّ فقط ملقى على كتفيه. أحد أصدقائه له ذقن ويبتسم ويحمرّ خجلًا طيلة الوقت. الرجل الآخر مجرّد شخص سمين. علقة.

«هل رأيت بورست في الآونة الأخيرة؟» سأل جاك.

«لا».

«أعطني واحدة من بيراتك».

«لا. أنتم تأتون إلى هنا، تشربون كل ما عندي من خراء، ثم ترحلون وتتركونني أجدب مثل صحراء».

«حسنًا».

نهض على ساقيه، ركض نحو الخارج وأحضر قارورة النبيذ خاصّته التي خبأها تحت الوسادة فوق الكرسيّ عند المدخل. رجع، أزال السّدادة، وارتشف رشفة.

«كنت في حانة فينيسيا مع امرأة جميلة ومئة حبّة هلوسة. ظننت أني رأيت الشرطة فركضت إلى شقة بورست مع المرأة الجميلة وحبوب الهلوسة. طرقت على الباب وقلت له، «دعني أدخل، بسرعة! لدي مئة حبّة هلوسة والشرطة تتبعني!»

أغلق بورست الباب. ركلته وركضت إلى الداخل مع الجميلة. كان بورست على الأرض، يستمني لأحدهم. ركضت باتجاه الحمام

مع الجميلة وأوصدتُ الباب. طرق بورست على الباب. قلت: «إياك أن تجرؤ على الدخول!» وبقيت هناك مع الجميلة لمدة ساعة تقريبًا. تضاجعنا مرّتين لنسلّي أنفسنا. ثم خرجنا».

«هل تخلّصت من حبوب الهلوسة؟»

«بالطبع لا. كان إنذارًا كاذبًا. ولكن بورست غضب جدًا».

قلت: «اللعنة. لم يكتب بورست قصيدة واحدة طبيعية منذ عام ١٩٥٥. والدته تدعمه. عفوًا. ولكن أعني، كل ما يفعله هو مشاهدة التلفزيون، وتناول أصناف الكرفس الصغيرة واللذيذة والخضر ويشطأ بملابسه الداخلية القذرة. كان شاعرًا جيدًا عندما سكن مع هؤلاء الشبان الصغار في الجزيرة العربيّة. ولكني لا أستطيع أن أتعاطف معه. على الفائز أن يمشي حتى النهاية. كما قال هكسلي، أقصد ألدوس، «كلّ إنسانٍ يمكن أن يكون...».

«كيف حالك؟» سأل جاك.

قلت: «لا شيء سوى الرفض».

شرع أحد أصدقاءه بالعزف على الناي. جلس العلقة هناك وحسب. رفع جاك قارورته النبيذ. كانت ليلة جميلة في هوليوود، كاليفورنيا. ثم سقط مخمورًا عن السرير الرجلُ الذي يعيش في السّاحة الخلفيّة. أصدر صوتًا هادئًا. أنا معتاد على ذلك. أنا معتاد على كلّ السّاحة. جميعهم يجلسون في أماكنهم، وظلالهم مجسّمة. يستيقظون ظهرًا. سياراتهم مركونة في الخارج يعلوها الغبار، إطاراتهم تالفة، والبطاريات ضعيفة. يمزجون الكحول بالمنشطات ولا يملكون أيّ مصدر رزق واضح. أنا أستلطفهم. هم لا يزعجونني.

صعد الرجل إلى السرير ثانية، وسقط من جديد.

سمعته يقول: «يا لك من أحمق سخيف، عُد إلى ذلك السرير».

«ما كلّ هذه الضجّة؟» قال جاك.

«الرجل من خلفي. إنّه وحيد للغاية. يشرب البيرة بين الحين والآخر. توفيت والدته في العام الماضي وأورثته عشرين ألف دولار. يجلس ويستمني ويشاهد مباريات البيسبول ورعاة البقر على شاشة التلفزيون. عمل يومًا في محطة وقود».

قال جاك: «علينا أن نغادر. هل تريد أن ترافقنا؟»

«كلا»، قلت.

شرحوا أنّ الأمر له علاقة بما يسمى بـ«بيت الجملونات السبعة». سيلتقون بشخص له صلة بـ«بيت الجملونات السبعة». لن يلتقوا بالكاتب، المنتج، الجهات الفاعلة، وإنما بشخص آخر.

«حسنًا، كلا»، قلت، فغادر الجميع. إنه منظر جميل.

ثم جلستُ وواصلتُ العمل على قصة القرود مرة أخرى. ربما أستطعت أن أفعل شيئًا في أمر هذه القرود. لو أنجح في جعل القرود الاثني عشر تتنايك جملة واحدة! هذا كلّ شيء! ولكن كيف؟ ولماذا؟ فلأفحص الباليه الملكيّ اللندنيّ. ولكن لماذا؟ أكاد أجن. حسنًا، في الباليه الملكيّ اللندنيّ ترد هذه الفكرة. يقوم اثنا عشر قردًا بالتحليق عاليًا وهم يرقصون الباليه. فقط يقوم شخص قبل العرض بإعطاء القرود، ولا راقصي الباليه، قطرة سبانِش فلاي. السبانش فلاي مجرّد خرافة، أليس كذلك؟ حسنًا، يدخل عالِم مجنون آخر مع قطرة سبانِش فلاي حقيقية! لا، لا، يا إلهي، لا أنجح في كتابة ذلك كما يجب!

رن الهاتف. رفعتُ السماعة. كان ذلك بورست:

«مرحبًا هانك؟»

«نعم؟»

«سأختصر. أنا مفلس».

«نعم جيري».

«حسنًا، خسرتُ مشروعيَّ. سوق الأسهم وضيق الدولار».

«أها».

«عرفتُ دائمًا أن هذا وشيك الحدوث، لذلك سأغادر البندقية. لا يمكنني أن أبقى هنا. سأتوجّه إلى مدينة نيويورك».

«ماذا؟»

«نيويروك».

«أعتقد أن هذا ما قلتَه».

«حسنًا، أنا مفلس كما ترى، وأعتقد أني قد أحقق نجاحًا هناك».

«بالتأكيد يا جيري».

«فقدان مموّليّ هو أفضل شيء حدث لي».

«حقًا؟»

«الآن أشعر برغبة في الكفاح من جديد. كنت قد سمعت عن أشخاص يتعفّنون على الشاطئ، وهذا ما فعلته هنا: تعفّنت. يجب أن أرحل من هنا. لست قلقًا من شيء. باستثناء الحقائب».

«أيّ حقائب؟»

«لا أستطيع حزمها. لذلك فإنّ أمّي قادمة إلى هنا».

«حسنًا يا جيري».

«ولكن قبل أن أسافر إلى نيويورك سأهبط في سويسرا وربما في اليونان، ثم أعود إلى نيويورك».

«حسنًا يا جيري، ابق على اتصال. يطيب سماع الأخبار دائمًا».

ثم عدتُ إلى القرود مرة أخرى. اثنا عشر قردًا قادرًا على الطيران، يتنايكون. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ أفرغتُ اثنتي عشرة قارورة بيرة. عثرت على قارورة ويسكي صغيرة احتياطية في الثلاجة. مزجت ثلث كأس ويسكي مع ثلثين من الماء. كان عليَّ أن أبقى في مكتب البريد اللعين، ولكن حتى هناك، كما هو الأمر هنا، الاحتمالات ضعيفة. فقط اجعل هذه القرود الاثني عشر تتنايك. لو وُلِدتَ كَصَبيِّ جِمال في بلاد العرب، لما حصلتَ حتّى على مثل هذه الفرصة. لذا عُد إلى القرود وزاوِج بينها. بورِكتَ بموهبة صغيرة وأنت لستَ في الهند حيث على الأرجح كان من الممكن أن تكتب دستان من الفتية أفضلَ منك لو كانوا يجيدون الكتابة.

ربما ليس دستتين، ربما دستة.

انهيت نصف قنينة، شربت نصف قنينة من النبيذ، وأويتُ إلى الفراش، ونسيتُ الأمر.

في صباح اليوم التالي عند الساعة التاسعة قرع جرس الباب. وقفت فتاة سوداء عند الباب مع رجل أبيض غبي المظهر يرتدي نظارات من دون إطار. قالا لي بأني وعدتهما بأن أرافقهما في رحلة بحرية بالقارب في حفلة لمدة ثلاث ليال. ارتديت ملابسي، وركبت السيارة معهما. سافرا إلى شقة خرج منها فتى أسود الشعر. «مرحبًا يا هانك»، قال لي. لا أعرفه. اتضح أنّي قابلته في حفلة. كان يوزّع أحزمة إنقاذ برتقالية صغيرة. الشيء التالي الذي عرفته أننا كنّا عند أسفل السقالة. لم أميز بين السقالة والماء. ساعداني على النزول عبر أداه خشبية متأرجحة تؤدي إلى رصيف عائم بالماء. كانت هناك مسافة ثلاثة أقدام بين طرف الأداة وبين الرصيف. ساعداني على النزول.

«اللعنة ما هذا؟» سألتُ. «هل لدى أحد مشروب؟»

أنا مع الأشخاص الخطأ. لا أحد يملك مشروبًا. ثم وجدتُ نفسي في قارب صغير، مستأجر، وشخص ما قد ربط إليه محرّكًا بقوة نصف حصان. امتلأ القسم السفلي من القارب بالماء وسمكتين ميتتين. لم أعرف من هم هؤلاء الناس. عرفوني. حسنًا، حسنًا. اتّجهنا إلى البحر. تقيأت. مررنا عن سمكة لزّاق التفّت حول قرد طائر. لا، هذا أمر فظيع. تقيأت مرة أخرى.

«كيف حال الكاتب الكبير؟» سأل الرجل الغبي المظهر في مقدمة المركب، الرجل صاحب النظارات بلا إطار. «أي كاتب كبير؟» سألته، ظانًا أنه يتحدث عن رامبو، رغمَ أنّي لم أعدّ رامبو كاتبًا كبيرًا.

قال: «أنت».

قلت: «أنا؟ أوه، حسنًا. أعتقد أنني سأسافر إلى اليونان في العام المقبل».

قال: «شحوم[1]؟ هل تقصد شحوم مؤخرتك؟»

أجبت: «كلا، شحوم مؤخرتك أنت».

اتّجهنا صوب البحر، حيث كان كونراد. إلى الجحيم يا كونراد.

طلبتُ الكولا مع الويسكي في حجرة نوم مظلمة في هوليوود عام ١٩٧٠، أو في أي عام تقرؤون فيه هذا. العام الذي لم يحدث فيه جماع القرود الجماعيّ. أصدر المحرّك أصواتًا في البحر؛ اندفعنا باتجاه أيرلندا. لا، إنه المحيط الهادئ. اندفعنا باتجاه اليابان. فليذهب كلّ شيء إلى الجحيم.

---

(١) تم التلاعب بين اللفظين grease و Greece.

٢٥ عاطلًا بأسمال

تعرفون كيف يبدو الأمر في رهانات الخيل. تحقّقون نجاحًا كبيرًا وتظّنون أن الأمر انتهى. امتلكتُ شقةً، وحديقة زرعت فيها أصنافًا كثيرة من الزنبق، نَمَت، لتبدو جميلة ورائعة. كانت يدي رابحة. امتلكتُ مالًا وفيرًا. التقنية التي طوّرتها، لم أعد أتذكّرها، لكنها اشتغلت هي ولم أشتغل أنا، وكانت تلك طريقة لطيفة بما يكفي للعيش. وكانت معي كاتي. كانت كاتي مثيرة. العجوز الذي سكن قبالتنا يسيل لعابه كلما رآها. كان دائمًا يدقّ الباب.

«كاتي! أووووو، كاتي! كاتي!»

أفتح الباب، وأنا أرتدي السروال التحتي فقط.

«أووو.. حسبتُ»

«ماذا تريد، أيها المنيك؟»

«حسبت أن كاتي...».

«كاتي تخرأ. هل أترك لها خبرًا؟»

«أنا... أحضرت هذه العظام من أجل كلبكم».

كان معه كيس كبير من عظام الدجاج الجافة.

«إطعام الكلب من عظام الدجاج يشبه وضع شفرة حلاقة

مكسورة في حبوب الأطفال الصباحيّة. هل تحاول أن تقتل كلبي، أيها المنيك؟»

«أوه، لا!»

«إذن خذ كيس العظام وانصرف من هنا!»

«لا أفهم».

«احشُ كيس العظام هذا في مؤخرتك واغرب عن وجهي!»

«كنت فقط أحسب أن كاتي...».

«قلت لك، كاتي تخرأ».

صفقتُ الباب الخلفي في وجهه.

«لا يجب أن تكون قاسيًا هكذا على الضرطة العجوز يا هانك، هو يقول لي إني أشبه ابنته في شبابها».

«حسنًا. إذن فعلها مع ابنته. فلينك جبنة سويسريّة. لا أريده عند بابي».

«أفترض أنّك تظنّ أني أُدخله بعد أن تغادر إلى المسار».

«المسألة لا تخطر في بالي حتّى».

«ماذا يخطر في بالك؟»

«كلّ ما يخطر في بالي من منكما يعتلي الآخر».

«يا ابن العاهرة. يمكنك أن ترحل الآن!»

ارتديتُ قميصي وبنطالي، ثمّ الجوارب والحذاء.

«قبل أن أقطعَ ٤ شوارع من هنا ستكونين في حضنه».

رمتني بكتاب. لم أكن أنظر فأصاب طرف الكتاب عيني اليمنى. أصبتُ بجرح وسالت قطرة دم على يدي وأنا أربط حذائي الأيمن.

«أنا آسفة يا هانك».

«لا تقتربي مني!»

خرجت وركبت السيارة، خرجت من الموقف بسرعة ٣٥ ميلًا في الساعة، حاملًا معي وشيعًا، وبعض الجص من أمام البيت مع مصدّي الخلفي اليساري. كان هناك دم على قميصي وأخرجت منديلي وعقدته حول العين. سيكون سبتًا سيئًا في مسار السباق. غضبت.

راهنت كما لو أن قنبلة ذرية على الطريق. أردت أن أربح عشرة آلاف دولار. راهنت على الاحتمالات الضعيفة. لم أصرف أي تذكرة. خسرت ٥٠٠ دولار. كل ما كان معي. تبقى معي دولار واحد بالضّبط في محفظتي. قدت عائدًا ببطء. ستكون ليلة سبت فظيعة. ركنت ودخلت عبر الباب الخلفي.

«هانك!»

«ماذا؟»

«أنت تبدو كالموت. ماذا حدث؟»

«أخفقت. ضيّعت كل شيء. ٥٠٠».

قالت: «يا إلهي. أنا آسفة. هذا ذنبي». تقدمت نحوي، طوقتني بذراعيها. «اللعنة، أنا آسفة، هذا ذنبي، وأنا أعرف ذلك».

«انسي الأمر. لست أنت من راهن».

«أما زلت غاضبًا؟»

«لا، لا، أعلم أنك لا تضاجعين ذلك الدّيك الهَرم».

«هل يمكنني أن أعدّ لك شيئًا تأكله؟»

«لا، لا، أحضري لنا بعض الويسكي وجريدة».

نهضت متّجهًا صوب المال المدّخر المخبّأ. تبقى معنا ١٨٠ دولارًا فقط. حسنًا، مررتُ بأوضاع أسوأ مرات عديدة، ولكني شعرت بأنّي في طريق عودتي إلى المصانع والمستودعات، هذا إذا

نجحتُ في إيجاد عمل. أخرجت ورقة من فئة عشرة دولارات. كان الكلب لا يزال يحبّني. شددته من أذنيه. لم يكن الكلب يكترث كم أملكُ أو لا أملكُ من المال. كلب حقيقي. نعم. خرجت من غرفة النوم. كانت كاتي تضع أحمر الشفاه أمام المرآة الأمامية. ضربتها على مؤخرتها وقبّلتها خلف الأذن.

«أحضري لي بعض البيرة والسجائر أيضًا. أحتاج أن أنسى».

غادرت وأنا أستمع إلى نقرات كعبها عند المدخل. كانت أفضل امرأة وجدتها، وقد عثرت عليها في حانة. استندت إلى الخلف فوق الكرسي وحدقت في السقف. عاطل. كنت عاطلًا. دائمًا كرهت العمل، سعيت دائمًا للعيش على حظّي. عندما عادت كاتي قلت لها أن تصب لي قدحًا كبيرًا. عرفت. حتى إنها قشرت السوليفان عن السيجار وأشعلته من أجلي. بدت مضحكة، ولطيفة. مارسنا الحبّ. مارسنا الحبّ عبر الحزن. كرهت فكرة خسارة كلّ شيءٍ فقط: السيارة، المنزل، الكلب، والمرأة. كانت الحياة لطيفة وسهلة.

أعتقد أنني كنت مهزوزًا عندما فتحت الجريدة وتصفّحتُ إعلانات «مطلوبون للعمل».

«مهلًا يا كاتي، يوجد شيء. مطلوب رجال، يوم الأحد. الدفع في اليوم نفسه».

«أوه يا هانك، استرح قليلًا غدًا. ستحقق مكسبًا مع تلك الخيول يوم الثلاثاء. عندها كل شيء سيبدو أفضل حالًا».

«ولكن اللعنة يا حبيبتي، كلّ دولار مهم! إنها لا تركض يوم الأحد. يمكنني أن أسكر كما يجب الليلة، ثم أغوص في الخراء غدًا. تلك الدولارات قد تُحدِثُ كلّ الفرق».

نظرت إلي كاتي بغرابة. لم تسمع منّي هذا الكلام من قبل. كنت

أتصرّف دائمًا وكأنّ المال متوفّر في مكان ما. خسارة الـ ٥٠٠ تركتني في صدمة. صبّت لي كأسًا أخرى. شربتها دفعة واحدة. صدمة، صدمة يا إلهي يا إلهي، المصانع. الأيام المهدرة، أيام من دون معنى، أيّام رؤساء وحمقى، والوقت البطيء الوحشيّ.

شربنا حتى الثانية فجرًا، تمامًا كما لو كنّا في حانة، ثم ذهبنا إلى الفراش، مارسنا الحب، ونمنا. ضبطت المنبه عند الرابعة فجرًا، وقد استيقظت وكنت داخل السيارة وسط المدينة عند الساعة ٤:٣٠ فجرًا. وقفت في الركن برفقة ما يقارب ٢٥ عاطلًا يرتدون أسمالًا. وقفوا هناك يلفّون السجائر ويشربون النبيذ.

حسنًا، إنه المال، فكرت. سأعود في يوم من الأيام، سآخذ إجازة إلى باريس أو روما. وليذهب هؤلاء الرجال إلى الجحيم. أنا لا أنتمي إلى هنا.

ثم حدّثني شيءٌ ما بأن هذا ما يفكر فيه الجميع: أنا لا أنتمي إلى هنا. هذا ما يقوله كلّ فردٍ منهم بينه وبين نفسه.

هم محقّون، وماذا بعد؟

وصلت الشاحنة حوالي الساعة ٠٥:١٠ صباحًا وولجنا داخلها.

يا إلهي، أمكنني أن أنام وراء مؤخرة كاتي الجميلة الآن. ولكنه المال، المال.

تحدث الرجال وهم ينزلون من الشاحنة. كانت رائحتهم كريهة، المساكين. لكنهم لم يبدوا بائسين. كنت البائس الوحيد.

في تلك الساعة كنت أستيقظ، وأتبول. أشرب البيرة في المطبخ، وأبحث عن الشمس، وأرى تزايد الضوء، يطلّ على زنابقي الملونة، ثم أعود إلى الفراش مع كاتي.

قال الرجل بجانبي: «هيه، يا رفيق!»

قلت: «نعم».

قال: «أنا فرنسي».

لم أرد.

«هل ترغب في المصّ؟»

قلت: «لا».

«رأيت شخصًا يمصّ لشخص آخر في الزقاق هذا الصباح. كان لذلك الشخص أير أبيض طويل ورفيع وكان الرجل الآخر لا يزال يمص والسائل يقطر من فمه. بقيت أشاهد وتهيّجت بقوة. دعني أمصّ أيرك يا رفيق!»

قلت له: «لا، لا أشعر برغبة الآن».

«حسنًا، إذا كنت لا تستطيع أن تفعل ذلك، بإمكانك أن تمص لي».

قلت له: «انصرف من هنا!»

انتقل الفرنسي إلى الخلف في الشاحنة. مع مرور الوقت كنا قد قطعنا ميلًا آخر وقد تمايل رأسه إلى الأمام وإلى الخلف. فعلها أمام الجميع، لرجل عجوز بدا كأنه هنديّ.

«هيا يا حبيبي هيا، مصه كلّه!!!» قال أحدهم ضاحكًا.

ضحك بعض العاطلين ولكن معظمهم التزموا الصمت، شربوا الخمر ولفوا السجائر. تصرف الهندي العجوز وكأن هذا الأمر لا يحصل إطلاقًا. إلى أن وصلنا إلى فيرمونت كان الفرنسي قد أنهى ونزلنا جميعًا من الشاحنة، الفرنسي، الهندي، أنا وباقي العاطلين. أعطوا لكل واحد منا قصاصة ورق صغيرة ودخلنا إلى المقصف. حظينا بقهوة وكعكة دونات بالقسيمة. رفعت النادلة أنفها. كانت رائحتنا كريهة. مصاصو أيور قذرون.

ثم صرخ أحدهم أخيرًا: «الجميع خارجًا!»

خرجت في أعقابهم إلى غرفة كبيرة وجلسنا على كراسي تشبه كراسي المدرسة، أو الكلية بالأحرى، كما في ساعة الإصغاء للموسيقى، مع لوح كبير من الخشب من تحت الذراع اليمنى بحيث يمكن فتح دفتر والكتابة. على أيّ حال، جلسنا هناك لمدة ٤٥ دقيقة أخرى. ثم قال طفل يسيل مخاط أنفه ومعه علبة بيرة في يده: «حسنًا، أحضروا أكياسكم!»

قفز العاطلون معًا في الوقت نفسه وركضوا إلى غرفة خلفيّة كبيرة. اللعنة، ما الذي يحصل هنا؟ فكرت. مشيت ببطء وتلصصت على الغرفة الأخرى. تدافع العاطلون وتعاركوا من أجل نيلِ أفضل أكياس الورق. كانت المعركة فتاكة ولا معنى لها. عندما ترك الرجل الأخير الغرفة الخلفية تقدّمت ورفعت عن الأرض أول كيس وجدته. كان قذرًا جدًا وممزقًا ومليئًا بالثقوب.

عندما خرجت إلى غرفة أخرى كان كل العاطلين يرتدون أكياسهم فوق ظهورهم. وجدت كرسيًا وجلست هناك وكيسي في حضني. أعتقد أنهم في مرحلة ما حصلوا على أسمائنا، وأعتقد أنه كان علينا قبل الحصول على قسيمة القهوة والدونات أن نسلم أسماءنا. ثم جلسنا هناك، وكانوا ينادوننا في مجموعات مكونة من ٥ أو ٦ أو ٧. استهلك الأمر، على ما يبدو، ساعة من الزمن. على أيّ حال، إلى أن ركبت شاحنة أصغر مع عدد من الآخرين، كانت الشمس وسط السماء. أعطوا لكل منا خريطة الشوارع التي من المفترض أن نوزع فيها الجرائد. فتحت خريطتي الصغيرة. عرفتُ الشوارع من البداية: يا إلهي، من كلّ لوس أنجلوس، أوكلوا إليّ حارتي!

كانت لي سمعة سكير، مقامر، محتال، رجل متخصص في الوظائف المؤقتة. كيف يمكن أن أسمح بأن يروني مع هذا الكيس القذر والممزق على ظهري؟ موزع جرائد يومية مليئة بالإعلانات؟

وضعوني في ركن شارعي. كان محيطًا مألوفًا جدًا، بلا شكّ. ها هو محلّ الزهور، ها هي الحانة، ها هي محطة الوقود، كل شيء... عند الركن، كان بيتي الصغير مع كاتي وهي تنام في سريرها الدافئ. حتى الكلب كان نائمًا. حسنًا، إنه يوم الأحد صباحًا، فكرت. لا أحد يراني. ينامون حتى وقت متأخر. سأركض على طول هذا المسار اللعين، وفعلت.

ركضت على طول شارعين بسرعة كبيرة ولم ير أحد الرجل العظيم صاحب الأسلوب واليدين البيضاوين الناعمتين والعينين الحنونتين الكبيرتين. كدت أنجح في التملص.

وعند الشارع الثالث، سارت الأمور على ما يرام إلى أن سمعت صوت طفلة صغيرة. كانت في فناء منزلها. كان عمرها حوالي ٤ سنوات.

«مهلًا يا سيد!»

«أوه، نعم يا طفلة؟ ماذا هناك؟»

«أين كلبك؟»

«أوه، هاها، إنه لا يزال نائمًا».

«أوه».

كنت دائمًا أتمشى مع الكلب في هذا الشارع. كان هناك ملعب شاغر يتبرز فيه دومًا. هذا قتلني. أخذت جميع الجرائد المتبقية وألقيت بها في الجزء الخلفي من سيارة مهجورة بالقرب من الطريق السريع. ركنت السيارة هناك منذ أشهر ولم يبق منها عجل واحد. لم

أكن أعرف ماذا يعني ذلك، ولكني وضعت كل الجرائد في الجزء الخلفي. ثم سرت عائدًا إلى البيت.

كانت كاتي لا تزال نائمة. أيقظتها.

«كاتي! كاتي!»

«أوه، هانك، كل شيء على ما يرام؟»

ركض الكلب نحوي وداعبته.

«هل تعرفين ماذا فعل أولاد القحبة؟»

«ماذا؟»

«أوكلوا إليّ حارتي لأوزع فيها الجرائد!»

«أوه، حسنًا، ليس أمرًا لطيفا ولكني لا أظن أن أحدًا سيكترث».

«ألا تفهمين؟ بنيت لنفسي سمعة! أنا محتال! لا يمكن رؤيتي مع هذا الكيس اللعين على ظهري!»

«أوه، أنا لا أعتقد أنك تملك هذه السمعة! إنها في الرأس فقط».

«اسمعي، هل ستصبين عليّ هذا القرف؟ مؤخرتك ترقد في هذا السرير الدافئ فيما أنا أتجول مع مجموعة من مصاصي الأيور!»

«لا تغضب. عليّ أن أتبول. انتظر لحظة».

انتظرت هناك في حين كانت هي تتبول بولها الأنثوي الناعس. يا إلهي، هن بطيئات! الفرج آلة تبوّل ليست فعّالة للغاية. الأير أفضل بكثير.

خرجت كاتي.

«من فضلك لا تقلق، يا هانك. سأرتدي حالًا فستانًا قديمًا

وأساعدك في توزيع الجرائد. سوف ننتهي بسرعة. الناس ينامون حتى وقت متأخر يوم الأحد».

«ولكن سبق أن رأوني!»

«رأوك؟ من رآك؟»

«تلك الطفلة في المنزل البني من حوله الأعشاب في شارع ويستمورلاند».

«تقصد ميرا؟»

«لا أعرف اسمها!»

«هي في الثالثة من العمر فقط».

«لا أعرف كم عمرها! سألت عن الكلب!»

«الكلب؟»

«سألت أين هو!»

«هيا تعال، سوف أساعدك في التخلص من الجرائد».

ارتدت كاتي فستانًا ممزقًا قديمًا.

«لقد تخلصت منها. انتهى الأمر. ألقيت بها في الجزء الخلفي من السيارة المهجورة».

«سيكتشفون أمرك؟»

«اللعنة! من يكترث أساسًا؟»

ذهبتُ إلى المطبخ وأحضرتُ بيرة. عندما عدت كانت كاتي في السرير مرة أخرى. جلستُ على الكرسي.

«كاتي؟»

«نعم؟»

«إنك ببساطة لا تدركين مع من تسكنين! أنا رجل صاحب أسلوب، أسلوب حقيقي! عمري ٣٤ عامًا لكني لم أعمل ٦ أو ٧

أشهر منذ أن كان عمري ١٨ عامًا. ولا أملك أموالًا. تأملي يديّ! لي يدا عازف بيانو!»

«أسلوب؟ عليك أن تصغي إلى نفسك عندما تكون ثملًا! أنت فظيع، فظيع!»

«هل تحاولين أن تصبّي عليَّ القرف مرة أخرى، يا كاتي؟ جعلتك ترتدين الفراء منذ أن التقطتك من نزل جين في شارع الفارادو».

لم ترد كاتي.

قلت لها: «في الواقع، أنا عبقريّ ولكن لا أحد يعرف ذلك سواي».

قالت: «قبلت ذلك». ثم دفنت رأسها في الوسادة وعادت إلى النوم.

أنهيت البيرة، وشربت واحدة أخرى، ثم اجتزت ٣ شوارع وجلستُ على درج محل بقالة مغلق حيث قالت الخريطة إنه سيكون المكان الذي سيصطحبني منه الرجل. جلست هناك من الساعة ١٠:٠٠ حتى ٠٢:٣٠ ظهرًا. كان ذلك أمرًا مُضجرًا وجافًا وأحمق ومعذبًا بلا معنى. ثم جاءت الشاحنة اللعينة في الـ ٠٢:٣٠.

«هيه يا رفيق؟»

«نعم؟»

«انتهيت؟»

«نعم».

«أنت سريع!»

«نعم»

«أريدك أن تساعد رجلًا على إنهاء مساره».

أوه، اللعنة.

دخلت الشاحنة ثم أنزلني. كان الرجل هناك. كان يزحف. ألقى كل جريدة بعناية كبيرة عند كل مدخل. كل مدخل عومل بشكل خاص. بدا وكأنه يستمتع بعمله. كان في الشارع الأخير لمساره. انتهيت من كل شيء في غضون خمس دقائق. ثم جلسنا وانتظرنا الشاحنة لمدة ساعة.

أعادونا إلى المكتب وجلسنا من جديد على كراسي المدرسة. ثم حضر طفلان يسيل المخاط من أنفيهما وعلب البيرة في أيديهما. ناديا على أسمائنا وأعطيا لكلّ منا أمواله.

على السبورة كُتب في الطباشير خلفَ رؤوس الأولاد ذوي مخاط الأنف، رسالة جاء فيها:

«كلّ شخصٍ يعمل عندنا ٣٠ يومًا على التوالي
من دون أن يفوّت يومًا
سيحصل على بدلة مستعملة مجانًا».

واصلت النّظر فيما كان كلّ واحدٍ يتسلّم أمواله. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. لكن بدا وكأن كل فرد حصل على ثلاثة دولارات. في حين كان أدنى مستوى للأجر الأساسي دولارًا للساعة. كنت في ذلك الركن في ال ٤:٣٠ صباحًا. كانت الساعة الآن ١٦:٣٠ بعد الظهر. وفق حساباتي، ١٢ ساعة.

كنت من ضمن الأسماء الأخيرة التي نادوا عليها. أظن أنني كنت الثالث من آخر. لم ينبس أيّ من هؤلاء العاطلين بكلمة. أخذوا الدولارات الثلاثة فقط وخرجوا من الباب.

«بوكوفسكي!» صرخ الولد ذو المخاط الأنفي.

سرتُ نحوه. عدّ الولد الآخر صاحب المخاط الأنفيّ ٣ ورقات نقديّة جديدة نظيفة بعناية.

قلت: «اسمع، ألا تعرفون أنّ هناك قانون الأجور الأساسيّة؟ دولارًا للساعة».

رفع ذو المخاط الأنفيّ بيرته. «نحن نخصم المال لقاء المواصلات، والإفطار وغيرها. ندفع فقط لقاء معدّل زمن العمل الذي قررنا أن يكون في حدود ٣ ساعات أو نحو ذلك».

«أرى أني أخسر اثنتي عشرة ساعة من حياتي وعليّ أن أستقلّ حافلة وسط المدينة الآن لأدخل سيارتي وأعود إلى البيت».

«أنت محظوظ بأنّك تملك سيارة».

«وأنت محظوظ لأنّي لا أحشر علبة البيرة في مؤخرتك!»

«أنا لا أحدد سياسة الشركة، يا سيدي، من فضلك لا تلمني».

«سأبلغ عنكم لوزارة العمل!»

«روبنسون»! صرخ الولد الآخر ذو المخاط الأنفي.

قام العاطل الثاني-قبل-الأخير عن مقعده ليتناول الدولارات الثلاثة أجره، وخرجت أنا من الباب واتجهت صوب جادة بيفيرلي. انتظرتُ الحافلة. عندما وصلتُ المنزل وجلست والمشروب في يدي، كانت الساعة ٦:٠٠ أو نحو ذلك. ثمّ سكرت. أصِبت بالإحباط لدرجة أنّي ضاجعتُ كاتي ٣ مرات.

كسرت نافذة. جرحت قدمي بالزجاج المكسور. أنشدتُ أغنيات لجيلبرت وسوليفان، تعلمتُها يومًا من معلّم اللغة الإنجليزية المجنون الّذي درّس مادّة الإنجليزية في السابعة صباحًا في كلية مدينة لوس أنجلوس، كان يُدعى ريتشاردسون. لعلّه لم يكن مجنونًا، لكنه

علمني جيلبرت وسوليفان وأعطاني درجة «كاف» باللغة الإنجليزية لأنّي كنتُ أصل بعد الساعة ٧:٣٠ وبي صداع الخمار، هذا إذا وصلتُ أصلًا. ولكن هذه حكاية أخرى. ضحكنا أنا وكاتي ليلتها، وعلى الرغم من أنني كسرت بعض الأشياء لم أكن مقرفًا وغبيًا كالعادة.

يوم الثلاثاء ذلك في هوليوود بارك، كسبتُ ١٤٠ دولارًا في سباقات الخيل وعدت إلى عادتي من جديد حبيبًا، محتالًا، مقامرًا، قوادًا مقوّمًا وراعيًا للزنبق. قدتُ ببطء إلى الموقف، تلذّذت بآخر لحظات شمس النهار. ثم دخلت بسكينة عبر الباب الخلفي. قامَت كاتي تعدّ رغيفًا من اللحم مع الكثير من البصل والتفاهات والتوابل تمامًا كما أحب. كانت تنحني فوق الفرن عندما أمسكتها من الخلف.

«أوووووو».

«اسمعي يا حبيبتي».

«نعم؟»

وقفت هناك تمسك ملعقة كبيرة تقطر في يدها. مررت ورقة من فئة عشرة دولارات في ياقة فستانها.

«أريدك أن تشتري لي خُمس قارورة ويسكي».

«طبعًا، طبعًا».

«وبعض البيرة والسيجار. سأعتني بالطعام».

خلعت مئزرها وذهبت إلى الحمام للحظة. سمعتُ همهمتها. بعد قليل جلست في مقعدي أستمع إلى نقرات كعبها وهي تنزل باتجاه موقف السيارة. كانت بجانبي كرة تنس. رحت أضرب كرة التنس في الأرض إلى درجة أنها ضربت الحائط وطارت عاليًا في

الهواء. الكلب الذي كان بطول ٥ أقدام وارتفاع ٣ أقدام، نصف ذئب، قفز في الهواء. أطبق أسنانه على كرة التنس، قرب السقف. للحظة بدا معلقًا هناك. يا له من كلب جميل، يا لها من حياة جميلة.

عندما حطّ على الأرض نهضت للتحقق من رغيف اللحم. كان جيدًا.

كان كل شيء جيدًا.

نصائح خيول بلا براز خيول

إذن، بدأ لقاء هوليوود بارك، وبطبيعة الحال كنت قد خرجتُ بضع مرات، والمشهد لم يتغير كثيرًا: الخيول تبدو كما هي والنّاس أسوأ بقليل. المراهن على سباق الخيول هو مزيج من الغرور والجنون والجشع. أحدُ تلاميذ فرويد الرئيسيين (لا أذكر اسمه الآن، أذكر فقط أنّي قرأت الكتاب) قال إن القمار هو بديل عن الاستمناء. وبالطبع، فإن المشكلة مع أي تصريح مباشر تكمنُ في كونه قد يتحول بسهولة إلى لا حقيقة، حقيقة جزئية، كذبة أو غردينيا ذابلة. رغم ذلك، عندما أراقب السيدات (بين السباقات) أجد الغرابة نفسها: قبل السباق الأول يجلسن والتنانير إلى الأسفل قدر الإمكان، ومع كل سباق تعلو التنانير أكثر فأكثر، حتى قبل السباق التاسع يُطلب من المرء ضبط النفس حتى لا يغتصب إحدى هؤلاء الفاتنات. هل هو الشعور بالاستمناء الذي يسبب هذا أم أن العزيزات الصغيرات بحاجة إلى المال لدفع الإيجار، لا أدري. ربما كلاهما. رأيت سيدة تقفز فوق صفّين أو ثلاثة من المقاعد بعد أن ربح الخيل الذي راهنت عليه، وأطلقت صرخات، إلهية مثل الفودكا - الجريب فروت المثلجة التي تُشرب بعد صداع الخمار.

«الآن تحظى بنصيبها» قالت صديقتي.

قلت: «نعم، لكن خسارة أني لم أصل إلى هناك قبلها».

لمن لا يعرف منكم القواعد الأساسيّة لرهانات الخيل، اسمحوا لي أن ألهيكم ببعض القواعد الأساسية. يمكن بسهولة فهم الصعوبة التي يجدها الشخص العادي في ترك المسار وبحوزته أي أموال لو تتبعتم الأمور الآتية: المضمار والدولة يتلقّيان ما يقارب ١٥٪ من كل رهان، وأكثر قليلًا نتيجة التقريب. نسبة الـ ١٥٪ مقسمة بالتساوي تقريبًا بين الدولة والمضمار. بكلمات أخرى، ٨٥ سنتًا من كل دولار تُرجَع إلى حاملي تذاكر الفوز. يكون التقريب هو فرق البنس على تحليل العشر سنتات من المكافأة. وبعبارة أخرى، لنقل إذا أقرت الحاسبة أن المكافأة تصل إلى ١٦,٨٤ دولارًا، يحصل الفائز على ١٦,٨٠ دولارًا وتذهب الـ ٤ سنتات عن كلّ رهان، إلى مكان آخر. الآن لستُ واثقًا، لأن ذلكَ ليس معمّمًا، ولكني أعتقد أيضًا أنّه عن كلّ مكافأة قدرها ١٦,٨٩ دولارًا مثلًا، تبقى المكافأة ١٦,٨٠ دولارًا وتذهب السنتات التسعة إلى مكان آخر، لكنني لست واثقًا من هذا ومؤكد أن دار النشر «أوبن سيتي» لا تستطيع رفع دعوى تشهير الآن أو في وقت لاحق، ولا أنا، لهذا أقول إنّي لست واثقًا. ولكن إن كان هناك قارئ يمتلك الحقائق، أرجو أن يكتب إليّ، إلى دار النشر «أوبن سيتي»، ويسدي إليّ بالنصيحة. وحدها هذه البنسات الصغيرة قد تحول كلّ فردٍ منا إلى مليونير.

الآن خذوا على سبيل المثال الإنسان الأحمق المتوسط الذي يعمل طيلة الأسبوع ويبحث عن شيء من الحظ، والترفيه، والاستمناء. خذوا ٤٠ شخصًا كهذا، أعطوا كل واحد منهم ١٠٠ دولار، وعلى افتراض أنهم مراهنون متوسطون، فإن المتوسط العام يعتمد على مدخول بنسبة ١٥٪، لننسَ التقريب، سوف يغادر هؤلاء

الأشخاص الأربعون ومعهم ٨٥ دولارًا. لكن المسألة لا تُحسَب بهذه الطريقة؛ ٣٥ منهم سوف سيغادرون مفلسين تمامًا، شخص أو اثنان من بينهم سيربحان ٨٥ أو ١٥٠ دولارًا من حظ صاف بالرهان على الخيول الفائزة من دون معرفة السبب. الثلاثة أو الأربعة الآخرون سيغادرون من دون ربح أو خسارة.

حسنًا، إذن، من يحصل على هذه الأموال التي يخسرها المراهن الصغير الذي يشغّل مخرطة أو يقود حافلة طيلة الأسبوع؟ المسألة سهلة:

هي إسطبلات الرهان التي ترسل خيولًا إلى السباق في وضع سيئ وتقرر أن هذا أمرٌ مربح بالنسبة إليها. الإسطبلات لا يمكنها أن تعتمد على أموال السباق، أقصد، معظمها لا تستطيع. لو أعطيتَ الإسطبلات خيولًا عاجزة، ستدخل بها السباق، ولكنّها ستضطر إلى الجوء إلى صفقات وسباقات رديئة عن قصد، كي تنقصَ بعضًا من الوزن تحضيرًا للسباق المربح. بعبارة أخرى، لنقل إن هناك خيلًا ثقيل الوزن، يحدد حكَم المضمار أن وزنه يساوي ١٣٠ باوندًا من أجل سباق مبكر يقدّر بـ ٢٥,٠٠٠ دولارا، فإنّه يميل إلى الخسارة في هذا السباق وفقدان شيء من وزنه في هذا العرض، وذلك تحضيرًا لسباق لاحق يقدّر بـ ١٠٠,٠٠٠ دولار. لا يمكن إثبات هذه التصريحات، ولكن إذا تتبعتم الفكرة بإمكانكم كسب شيءٍ من المال أو على الأقل توفيره. لكن الإسطبلات التي تحتاج تحديدًا إلى المشاركة في سباقات الطبقات الدنيا، عليها مناورة الخيول لقاء المال. في بعض الحالات، لا يكون مالك الخيل أو الخيول على بينة من المناورة؛ وهذا لأن مدربيه وسائسيه، والمحافظين عليه وممتطيه يتقاضون أجورًا منخفضة (قياسًا بالوقت والجهد المبذولين،

وبالمقارنة مع المهن الأخرى) وطريقهم الوحيد لإنهاء الشهر هو خداعهم. القائمون على السباقات يدركون ذلك ويحاولون المحافظة على لعبة نزيهة، وإضفاء بريق مقدس من الاستقامة، ولكن رغم جميع الجهود المبذولة: استبعاد أشخاص قساة، مجرمين، نقابات، مشغلين وغيرهم عن مضمار السباق، فإنهم ينجحون دائمًا في خداع الجماهير، «يستيقظ» خنزير فجأة ويفوز بـ ٣ من أصل ١٠ سباقات باحتمالات ٥ إلى ٥٠ وأكثر. ولكن هذه الخيول هي حيوانات، وليست ماكينات. ولذلك ثمة عذر، عذر لاغتراف الملايين في السباقات، ملايين معفية من الضرائب. الجشع البشري لا يعرف حدودًا ويواصل تغذية نفسه. فليذهب الحزب الشيوعي إلى الجحيم.

حسنًا، هذا أمر سيئ بما فيه الكفاية. دعونا نأخذ مثالًا آخر. إلى جانب كون الجمهور يخطئ تلقائيًا وفق غريزته فقط (اسألوا أي وكيل بورصة - إذا أردتم أن تعرفوا أي الطرق هي الأنسب، اختاروا الطريقة المعاكسة لخيار الجمهور، الذي يستثمر أموالًا بسيطة، بتأثير الخوف والتوتّر). ولكن المثال الآخر هو: قاعدة رياضية، وفق الدولار - تستثمرون الدولار الأول لكم، وتحصلون على ٨٥ سنتًا. ربح فوري. السباق الثاني، عليكم أن تضيفوا ١٥ سنتًا، عندها تكون الإضافة بنسبة ١٥٪. الآن خذوا في الحسبان ٩ سباقات مع ربح بنسبة ١٥٪ على أساس التعادل بلا ربح أو خسارة - على دولاركم الأصلي. فقط ٩ مرات ١٥٪، أم أنه أكثر من ذلك؟ فقط داهية من دواهي معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا قادر على حساب المبالغ، لكني لا أعرف أحدًا منهم. على أيّ حال، إذا كنتم تتبعتموني حتى الآن، فإنكم تدركون أن كسب «الرزق» أصعب في مسارات السباقات مما يظنّ بعض الحالمين المتفائلين.

أنا عنيد: أقصد، كل يوم يمضي في المضمار لن يستهلك مني مبالغ كبيرة؛ لكني من جهة أخرى، لا أربح مبالغ كبيرة.

بطبيعة الحال، حققت بعض المكاسب الجيدة ولست بالأحمق لأكشف عن طرقي علنًا، عندها ستبطل. في اللحظة التي يكتشف فيها الجمهور شيئًا، يصبح هذا الشيء ميتًا، ويتغيّر كل شيء. لا يسمح للجمهور بالفوز في أيّ لعبة تم اختراعها في أي وقت، وهذا ينطبق أيضًا على الثورة الأميركية. ولكن لقراء كتابي، أقترح بعض الأساسيات التي قد توفر عليكم شيئًا من المال. انتبهوا.

أ. افحصوا رهاناتكم الأساسية. الخيل القاعدة هو الخيل الذي يغلق الرهان تحت الخط الصباحيّ لوكيل الرهانات. بعبارة أخرى، فإن الوكيل يسجل الخيل ب ١٠ ل ١، ويباع الخيل ب ٦ ل ١. المال هو أكثر جدية من أي شيء آخر. تحققوا من الأساسيات بعناية، وإذا لم يكن الخط مجرّد خطأ متهور من طرف الوكيل، ولم يبد الخيل سرعة في الجولات الأخيرة، أو أن الفارس الذي يمتطيه ظهر له اسم هكذا فجأة، وإذا لم يفقد الخيل من وزنه وركض في الفئة نفسها، فإنكم على الأرجح ستحصلون على مقابل جيد للأموال التي استثمرتموها.

ب. تجنّبوا الخيول الأخيرة. هذا خيل، قطع ما بين ٥ أطوال إلى ١٦ منذ بداية السباق وحتى النهاية - ومع ذلك لم يكسب، فيخرج من جديد ليعدو في الفئة نفسها أو فئة قريبة إليها. ليس فقط أن الجمهور يحب هذا الخيل، من نابع الخوف أو الضيق المادي أو الغباء، ولكنه عمومًا خيل يشبه عجيزة الخنزير، كسول، ويجتاز فقط الخيول المتعبة التي عدت وكافحت من أجل السطر الأمامي. صحيح أن الجمهور يعشق هذا الخيل، لكنّه دائمًا سيراهن عليه بمجازفة أقل

بالثلث من قيمته. رغم أن خيلًا كهذا يخسر على الدوام، إلا أن الجمهور سيختاره على الدّوام من نابع الخوف، فالجميع قلقون من إيجار الشقة ويشعرون أن لهذا الخيل قوة خارقة. في ٩٠٪ من السباقات تفوز الخيول في الواجهة الأمامية أو قريبًا من الواجهة الأمامية للمضمار، بأسعار معقولة ومقبولة.

ج. إذا كان لا بد لكم من الرهان على الخيل الأخير، فراهنوا عليه في السباقات ذات المسافات القصيرة، ٦ أو ٧ فيرلونغ، حيث يعتقد الجمهور فيها أنه لا يملك الوقت للرهان على البقيّة. هنا يعتمدون على السرعة ويعلقون من جديد. ٧ فيرلونغ هو أفضل سباقات هذا الخيل، ففيه منحنى واحد فقط. الخيل الذي يكون في مقدمة السباق له أفضليّة، فهو يوفر على نفسه مسافة في المنعطفات. ٧ فيرلونغ بنصف منعطف، ومسار طويل ومستقيم هو السباق الأمثل للخيل الأخير، أفضل من ميل وربع، وحتى أفضل من ميل ونصف. ها أنا أعطيكم نصائح جيدة، وأرجو أنكم تصغون جيدًا.

د. راقبوا لوح المبالغ - المال في المجتمع الأمريكي أهم من الموت، ومن الصعب الحصول على شيء مقابل لا شيء. إذا تم تسجيل خيل في ٦ ل ١ على الخط الصباحي وبيع بـ ١٤ إلى ٢٥ ل ١، فانسوا الأمر. إما أن مدير المضمار قد عانى من صداع الخمار عندما سجل الخط الصباحي، أو أن الإسطبل لن يخوض السباق وحسب. لا يمكن الحصول على أيّ شيء مجانًا في هذا العالم؛ إذا كنتم لا تعرفون أيّ شيء عن السباقات، راهنوا على الخيول المسجلة قريبًا من الخط الصباحي. تحقيق مكاسب كبيرة يكاد يكون مستحيلًا. كل الجدات الصغيرات يعُدن إلى المنزل لتناول الخبز المحمص المر بأسنان صمغية على شهادة وفاة البابا.

هـ - راهنوا فقط عندما تسمحون لأنفسكم بالخسارة. أعني من دون أن تجدوا أنفسكم تنامون على مقعد في حديقة أو فاتتكم ٣ أو ٤ وجبات. الأهم، هو أن تدفعوا إيجار الشقة أولًا. تجنبوا الضغوط. سوف تكونون محظوظين أكثر. وتذكروا ما يقولون، «إذا كان لا بد لكم من الخسارة، فاخسروا من المقدمة». وبعبارة أخرى، اجعلوهم يهزمونكم. وإن كنتم ستخسرون **على أيّ حال**، فاللعنة على كلّ شيء، اربحوا إلى أن يهزموكم، إلى أن يتجاوزوكم. الثمن عادةً ما يكون سخيًا لأن الجمهور يكره كلمة «انهزامي» - خيل يتقدّم على المجموعة، ومع ذلك يخسر. هذا يبدو سيئًا بالنسبة إليهم. بالنسبة إليّ، الخيل «الانهزامي» هو كل خيل لا يفوز في السباق.

و. كل ربح وخسارة لا يقومان على عدد مرات فوزكم، وإنما على عدد المكاسب وفق السعر. إمبراطوريات قامت على ربع من ربع في المئة. دعونا نعود إلى لبّ الموضوع، يمكنكم أن تحققوا ثلاثة مكاسب ٦ ل ١ في ٩ سباقات وتفلسوا، لكن يمكنكم أن تحققوا فوزًا واحدًا في ٩ ل ١ وفوزًا واحدًا في ٥ ل ١ وتربحوا. هذا لا يعني دائمًا أن ٦ ل ٥ هو رهان خاسر، ولكن إذا كنتم تعرفون القليل أو لا تعرفون شيئًا عن السباقات، قد يكون من الأفضل لكم أن تحافظوا على رهاناتكم بين ٧ ل ٢ و ٩ ل ١. في الواقع، يحدث في أوقات متقاربة أن ١٨ أو ١٩ ل ١ يحققان مكسبًا إذا وجدتم الخيول الرابحة.

لكن، في الواقع، لا أحد يمكنه أن يمتلك المعلومات الكافية حول سباقات الخيول أو عن أي شيء آخر. تمامًا في اللحظة التي يظن فيها أنه يعرف، يكون في بداية الطريق فقط. أتذكر صيفًا كسبت فيه أربعة آلاف دولار في هوليوود- بارك، واتجهت إلى ديل-مار

بسيارة جديدة، كلّي غرور، وشعرية، وذكاء، وأمسكت العالم من خصيتيه. استأجرت لنفسي غرفة في فندق صغير على البحر، وأطلت النساء كما يفعلن دومًا عندما تشرب وتضحك ولا تكترث لشيء ومعك شيءٌ من المال (من السهل التمييز بين الغبي وماله)، واحتفلت كل ليلة، وكل ليلة كنت بصحبة امرأة جديدة، وكانت هذه مزحة أمازحهن بها. كان الفندق على البحر تمامًا، وكنت أقول، بعد شربٍ كثير وكلام طويل، «يا حبيبتي، **أنا قادمٌ مع زبد البحر!**»

قصّة خيول أخرى

كان موسم سباق العربات قد انطلق، كما يقولون، منذ أسبوع أو اثنين، وقد ذهبتُ ٥ أو ٦ مرات، ولعلّي أكون قد انقطعتُ من أجل المضمار، وهذا مضيعة جهنميّة للوقت - أيّ شيء هو مضيعة للوقت إلا إذا ضاجعتَ على نحو جيّد أو أبدعتَ على نحو جيّد أو سعيتَ نحو سعادة حبّ وهمية. جميعنا سننتهي في وعاء الخيبة - سمّوه الموت أو الخطأ. لستُ رجلًا صاحب كلمة. لكني أفترض، أنه يمكننا أن نطلق على محاولات التكيّف مع المدّ والجزر «التجربة»، على الرغم من أننا لسنا على يقين من أنّ ذلك أمرٌ حكيم. عندها أيضًا، قد يعيشُ المرء حياة كاملة من الخطأ الدّائم في حالة من الخدر والإرهاب. لقد رأيتم بشرًا، ورأيت أنا بشرًا.

أثناء موجة الحرّ ما زال المراهنون هناك، وقد ربحوا بعض الأموال من مكان ما، بطريقة صعبة، محاولين تجاوز نسبة الـ ١٥ في المئة. أحيانًا أفكر في الجمهور كما لو كان منوّمًا مغناطيسيًا، جمهور لا مكان يذهب إليه. وبعد انتهاء السباقات يدخلون سياراتهم القديمة، يعودون إلى غرفهم الوحيدة ويحدّقون في الجدران. أتساءل لماذا فعلوا ذلك. . . أدام متعبة، وأسنان رديئة، وقرحة، ووظائف سيئة، ورجال بلا نساء، ونساء بلا رجال. لا شيء سوى الخراء.

هناك بعض الضحكات. وهذا ضروريّ. عندما دخلتُ غرفة الرجال بين السباقات في ذلك اليوم صادفتُ شابًا سدّ فمه، ثم صاح في غضب: «لعن الله ابن العاهرة، لعن الله ابن العاهرة، لم ينظّف خراءه! تركه هناك! ابن العاهرة، دخلتُ ووجدته هناك! أراهن أنّه يفعل ذلك في منزله أيضًا!»

كان هذا الفتى يصرخ. وقف بقيتنا هناك، نتبوّل أو نغسل أيدينا، ونفكّر في السباق الأخير أو التالي. أعرف بعض الاستثنائيين الّذين سيفرحون بوجود وعاء يطفو بالخراء. لكن هكذا تسير الأمور - الشّخص الخطأ هو من يعاقَب.

يوم آخر من التعرّق، والكفاح، والهرش، والدعاء، وبذل الجهد من إجل الاحتفاظ بـ ١٠ أو ١٢ دولارًا للسباق التالي، وهو سباق جرّ عربات صعب للغاية، ولا أظنّ حتّى أن السائقين يعرفون من سيفوز، وهذه المرأة البدينة الضخمة، حوت ثقيل من البدانة النتنة الصحيّة، اتّجهت صوبي، وطرحت أمام جسدي هذا الدهن النتن، وأقحمت عينيها الصغيرتين، والفم وباقي وجهها في وجهي وقالت:

«أيّ الأيدي على الخيل الأول؟»

«الأيدي على الخيل الأول؟»

«نعم، أيّ الأيدي على الخيل الأول؟»

«لعنك الله أيتها السيدة، ابتعدي عني، ولا تزعجيني. ابتعدي! ابتعدي!»

فعلَت. كان السباق يعجّ بالبشر المجانين. بعضهم يذهبون إلى هناك عندما تفتح البوابات. يتمددون على المقاعد أو على الدكّات وينامون طيلة السباق. لا يشاهدون السباق أبدًا. بعد ذلك ينهضون ويعودون إلى منازلهم. آخرون يدورون حول الجدار وهم يعلمون

على نحو غامض بأن سباقًا من نوع ما يجري. يشترون القهوة أو يقفون قريبًا ويشاهدون كما لو أن الحياة باغتتهم وأحرقتهم. وأحيانًا ترى أحدهم في ركن معتم، يحشر قطعة سجق ساخنة أسفل الحلق، يسكت ويختنق. سعداء بفوضاهم. ومع نهاية كلّ نهار ترى واحدًا أو اثنين منهم يضعان رؤوسهم بين سيقانهم. أحيانًا يبكون. أين يذهب الخاسرون؟ من يريد خاسرًا؟

أساسًا، بطريقة أو بأخرى، يعتقد الجميع أنّهم يملكون مفتاح النجاح، حتى لو كانت مجرّد افتراضات غير مبرّرة بأنّ على حظهم أن يتغير، يلعب البعض دور النجوم، ويلعب البعض الآخر دور الأرقام، وآخرون دور الوقت الدقيق، ودور السائقين، أو دور النهائيين أو السّرعة أو الأسماء أو أيّ شيء. جميعهم تقريبًا يخسرون باستمرار. يكاد معظم دخلهم يذهب مباشرة إلى الماكينات المشتركة. لدى معظم هؤلاء الناس غرور راسخ لا يطاق- إنّهم أغبياء إلى حدّ عنيد.

ربحتُ بضعة دولارات في الأول من سبتمبر. دعونا نمرّ على البطاقة. فاز «حُلم» خيل أندي بالمرتبة الأولى في ٩/ ٢ في خط الصباح من ١٠. لعبة جيّدة. عمل لا مبرر له على حصان مهزوم يعدو من الموقف الخارجي. السباق الثاني - جيري بيركنز، خيل مخصيّ عمره ١٤ عامًا، لا أحد يراهن عليه بسبب سنّه، ينزل إلى رهان بـ ١٥ دولارًا. خيل جيد، يتوافق مع مجموعته، ولكن كان عليكم أن تأخذوا ٨/ ٥ تحت خط الصباح من أربعة. فاز بسهولة. السباق الثالث فاز به المدعو «سبيشيل بروداكت[1]»، وهو خيل

(١) منتج خاصّ.

اقتحم السباقات الأربعة الأخيرة باحتمالات فوز عالية. انحرف ثانيةً هذه المرّة، شبّ، وقوّم نفسه وعدا ليهزم المرشح المفضّل ٣/ ٥ «غولدن بيل»[١]. رهانٌ محتَمل لو كنتم على اتصال مع الله، والله يبدي اهتمامًا. ١٠ ل ١. في السباق الرابع، هال ريتشارد خيل متوافق مخصيّ عمره ٤ سنوات فاز في ثلاثة لواحد، متفوّقًا على خيلين أقصر كانا ذات مرّة أفضل حالًا ولكنْ بلا قدرة على الفوز. رهان جيد. في السباق الخامس، إيلين كولبي يفوز من بعد تايني ستار[٢] واقتحام مارساند والجمهور يودّع «إيبريل فول» في ٣/ ٥. كن إيبريل فول قادرًا فقط على الفوز في أربعة سباقات من أصل ٣٢، وأحد مراقبي السباقات قال عنه إنّه «أفضل من هذه بخمسة أطوال». كل هذا لقاء مجهود في الوقت في السباق الأخير في مجموعة أفضل عندما قطع إيبريل فول سبعة أطوال. أدهش الجمهور مرة أخرى.

بعدها، في السباق السادس، أعطيَ مستر هوني خطًا صباحيًا من ١٠ ولكن تمّ إنزاله كخيار ثانٍ في ٥/ ٢ وفاز بسهولة، بعد أن فاز بثلاثة من أصل تسعة في الصف الأكثر صرامة في المسافات القصيرة. نيوبورت بويل، خيل رخيص تمّ إنزاله بمقابل ماديّ لأنه أنهى السباق في ٩ ل ١. رهان سيئ. الجمهور لا يفهم. في السباق السابع كان هناك بيلز سنوكومز، الفائز في سبعة من أصل تسعة في المجموعة ومع الفارس الأفضل فارنغتون تحوّل إلى الخيل المفضّل في ٨/ ٥ وبشكل مبرّر.

---

(١) بيل الذهبي

(٢) نجم صغير

راهن الجمهور على برنسيس سامبسون[1] إلى ٧/ ٢. وقد فاز هذا الخيل في ٦ سباقات فقط من أصل ٦٧. من الطبيعيّ أن يحترق الجمهور مرة أخرى. يُظهر برنسيس سامبسون أفضل قدراته في سباق أكثر صرامة ولكنه ببساطة لا يريد الفوز. الجمهور سعيد بالوقت. أنهم لا يدركون أن الوقت محصّلة الوتيرة والوتيرة محصلة التعقّل أو عدمه - من قبل السائقين المتقدّمين. في السباق الثامن، يستيقظ أبيميت بهجمة خيل رابعة أو خامسة. كان سباقًا مفتوحًا، وكان عليّ أن أتنحّى جانبًا. في السباق التاسع، سمحوا للجمهور بأن يمتلكوا واحدًا. لويلا بريمورس. خسر الحصان باستمرار في احتمالات الفوز القصيرة، واليوم ركض بوتيرته الخاصّة من دون منافس. ٥/ ٢. خيلٌ للسيدات، ويا لصراخهنّ. اسم جميل. خسرن أموالهنّ على الخيل في السباق. معظم البطاقات بالمعقوليّة نفسها، وبدا من الممكن كسب الرزق في المضمار مقابل نسبة الـ ١٥ ٪ المجبيّة. ولكن العوامل الخارجيّة تهزمك. الحرارة. التعب. الناس يريقون البيرة على قميصك. الصراخ. الدّوس على قدميك. النساء يكشفن عن سيقانهنّ. النشالون. المراقبون. المجانين. كنت أتقدّم بـ ٢٤ دولارًا وأنا أمضي نحو السباق التاسع ولم يكن هناك لعب في السباق التاسع.

كنت متعبًا ولم تكن لدي المقاومة لأتنحّى جانبًا. قبل انتهاء السباق كنتُ قد صرفتُ ١٦ دولارًا، تسوّقت، متضامنًا مع فائز لم يظهر. ثم أوكلوا إليّ الدّور العامّ. لم أكن راضيًا عن الـ ٢٤ دولارًا يوميًا. عملت ذات مرة لقاء ١٦ دولارًا في الأسبوع في نيو أورليانز.

---

(١) الأميرة سامبسون.

لم أكن قويًا بما يكفي لأغنمَ بربح بسيط، لذلك غادرت ب ٨ دولارات. مبلغ لا يستحق الكفاح: أمكنني أن أبقى في البيت وأكتب قصيدة خالدة. رجل قادر على الفوز في السباقات يمكنه أن يفعل أي شيء يعقد العزم على فعله. إنّه يجب أن يمتلك الأسلوب، والمعرفة، والاستقلالية. حتى مع هذه الصفات، تكون السباقات صعبة، وخاصة عندما يكون لديك إيجار شقة ينتظر سدادا ولسان قحبتك يندلع من أجل البيرة. ثمة فخاخ وراء فخاخ وراء فخاخ. ثمة أيام يحدث فيها المستحيل. في ذلك اليوم غامروا ب ٥٠ ل ١ في السباق الأول، ١٠٠ ل ١ في السباق الثاني، وضيّعوا النهار ب ١٨ ل ١ في السباق الأخير. عندما تحاول أن تجمع البيزو للمالك وأموال البطاطا والبيض، هذا النوع من النهارات قد يجعلك تشعر بأنّك معتوه. ولكن إذا عدت في اليوم التالي فإنّهم سوف يمنحونك ستة أو سبعة فائزين معقولين بأسعار مقبولة. الاحتمال قائم ولكن الأكثرية لا يعودون. الأمر يحتاج صبرًا وجهدًا: عليكم أن تفكروا. إنها ساحة المعركة وقد تعانون من صدمة القصف. رأيت صديقًا لي هناك في ذلك اليوم، بعينين تلمعان، يشعر بالخيبة. كان ذلك في وقت متأخر من اليوم وكانت البطاقة معقولة، ولكن بشكل ما تجاوزوه ويمكنني أن اقول إنه بالغ في رهانه وقد حاول الخروج. اجتازني، ولم يعرف في أيّ مكان كان. راقبته. دخل مراحيض النساء. صرخن فخرج هاربًا. كان هذا ما يحتاجه. ذلك الأمر قوّمه فأمسك بالفائز في السباق المقبل. ولكنّي لا أنصح جميع الخاسرين بهذا النظام.

ثمّة من يضحك وثمّة من يحزن. حدث مرّة أن جاءني شخص بالغ. «بوكوفسكي»، قال بنبرة فيها جدّ، «أريد أن أنتصر على الخيول قبل أن أموت».

كان شعره أبيض، تمامًا، وكان بلا أسنان، ورأيتُ نفسي مكانه بعد ١٥ أو ٢٠ عامًا، إذا بقيتُ حيًا.

قال لي: «أحب الحصان ستة».

«لاك[١]»، قلت له.

اختار خيلًا سيّئ السّمعة، كالعادة. خيلٌ فاز في سباق واحد فقط من أصل ١٥ ذلك العام. كانت مراقبو السباق العامة قد وضعوا الخيل في المقدّمة. فاز الخيل بـ ٨٨٠٠٠ دولار في العام الماضي. كان أفضل أوقاته. راهنت بعشرة على فوز ميس لاستيتاون، وهو خيل فاز في تسعة سباقات هذا العام. ميس لاستيتاون خيلٌ أكسبَ ١/٤.

الخيل صاحبة احتمالات الفوز الأعلى وصلت في النهاية.

جاء العجوز، مستعرًا. «كيف هذا بحق الجحيم! غلاد راغز ركض مدة ٠١ : ٠٢ و ١/ ٥ في المرة السابقة وقد هزمته فرس ركضت مدة ٠٢ : ٠٢ و ١/ ٥!! يجب إغلاق هذا المكان!»

نقر فوق استمارته، وزمجر في وجهي. وجهه امتقع لدرجة أنه بدا كأنه يعاني من سفعة شمس. ابتعدت عنه، وتوجّهت إلى نافذة الصراف وتحصّلت على أموالي.

عندما دخلت المنزل، وجدت مجلة سميث في البريد، سخروا من أسلوبي النثريّ، ومجلة أخرى هي، **الربطات الستّ**، وقد سخروا من أسلوبي الشعريّ.

الكتابة؟ ماذا تكون بحق الجحيم؟ أحدهم تقلقه كتابتي أو أنّه يخشاها. أنظر حولي وأنا على ثقة كافية أنّ هناك آلة كاتبة في

(١) الحظ.

الغرفة. أنا كاتب لكتابة من نوع ما، وهناك عالم آخر من المناورة والتلاعب والجماعات والأساليب.

فتحت الماء الدافئ وجعلته يتدفّق، دخلت الحوض، فتحتُ علبة بيرة، واستمارة السباقات. رنّ الهاتف. ظلّ يرنّ. بالنسبة إليّ، ربما ليست بالنسبة إليكم، فإنّ المجامعة أو الاستماع إلى شاعر صغير أمر مثير.

حقّق همنغواي نجاحاته. أعطوني مؤخرة خيل - ستصل هناك أولًا.

ولادة وحياة وموت صحيفة سريّة

كانت لقاءاتي في منزل جو هيانس في البداية قليلة، وغالبًا ما وصلتُ مخمورًا، لذا لا أذكر الكثير حول ولادة فرج مفتوح، الصحيفة السريّة، لاحقًا فقط أخبروني ما حدث. أو بالأحرى، ما الذي فعلته.

هيانس: «قلتَ إنّك ستفجّر المكان وإنّك على وشك أن تتعاركَ مع الشخص المقعَد. ثمّ بدأتَ تبكي وبدأ الناس يغادرون. ضربت رأس أحدهم بقارورة».

تشيري (زوجة هيانس): «رفضت الرحيل وشربتَ قارورة ويسكي بحالها وقلتَ لي طيلة الوقت إنّك ستضاجعني أمام رفّ الكتب».

«وهل فعلتُ ذلك؟»

«لا».

«آه، حسنًا، في المرة القادمة».

قال هيانس: «اسمع يا بوكوفسكي، نحن نحاول أن ننتظم وكلّ ما تفعله أنت هو أنك تأتي إلى هنا وتفسد الأمور. أنت أكثر شخصٍ سكّير لعين ومقرف عرفته في حياتي!»

«حسنًا، أنا أستقيل، اللعنة. من تهمّه الصّحف؟»

«لا، نحن نريد منك أن تكتبَ عمودًا. نحن نرى أنّك أفضل كاتب في لوس أنجلوس».

رفعتُ كأسي. «هذه إهانة لعينة! لم آت إلى هنا كي تهينوني!»

«حسنًا، ربّما تكون أفضل كاتب في كاليفورنيا».

«ها أنت تواصل إهانتي!»

«على أيّ حال، نريد منك أن تكتبَ عمودًا».

«أنا شاعر».

«ما الفرق بين الشعر والنثر؟»

«الشعر يقول أكثر من اللازم في أقل وقت ممكن؛ النثر يقول أقل من اللزوم ويتطلّب وقتًا أطول».

«نريد عمودًا لصحيفة فرج مفتوح».

«صبّ لي مشروبًا وسأوافق».

صبّ هيانس مشروبًا. أنهيتُه وغادرتُ إلى ساحتي في البلدة التحتيّة وأنا أفكّر في الغلطة التي كنت أرتكبها. كنت تقريبًا في الخمسين من عمري وأعبث مع هؤلاء الفتية ذوي الذقون والشعور الطويلة. يا إلهي! أوه، رائع! الحرب خراء. الحرب جحيم. اللعنة، لا تحاربوا. أعرف كل هذا منذ خمسين عامًا. ولا شيء من هذا يثيرني. آه، ولا تنسوا الحشيش. واللفافات. حسنًا يا حلو!

وجدت نصف لتر من الويسكي في شقتي، شربتها، شربت أربع علب من البيرة وكتبت العمود الأول. دار حول عاهرة وزنها ثلاثمائة رطل ضاجعتها يومًا في فيلادلفيا. كان عمودًا جيدًا. صححت بعض الأخطاء في الرّقن، استمنيت، وخلدت للنوم. . .

بدأ الأمر في الطابق السفلي من منزل الإيجار ذي الطابقين التابع

لهيانس. كانت هناك بعض المتبرعات بأنصاف مؤخرات وكانت المصلحة جديدة وقد انفعلَ الجميع سواي. واصلت البحث عن مؤخرة أنثوية لكنّ جميعها بدَت وتصرّفت على نحو مشابه، كنّ فتيات في التاسعة عشر من العمر، بشعور شقراء قذرة، ومؤخرات صغيرة، وصدور صغيرة، يسرنَ منهمكات، وإلى حدّ ما كنّ مغرورات من دون معرفة السبب. في كل مرة وضعتُ يديّ الثملتين عليهنّ وجدتهنّ دائمًا باردات جدًا.

«اسمع يا جدّي، الشّيء الوحيد الّذي نريد أن نراكَ تحمله هو عَلَم شمال فيتنام».

«لا بدّ أن فرجك أساسًا نتن».

«أوه، أنت عجوز قذر! أنت فعلًا... مقرف جدًا!»

وكنّ يمشين ويحرّكن تفاحاتهنّ الشهيّة في وجهي، وبدلًا من أن تمسك أيديهنّ برأس أيري الأرجواني الجميل - أمسكن تقرير أحداثٍ حول رجال شرطة يضربون الأطفال ويقفلون لهم حانات البيبي-روث في سانست-ستريب. وها أنا، أعظم شاعر حيّ منذ و.ه. أودن ولا أفلح حتّى في إتيان كلب من دبره...

صارت الصحيفة كبيرة جدًا. أو أن تشيري بدأت تقلق لكّوني أتمدد على الأريكة مخمورًا وأتأمّل ابنتها ذات الخمسة أعوام. أصبح الوضع أسوأ عندما بدأت الابنة تجلس على ركبتيّ وتبحث وتتأمل وجهي قائلة: «أنا أستلطفك يا بوكوفسكي. تحدّث إليّ. اسمح لي أن آتيك بالمزيد من البيرة يا بوكوفسكي».

«عودي بسرعة يا حلوة!»

تشيري: «اسمع يا بوكوفسكي، أيها المنحرف العجوز...».

«يا تشيري، الأطفال يحبونني، ولا ذنب لي في ذلك».

عادت الطفلة، زازا، راكضةً ومعها البيرة، وجلست على ركبتي. فتحت البيرة.

«أنا أستلطفك يا بوكوفسكي، احك لي قصة».

«حسنًا، يا حلوة. حسنًا، ذات مرة كان هناك رجل عجوز فتاة صغيرة جميلة ضاعا معًا في الغابة -»

تشيري: «اسمع أيها المنحرف العجوز».

«يا تشيري، بدأت أشك أن أفكارك قذرة!»

ركضت تشيري إلى الطابق العلوي باحثة عن هيانس الذي جلس يخرأ. «جو، جو، علينا أن ننقل هذه الصحيفة من هنا! أنا جادة في ما أقول!»

وجدا مبنى شاغرًا، من طابقين، وفي إحدى المرات وأنا أقف في منتصف الليل وأشرب نبيذ البورت، أمسكت مصباحًا يدويًا لجو في حين كان هو يفتح صندوق الهاتف بجانب البيت ويعيد ترتيب الأسلاك كي يتمكن من إجراء المكالمات الهاتفية من دون أن يدفع. في تلك الفترة، اتهمت الصحيفة السرية الوحيدة غيرنا في لوس أنجلوس، جو بسرقة نسخة مكررة من قائمتها البريدية. طبعًا، كنت أعرف أخلاق وضمير ومبادئ جو العليا - لهذا استقال من عمله في الصحيفة السرية الأخرى. كان جو كالمسيح. بالتأكيد.

«أمسك ذلك المصباح جيدًا»، قال. . .

في الصباح، وبينما أنا في شقتي، رن جرس الهاتف. كان ذلك صديقي مونغو عملاق النشوة الأبدية.

«هانك؟»

«نعم؟»

«قضت تشيري هنا طوال الليلة الماضية».

«حقًا؟»

«كان معها قائمة بريدية. كانت عصبية جدًا. أرادت مني أن أخبئها. قالت إن جنسن يتعقبها. خبأت القائمة في القبو تحت كومة من الرسومات الحبريّة الهندية رسمها جيمي القزم قبل وفاته».

«هل نِكتها؟»

«لماذا؟ كلّها عظم. لو فعلت لكانت أضلاعها هذه ستقطعني إربًا أثناء النيك».

«نكت جيمي القزم وكان يزن ثلاثة وثمانين باوندًا فقط».

«كان يملك روحًا».

«حقًا؟»

«حقًا».

أغلقت السماعة.

في الأعداد الأربعة أو الخمسة التالية، أطلقت صحيفة فرج مفتوح شعارات نحو، **«نحن نحب صحافة ل. أ. الحرة»**، **«أوه، كم نحب صحافة ل. أ. الحرة»**، **«نحب، نحب، صحافة ل. أ. الحرة»**.

وبحق، كانوا يمتلكون قائمتهم البريدية الخاصة.

في إحدى الليالي، التقى جنسن وجو معًا على العشاء. أبلغني جو لاحقًا أنّ كلّ شيء الآن «على ما يرام». لا أعرف من ناك من وما الذي دار من تحت الطاولة. وسرعان ما اكتشفت أن لي قراء آخرين غير المهمشين والملتحين...

في لوس أنجلس يرتفع المبنى الفيدرالي الجديد والزجاجي شاهقًا، مجنونًا وعصريًا، بسلسلة من الغرف كافكاويّة الطابع، منغمسة في الاستمناءات، الكلّ يتغذّى من الكلّ، ويزدهر بدفء دودة

داخل تفاحة. دفعتُ ٤٥ سنتًا لقاء موقف للسيارة مدة نصف ساعة، أو أنهم أعطوني تذكرة ساعات بهذا المبلغ، ودخلت المبنى الفيدرالي. عُلِّقت فيه جداريات على طول الدرج، كما كان الحال عند دييغو ريفيرا لو أنقصوا تسعة أعشار من حساسيته --- بحارون أمريكيون وهنود وجنود يبتسمون ابتسامات عريضة، محاولين أن يبدوا نبلاء بالألوان الصفراء الرخيصة والخضراء المتعفنة والزرقاء الكريهة.

استدعوني إلى قسم القوى العاملة. كنت أعرف أن الأمر لم يكن لغرض ترقية. أخذوا الرسالة وأجلسوني على كرسي صلب مدّة خمس وأربعين دقيقة. كان ذلك كله انطلاقًا من روتين «العيب فيك دائمًا وليس فينا». لحسن الحظ، ومن تجربة سابقة، قرأتُ اللافتة البالية، وهدئت، سرحتُ فيم تخيّلتني أفعله في الفراش مع كلّ الفتيات اللاتي مررنَ من أمامي، سيقان عالية، أو وضع الأير في الفم. سرعان ما تضخم أيري --- حسنًا، تضخم في نظري - واضطررت أن أنظر إلى الأرض.

أخيرًا، خرجت امرأة سوداء جدًا ونحيفة بمظهر أنيق ولطيف، بالكثير من الرقيّ، والقليل من الروح، ودعتني إلى الدخول. وفق ابتسامتها، كانت تعرف بأني على وشك أن أناك لكنها ألمحت أنها لن تمانع لو نكتها. هذا خفف من حدة الأمور. لكنه لم يغير شيئًا من الموضوع.

دخلت.

«اجلس لو سمحت».

رجل من خلف مكتب. القرف القديم نفسه. جلست.

«السيد بوكوفسكي؟»

«نعم».

أبلغني باسمه. لم أكترث.

استند إلى الخلف، حدق في وجهي من مروَدِه.

أنا على يقين أنه توقّع شخصًا أصغر مني سنًا وأفضل هيئةً، وأكثر جرأة، وذكاء، وحنكةً... أما أنا فكنت متقدّمًا في السن، متعبًا، أفتقد حسّ المبالاة، وأعاني من صداع خمار. بدا هو رماديًا ومحترم الهيئة، إن كُنتم تعرفون أي نوع أقصد. لم يقتلع يومًا البنجر من الأرض بظهر مبلل، ولم يقضِ ليلة في السجن بتهمة الثمالة خمس عشرة أو عشرين مرة. ولم يقطف الليمون في الـ ٠٦:٠٠ صباحًا من دون قميص لأنه كان يعلم أن درجة الحرارة ستصل عند الظهر إلى ١١٠. وحدهم الفقراء من يفهمون معنى الحياة؛ أما الأغنياء والآمنون يمكنهم أن يخمنوا فقط. على نحوٍ غريب، بدأت أفكر في الصينيين. كانت روسيا قد أبدت ليونة. محتمل جدًا أن يكون الصينيون وحدهم من يعرفون، ينبشون من الأسفل، منهكين من كل القرف. ولكن من جهة أخرى، لم يكن لي أي رأي سياسي، كل شيء خدعة: في نهاية المطاف، تلاعب التاريخ بنا جميعًا. فعلت كل شيء قبل الجميع--- كدحت، ضاجعت، ضوجعت، لم يبق شيء.

«سيد بوكوفسكي؟»

«نعم؟»

«حسنًا، لقد حصلنا على معلومات-»

«نعم. واصل».

«تفيد بأنك لست متزوجًا من والدة طفلتك».

تخيلته في تلك اللحظة يزيّن شجرة عيد الميلاد وفي يده مشروب.

«هذا صحيح، لست متزوجًا من والدة طفلتي ابنة الأربعة أعوام».

«هل تدفع مخصصات نفقة الطفلة؟»

«نعم».

«كم؟»

«لن أكشف لك».

استند إلى الخلف مرة أخرى. «يجب أن تفهم أن من يعملون في الوظائف الحكومية عليهم أن يحافظوا على معايير معينة».

لم أشعر حقًا بأنّي مذنب في أي شيء، فلم أرد.

انتظرت.

أوه، أين أنتم، يا رفاق؟ كافكا، أين أنت؟ لوركا، أصيب بعيار ناري في الشارع القذر، أين أنت؟ همنغواي، الذي ادّعى أن وكالة الاستخبارات المركزية تتعقب أثره ولم يصدقه أحد غيري...

ثم استدار الرجل الرمادي، الذي لم يقطف البنجر في حياته، الأريحيّ، المحترم العجوز، ومدّ يدهُ إلى جارور خشبيّ ملمّع خلفه، وأخرج ستة أو سبعة أعداد من فرج مفتوح.

ألقى بها إلى طاولته مثل قطع من الرّوث الصلب الكريه. نقر فوقها بأصابعه التي لم تقطف الليمون يومًا.

«بلغنا أنّك صاحب الأعمدة المسمّاة «مدونات عجوز قذر»».

«نعم».

«ماذا لديك لتقوله عن هذه الأعمدة؟»

«لا شيء».

«هل تسمّي هذه كتابة؟»

«هذا أفضل ما يمكنني فعله».

«حسنًا، أنا أدعم ابنين يدرسان الآن الصحافة في أفضل الكليّات، وأرجو. . . ».

نقر فوق الأعداد، أعداد الخراء الكريهة، بأسفل يده التي طوّقتها الخواتم والتي لم تكدح ولم تر السّجن يومًا، وقال:

«أرجو ألا يكتب أبنائي مثلك!»

وعدته قائلًا: «لن يفعلوا. . . ».

«سيد بوكوفسكي، أعتقد أن المقابلة قد انتهت».

«نعم»، قلت. أشعلتُ سيجارة، وقفت، هرشت كرشي وخرجت.

كانت المقابلة الثانية أقرب مما توقّعت. كنت غارقًا في العمل - طبعًا - كانت إحدى مهامّي الضرورية والوضيعة، عندما علا صوت مكبر الصوت: «هنري تشارلز بوكوفسكي، توجه إلى مكتب المفتش التنفيذي».

تركت مهمتي الهامّة، وتحصّلت على استمارة الرحلات من المنيك المحلّيّ، وتوجّهت إلى المكتب. السكرتير- الذكر التابع للمفتش التنفيذي، كان مجرد عجوز كئيب، وقد تفحصني بحذر.

«هل أنت تشارلز بوكوفسكي؟» سألني، وبدا خائب الظنّ.

«نعم يا رجل».

«رجاء اتبعني».

تبعته. كان مبنى كبيرًا. نزلنا عدة طوابق ومررنا برواق طويل ثم وصلنا إلى غرفة مظلمة الكبيرة قادتنا إلى غرفة أخرى كبيرة جدًا ومظلمة. جلس رجلان هناك عند طرف الطاولة، من المؤكد أنهما كانا بطول ٧٥ قدمًا. جلسا تحت لمبة واحدة. عند طرف الطاولة كان هناك كرسي وحيد - من أجلي.

«يمكنك الدخول»، قال السكرتير. ثم خرج.

دخلت. وقف الرجلان. وقفنا تحت لمبة واحدة في العتمة. لسبب ما، فكرت في كلّ الاغتيالات.

ثم فكرت، إنها أمريكا، هتلر مات، أم أنه لم يمت؟

«بوكوفسكي؟»

«نعم».

صافحاني.

«اجلس».

رائع.

«هذا هو السيّد..... من واشنطن»، قال الرجل الثاني الذي كان واحدًا من المقرفين المحليين.

لم أقل شيئًا. كانت اللمبة لطيفة. مصنوعة من جلد بشري؟

تحدّث السيد واشنطن معظم الوقت. كانت لديه إضبارة وفيها عدد لا بأس به من الصّحف.

«والآن يا سيّد بوكوفسكي...».

«نعم؟»

«أنت في الثامنة والأربعين، وقد تمّ توظيفك من قبل الولايات المتحدة منذ أحد عشر عامًا».

«نعم».

«كنت متزوجًا من زوجتك الأولى مدة عامين ونصف، وتطلقت، ومتى بالضبط تزوجت من زوجتك الحالية؟ يسعدنا أن تذكر لنا التاريخ».

«لا تاريخ. لم نتزوّج».

«لديكما طفلة!»

«نعم».

«كم عمرها؟»

«أربعة أعوام».

«لستما متزوجَين؟»

«لا».

«هل تدفع مخصصات نفقة الطفلة؟»

«نعم».

«كم؟»

«المبلغ العاديّ تقريبًا».

ثم أسند ظهره إلى الخلف. جلسنا ثلاثتنا فقط ولم نقل شيئًا مدّة أربع أو خمس دقائق.

ثم ظهرت كومة من الصحيفة السرية فرج مفتوح.

«هل أنت من كتب هذه الأعمدة؟ مدّونات عجوز قذر؟» سأل السّيد واشنطن.

«نعم».

سلّم نسخة للسيد لوس أنجلوس.

«هل رأيت هذا؟»

«لا، لا، لم أرَ».

في الجزء العلوي من العَمود كان هناك رسمٌ لأيرٍ يمشي على ساقين، أير ضخم جدًا يمشي على ساقَين. كانت القصة تدور حول أحد أصدقائي الذكور، أتيته من الخلف عن طريق الخطأ وأنا مخمور ظانًا إيّاه إحدى صديقاتي. استغرقني الأمر أسبوعين لأجبر صديقي على مغادرة شقّتي. كانت تلك القصة حقيقية.

«هل تسمي هذه كتابة؟» سأل السيّد واشنطن.

«لا أدري إن كانت كتابة أم لا، لكنني أعتقد أنّها كانت حكاية طريفة جدًا. ألم تجد فيها روح الدّعابة؟»

أضاف «لكن ماذا عن الرسم... أعلى القصة؟»

«الأير الذي يمشي؟»

«نعم».

«لست أنا من رسمه».

«ألا رأي لك في انتقاء الرسومات؟»

«يتم طبع الصحيفة ليلة الثلاثاء».

«لماذا لا تتواجد هناك ليلة الثلاثاء؟»

«من المفترض أن أتواجد هنا ليلة الثلاثاء».

تمهلا لبعض الوقت، تصفحا صحيفة فرج مفتوح، وتأملا الأعمدة.

قال السيد واشنطن، وهو ينقر من جديد بيده فوق الصحيفة، «تعرف، كان يمكن أن تكون على ما يرام لو واصلتَ كتابة الشعر، ولكن عندما شرعتَ بكتابة هذا الشيء...».

ثمّ نقر من جديد فوق الصحيفة.

انتظرت دقيقتين ونصف الدقيقة. ثم سألت: «هل من المفروض أن نعدّ موظفي البريد نقّاد الأدب الجدد؟»

قال السيّد واشنطن: «أوه، لا لا، لم نقصد ذلك».

جلستُ وانتظرت.

«يُتوقّع من موظفي البريد أن ينتهجوا سلوكًا معيّنًا. أنت موجود تحت عين العامة. أنت نموذج للسلوك المثالي».

قلت: «يبدو لي أنك تحاول تقييد حرّيتي بتهديدك لي بفقدان عملي. جمعية حقوق الإنسان قد تكتشف الأمر».

«ما زلنا نفضّل ألا تكتب العمود».

«أيها المحترم، ثمة مرحلة في حياة كل رجل، يجب عليه أن يختار إمّا الإصرار على موقفه أو الفرار. وأنا اخترت الإصرار».

صمت.

انتظار.

انتظار.

تصفح أعداد الصحيفة.

ثم قال السيد واشنطن: «سيد بوكوفسكي؟»

«نعم؟»

«هل ستكتب أعمدة أخرى حول مكتب البريد؟»

كنت قد كتبت عمودًا عنهم في ظنّي كان مضحكًا أكثر من كونه مهينًا - ولكن من جهة أخرى، ربما كان عقلي مشوّهًا.

سمحتُ لهم بالانتظار المرة. ثم أجبت: «إلا إذا أجبرتموني».

ثم انتظرا. كان ذلك أشبه بلعبة شطرنج استجوابية، حيث تأمل أن يرتكب الطرف الثاني خطأً: يسلّم بيادقه، وفرسانه، وأساقفته، وملكه، وملكته وخصيتيه. (وفي الوقت الذي تقرأون فيه هذا، خسرت عملي اللعين، رائع. أرسلوا الدولارات ثمن البيرة وإكليل عزاء إلى تشارلز بوكوفسكي، صندوق إعادة التأهيل رقم. . . .)

وقف السيد واشنطن.

وقف السيد لوس أنجلوس.

وقف السيّد تشارلز بوكوفسكي.

قال السيد واشنطن: «أعتقد أن المقابلة انتهت».

تصافحنا الثلاثة مثل أفاعٍ قتلها لهيبُ الشّمس.

قال السيد واشنطن: «وفي الوقت نفسه، لا تقفز عن أي جسر...».

(غريب: لم أفكّر في ذلك حتى)

«لم نشهد مثل هذه الحالة منذ عشر سنوات».

(عشر سنوات؟ من كان المجنون الأخير؟)

سألت: «وماذا بعد؟»

قال السيد لوس أنجلوس: «سيد بوكوفسكي، عد إلى طاولتك».

فعلًا تبلبت (أو أني انزعجت؟) في محاولة إيجاد طريق عودتي إلى طابق الموظفين من نفس المتاهة الكافكاوية السرية. وعندما وجدتها، بدأ زملائي الموظفون الدّوسويون يسقسقون في وجهي:

«مهلًا، يا حبيبي أين كنت؟»

«ماذا أرادوا؟»

«هل نكت جميلة سوداء يا حبيبي؟»

لم أقل شيئًا. أشياء كثيرة نتعلمها من العم العزيز سام.

ظلوا يسقسقون، ويثرثرون ويضيعون عقولهم. كانوا خائفين حقًا. كنت العجوز كول وإن أمكن كسر العجوز كول، يمكن كسر أيّ منهم.

قلت لهم: «إنهم يريدون تعييني مديرًا لمكتب البريد».

«وماذا حدث؟»

«قلت لهم أن يحشوا خراءً ساخنًا في ثقوب مؤخراتهم».

مرّ مدير العمل في الممرّ، والجميع حيّوه بتحيّة إكبار، لكني، أنا بوكوفسكي، أشعلتُ سيجارًا بحركة أنيقة، رميت عود الثقاب على الأرض وحدّقت في السقف كما أنّ أفكارًا عظيمة ورائعة تدور في

رأسي. كانت هذه خدعة. كان ذهني فارغًا. كلّ ما أردته كأس من الويسكي وستّ أو سبع علب من البيرة الباردة...

كبرت الصحيفة اللعينة، أو هكذا بدا لي، وانتقلت إلى مكان ما في ميلروز. دائمًا كرهت الذهاب إلى هناك لأن الجميع كانوا سفلة، حقًا سفلة ومتكبرين وليسوا نزهاء، كما تعلمون. لا شيء تغير. كان تاريخ الإنسان-الحيوان بطيئًا جدًا. كانوا مجموعة من السفلة التقيت بهم لأول مرة عندما دخلت إلى غرفة التصوير التابعة لجريدة كلية لوس أنجلوس المدنيّة عام ١٩٣٩ أو ١٩٤٠ --- كل هؤلاء الحمقى المختالين بقبعات ورقيّة على رؤوسهم وهم يكتبون مقالات جافّة وسخيفة. مهمّون إلى حدّ - ليسوا آدميين بما فيه الكفاية للاعتراف بوجودك. الصحافيون هم دائمًا الصنف الأدنى. عمال النظافة الذين ينظفون المراحيض يملكون روحًا أكثر منهم - بطبيعة الحال.

تأملت هؤلاء الأشخاص الغريبين في الكلية، وخرجت، ولم أعد أبدًا.

الآن. فرج مفتوح. بعد مرور ثمانية وعشرين عامًا.

عدد في يدي. تجلس تشيري وراء الطاولة. كانت تشيري تتحدث في الهاتف. مسألة في غاية الأهميّة. لا يمكنها الحديث. أو أن تشيري ليست على الهاتف. تكتب شيئًا على قصاصة ورقية. لا يمكنها الحديث. بالضبط كالعادة. ثلاثون عامًا لم تكسرها. وجو هيانس يركض من مكان إلى مكان، يفعل أشياء مهمة، صاعدًا نازلًا الدرج. في الأعلى كان يمتلك مكتبًا صغيرًا. منعزلًا بعض الشيء، بطبيعة الحال. وشخص صغير مسكين كان يجلس معه في تلك الغرفة الخلفية، حيث أمكن لجو أن يشرف عليه أثناء تحضير العدد للطباعة على الـ IBM. دفع لهذا الحقير الصغير خمسة وثلاثين دولارًا في

الأسبوع لقاء ستين ساعة عمل، وهذا الحقير الصغير كان سعيدًا، بذقنٍ، وعينين جميلتين تشعان روحًا، وارتجل العدد الحقير على الكمبيوتر. عندما غنّى شيئًا للبيتلز بصوت عالٍ على الانتركوم، ورنّ جرس الهاتف بلا توقف، توجب على هيانس، المحرر، أن يركض ليقوم بشيء هام في مكان ما. لكن القراء عندما يقرؤون الصحيفة بعد أسبوع يتساءلون إلى أين ركض بالضبط. من المؤكد أنه لم يركض إلى هيئة التحرير.

واصلت صحيفة فرج مفتوح العمل، لمدة من الزمن على الأقل. كانت أعمدتي جيدة، لكن الصحيفة لم تكن تسوى شيئًا. أمكنني اشتمام رائحة الفرج المحتضر المنبعثة منها...

كان هناك اجتماع للطاقم كلّ أسبوعين في يوم الجمعة. أفسدت بعضها. وبعد أن سمعت النتائج، لم أرغب في المجيء أكثر. إذا أرادت الصحيفة أن تحيا، فلتحيا. بقيت بعيدًا، وسرّبت موادّي من تحت الباب في مغلف.

ثمّ اتّصل بي هيانس: «لدي فكرة. أريدك أن تجمع من أجلي أفضل الشعراء وكتاب النثر الذين تعرفهم، وسننشئ معًا ملحقًا أدبيًا».

جمعتهم من أجله. طبع الملحق. وقبضت عليه الشرطة بتهمة «الفحش».

لكنني كنت إنسانًا لطيفًا. اتصلت به. «هيانس؟»

«نعم؟»

«لأنك اعتُقلت بسبب هذا الشيء، سأكتب عمودي مجانًا. أنا أتبرع بالعشرة دولارات التي دفعتها لي لصندوق حماية فرج مفتوح».

قال: «شكرًا جزيلًا».

وهكذا ظَفرَ بأفضل كاتب في أمريكا مجانًا...

في إحدى الليالي اتّصلت بي تشيري.

«لماذا لم تعد تأتي إلى اجتماعات الطاقم؟ كلنا نفتقدك، بشدة».

«ماذا؟ ماذا تقولين يا تشيري، بحق الجحيم؟ هل أنت مسطولة؟»

«لا يا هانك، نحن جميعا نحبك، حقًا. أرجوك تعال إلى اجتماع الطاقم المقبل».

«سأفكر في الأمر».

«الاجتماع ميت من دونك».

«وميت بوجودي».

«نريدك أيها العجوز».

«سأفكر في الأمر يا تشيري».

ثم حضرت. هيانس نفسه من اقترح الفكرة، فقد كانت ذكرى أول عام على صدور فرج مفتوح، وسيتدفق هناك النبيذ والحياة والحب.

لكني عندما انتشيت من الشرب وتوقعت أن أشاهد المضاجعات على الأرض، والوفرة في الحب، رأيت كائنات الحب الصغيرة هذه غارقة في العمل: كن منكفئات وكئيبات، ذكرنني بالمسنات الصغيرات اللاتي عملن في المقاولات. اعتدتُ على إيصال إرساليات القماش إليهن. كنت أصعد إليهن بمصاعد من حبال تُسحب باليد، تعجّ بالعناكب وتفوح منها رائحة كريهة. مسنات يبلغن مئة عام، يعملن في المقاولات، فخورات وميّتات وعصبيات إلى حدّ رهيب، يعملن ليجعلن من شخص مليونيرًا.. في نيويورك، في فيلادلفيا، في سانت لويس.

وأولئك الذين عملوا في فرج مفتوح، عملوا من دون أجر، كان

هناك جو هيانس، وحشيّ الهيئة وبدينًا، راح وجاء وراءهن، فيما يداه متشابكتان وراء ظهره، يتحقّق من وفاء كل متطوع ومتطوعة في عملهم.

«هيانس، هيانس! يا مصاص الأيور أيها القذر!» صرخت وأنا أدخل، «أنت تدير هنا سوق رقيق، تقليد قذر لسايمون ليغري! تطلب العدالة من الشرطة ومن وواشنطن العاصمة وأنت أقذر منهم جميعًا وأكثر خنزيرية، أنت مئة ضعفٍ من هتلر، أيها النذل، يا تاجر العبيد! تكتب عن الفظائع وتفعل ثلاثة أضعافها! بمن تفكر وأنت تعمل، أيها القذر؟ من تظنّ نفسك؟»

لحسن الحظّ كان هيانس، وبقية أفراد الطاقم معتادين عليّ وظنوا أن كل ما قلته هراء، وأن هيانس يمثّل الحقيقة.

اتجه هيانس نحوي ووضع دباسة في يدي.

قال: «اجلس. نحن نحاول زيادة التوزيع. اجلس فقط وثبّت هذه الإعلانات الخضراء في جميع الصحف. سنرسل جميع الأعداد المتبقية إلى المشتركين المحتملين».

يستخدم هيانس، نصير الحرية العزيز والطيّب، أساليب تجارية كبيرة ليوزع زبالته. شخص مغسول الدماغ لا رجاء منه.

حضر في النهاية وأخذ الدباسة من يدي.

«أنت لا تدبس سريعًا بما فيه الكفاية».

«اللعنة عليك، أيها الخراء. كان من المفترض أن تتوفّر الشمبانيا في جميع أرجاء هذا المكان. الآن أنا أكل الدبابيس-»

«مهلًا، يا إدي!»

دعا عضوًا آخر من العاملين العبيد --- رقيق الخدين، رفيع الذّراعين، فقيرًا وبخيلًا. تضوّر المسكين إدي من الجوع. تضوّر

الجميع من الجوع في سبيل الغاية. باستثناء هيانس وزوجته، سكنا في منزل من طابقين وأرسلا أبناءهما إلى مدرسة خاصة، وكان هناك الأب العجوز في كليفلاند، أحد المنيكين الرئيسيين في **التّاجر البسيط**، وكان يمتلك أموالًا أكثر من أيّ شيء آخر.

طردني هيانس وطرد شخصًا آخر، على طرف قبّعته مروحة صغيرة، الدوق ستانلي المحبوب (أعتقد أنّهم هكذا نادوه)، كذلك امرأة الدوق المحبوب، خرجنا الثلاثة من الباب الخلفي بهدوء تام، وتقاسمنا قارورة من النبيذ الرخيص، وهناك جاء صوت جو هيانس:

«اخرجوا من هنا، وإياكم أن تعودوا **أبدًا**، لكني لا أقصدك **أنت** يا بوكوفسكي!»

ملعون مسكين. عرف من حافظَ على استمرارية الصحيفة...

بعد ذلك وقعَ اعتقال آخر من قبل الشرطة. هذه المرة بتهمة طبع صورة فرج. كان هيانس متورطًا كالعادة. أراد أن يوسّع التوزيع، بأيّ وسيلة، أو أن يقتل الصحيفة ويرحل. تلك كانت مشكلة لم ينجح في حلّها، وازدادت سوءًا. فقط الأشخاص الذين عملوا بلا أجر أو لقاء خمسة وثلاثين دولارًا في الأسبوع أبدوا اهتمامًا في الصحيفة. لكن هيانس تمكن على الأقلّ من مضاجعة بعض المتطوعات الشابات، فلم يضيع وقته تمامًا.

«لماذا لا تستقيل من عملك الحقير، وتأتي للعمل عندنا؟»

«بِكم؟»

«خمسة وأربعون دولارًا في الأسبوع. ويشمل ذلك العمود الذي تكتبه. ستقوم أيضًا بتوزيعها في الصناديق مساء الأربعاء، في سيارتك، سأدفع ثمن الوقود، واكتب مقالات مثيرة. من الحادية

عشرة صباحًا وحتى السابعة والنصف مساء، لا يشمل أيام الجمعة والسبت».

«سأفكر في الموضوع».

وصل والد هيانس من كليفلاند. سكرنا معًا في منزل هيانس. لم يبدُ هيانس وتشيري سعيدين بالأب. وأفرط الأب في شرب الويسكي. لم يحبّ الحشيش. وأنا أيضًا أفرطت في شرب الويسكي. شربنا طيلة الليل.

«الآن الطريقة للتخلص من الصحافة الحرة هي اقتحام مواقفهم، تهريب الباعة المتجولين من الشوارع، تفجير بعض الرؤوس. هذا ما كنا نفعله في الأيام الخوالي. معي أموال. يمكنني استئجار بعض المجرمين، يعني بعض أبناء القحبة. يمكننا استئجار بوكوفسكي».

صرخ هيانس الابن: «اللعنة عليه! لا أريد أن أسمع هراءك، هل تفهم؟»

سألني الأب: «ما رأيك في فكرتي يا بوكوفسكي؟»

«أعتقد أنها فكرة جيدة. مرّر الزجاجة إلى هنا».

صرخ جو هيانس: «بوكوفسكي مجنون!»

قال الأب: «أنت تنشر عموده».

قال هيانس الابن: «إنه أفضل كاتب في ولاية كاليفورنيا».

قلت مصححًا: «أفضل كاتب مجنون في ولاية كاليفورنيا».

واصل الأب قائلًا: «يا بني، لدي أموال كثيرة. أريد أن أساعد صحيفتك. كل ما علينا القيام به هو تفجير بعض. . .».

صرخ جو هيانس: «لا. لا. لا! أنا أرفض!» ثم هرب من منزله. كان جو هيانس إنسانًا رائعًا. هرب من منزله. تناولتُ رشفة أخرى

وقلت لتشيري إني سأضاجعها أمام خزانة الكتب. قال الأب إنه سيكون التالي. شتمتنا تشيري بينما ركض جو هيانس في الشارع هو وروحه...

واصلت الصحيفة عملها، ونُشرَت بشكلٍ ما مرة بالأسبوع. ثم بدأت المحاكمة في قضيّة صورة الفرج.

سأل محامي الادّعاء هيانس: «هل لديك اعتراض على الجماع الفمويّ على درج مدخل المدينة؟»

قال جو: «لا، لكنه على الأرجح سيعطّل حركة المرور».

أوه يا جو، فكّرتُ، لقد أخفقت الإجابة! كان عليكَ أن تقول، «أفضل أن يكون الجماع الفمويّ داخل المدينة، كما يحدث عادةً».

عندما سأل القاضي محامي هيانس: «ما معنى صورة العضو التناسليّ الأنثويّ؟»، أجاب محامي هيانس: «حسنًا، هكذا هي الحال. ببساطة هكذا هي الحال».

خسرا القضيّة، بطبيعة الحال، وقدّما استئنافًا.

«مجرّد غبار»، قال جو هيانس لبعض الصحافيين الموزّعين في المنطقة، «مجرّد غبار تذرّه الشرطة».

كم كان إنسانًا ألمعيًا جو هيانس...

المرّة التالية التي سمعتُ فيها جو هيانس كانت عندما اتّصل بي هاتفيًا: «بوكوفسكي، اشتريتُ مسدّسًا. بمئة واثني عشر دولارًا. سلاح جميل. سأقتلُ رجلًا!»

«أين أنت الآن؟»

«في الحانة بجانب مكتب الصحيفة».

«سأصل إلى هناك حالًا».

عندما وصلت إلى هناك كان يروح ويجيء خارج الحانة.

قال: «تعال. سأشتري لك بيرة».

جلسنا. كان المكان ممتلئًا على آخره. تحدّث هيانس بصوت عالٍ جدًا. كان من الممكن سماعه حتى سانتا مونيكا.

«سأفجر دماغه على الجدار --- سأقتله ابن القحبة!»

«من الرجل يا فتى؟ لماذا تريد قتل هذا الرجل يا فتى؟»

ظل يحدق إلى الأمام.

«رائع، يا حبيبي، لماذا تريد قتل ابن القحبة هذا؟»

«لأنّه يضاجع زوجتي!»

«أوه».

حدّق أكثر. بدا الأمر كفيلم. لم يكن ذلك أفضل من الفيلم.

«إنه سلاح جميل» قال جو. «تضع فيه مشبكًا صغيرًا ويطلق عشر رصاصات. طلقات نارية سريعة. لن يبقى منه شيء هذا النذل!»

جو هيانس.

هذا الإنسان الرائع ذو اللحية الحمراء الكبيرة.

رائع، يا حبيبي.

على أيّ حال سألته: «ماذا عن كل المقالات التي نشرتها والتي تناهض الحروب؟ ماذا عن الحبّ؟ ماذا حدث؟»

«بربك يا بوكوفسكي، ألم تؤمن يومًا بكلّ هذا الخراء السلميّ؟»

«حسنًا، لا أدري، حسنًا، أعتقد، ليس تمامًا».

«لقد حذرت هذا الرجل بأني سأقتله إذا لم يبتعد، ثمّ دخلت ووجدته يجلس على الأريكة في بيتي. ماذا كنت ستفعل مكاني؟»

«أنت تحوّل هذا الشيء إلى مسألة ملك شخصيّ، ألا تفهم؟ اللعنة، انسَ الأمر فقط. ارحل. اتركهم هناك معًا».

«هل هذا ما كنت ستفعله؟»

«بعد أن جاوزتُ سن الثلاثين - هذا ما فعلته دائمًا. وبعد أن جاوزتُ سن الأربعين، أصبحت المسألة أسهل. ولكن في العشرينات من عمري كنت أصاب بالجنون. الحروق الأولى هي أصعب الحروق».

«حسنًا، سأقتل ابن القحبة! سأفجّر دماغه!»

كل من في الحانة كان يصغي. الحبّ، يا حبيبي، الحب.

قلت له: «دعنا نخرج من هنا».

في الخارج، خرّ هيانس على ركبتيه وأطلقَ صرخة طويلة ومدوية لمدة أربع دقائق. كان من الممكن سماعها حتى ديترويت. ثم أنهضته وسرت به إلى سيارتي. عندما بلغ باب السيارة من جهته، أمسك بالمقبض، خرّ على ركبتيه وأطلق صرخة خنزير أخرى وصلت حتّى ديترويت. المسكين، كان يعشق تشيري. أنهضتُه، أجلسته على المقعد، وجلستُ أنا في الجانب الآخر، وقدت السيارة متوجهًا نحو شمال سانست ثم شرقًا على طول سانست وعند الإشارة الحمراء، عند مفترق سانست- فيرمونت، أطلق صرخة أخرى. أشعلت سيجارًا. حدق السائقون الآخرون في اللحية الحمراء وهي تصرخ.

قلتُ في نفسي، إنه لن يتوقف. سوف أضطر إلى لكمه.

ولكن مع تحول الإشارة إلى الأخضر أنهى الصرخة، وواصلتُ أنا القيادة. جلس هناك ينتحب. حرت ماذا أقول. لم يكن ثمّة شيء أقوله.

فكرت، عليَّ أن أصطحبه إلى مونغو عملاق النشوة الأبديّة.

مونجو يطفح بالخراء. قد ينجح في إخراج هيانس من هذا الخراء. بالنسبة إليّ، لم أسكن مع امرأة منذ أربع سنوات. كنتُ أبعدَ من أن أستوعب الأمر.

في المرة القادمة عندما يصرخ، قلت في نفسي، سألكمه. لا أستطيع أن أتحمّل صرخة من هذه الصّرخات.

«مهلا! أين نحن ذاهبون؟»

«إلى مونغو».

«أوه، لا! ليس مونغو! أنا أكره هذا الرجل! سيسخر مني فقط! إنه ابن قحبة قاسٍ!»

كان ذلك صحيحًا. كان لمونغو عقلٌ جيّد لكنّه قاس. لم يكن من المفيد أن نذهب إلى هناك. ولم يكن في مقدوري أن أتعامل مع الأمر. واصلنا السّفر.

قال هيانس: «اسمع، لديّ صديقة في المنطقة. ثلاثة شوارع شمالًا. أنزلني. هي ستفهمني».

اتّجهتُ شمالًا.

قلت: «اسمع، لا تطلق النار على الرّجل».

«لماذا؟»

«لأنّك الشخص الوحيد الذي سينشر عمودي».

وصلتُ إلى المكان، أنزلته، انتظرت إلى حين فُتِح الباب، ثمّ غادرت. مؤخّرة جميلة قد تخفّف عنه. وتخفف عنّي أنا أيضًا..

المرّة التالية التي سمعت فيها أخبار هيانس، كان قد ترك البيت.

«لم أعد أحتمل ذلك. في إحدى الليالي، استحممتُ، وتهيأت لمضاجعتها، أردتُ أن أبعثَ بعض الروح في عظامها ولكن هل تعرف ماذا حدث؟ عندما دخلتُ عليها ركضت خارج البيت. القحبة!»

«اسمع يا هيانس، أعرف هذه اللعبة. لا أستطيع أن أقول كلامًا

ضدّ تشيري، فلن يمرّ يوم واحد إلّا وتعودان إلى بعضكما، ثمّ ستذكر كلّ الكلام القذر الذي قلتُه عنها».

«لن أعود إليها».

«آها».

«لقد قررت عدم إطلاق النار على النّغل».

«جيد».

«سأتحدّاه بمباراة الملاكمة. بقواعد الحلبة. حكم، قرع الجرس، قفازات، وبقيّة الأشياء».

قلت: «حسنًا».

ثوران يتعاركان من أجل بقرة. بقرة ناتئة العظام. ولكن في أمريكا حدث أن حظي الخاسر في أحيان كثيرة بالبقرة. غريزة أمومية؟ محفظة أسمن؟ أيرٌ أكبر؟ الله وحده يعلم...

بينما كان هيانس يفقد صوابه، استأجر رجلًا بغليون وربطة عنق لضمان استمراريّة الصحيفة. لكن كان واضحًا أن صحيفة فرج مفتوح على وشك الانتهاء. ولكن لم يكن أحد يعنيه الأمر سوى أولئك الذين عملوا مقابل خمسة وعشرين دولارًا وثلاثين دولارًا في الأسبوع، والمتطوّعين. وجدوا متعةً في الصحيفة. لم تكن الصحيفة عظيمة لكنّها لم تكن سيّئة. تعلمون، كان عمودي هناك: مدوّنات عجوز قذر.

واصل السّيد غليون وربطة عنق طبع الصحيفة. لم يطرأ عليها أيّ تغيير. وفي الوقت نفسه بقيت أسمع عبارات: «جو وتشيري عادا لبعضهما. جو وتشيري انفصلا. جو وتشيري عادا لبعضهما. جو وتشيري...».

في ليلة زرقاء باردة مساء الأربعاء، توجّهتُ إلى كشك للصحف

لشراء نسخة من **فرج مفتوح**. كنت قد كتبت أحد أفضل أعمدتي وأردت أن أعرف إذا كانت لديهم الجرأة لنشره. في الكشك كان عدد الأسبوع الماضي. شممت رائحة في الهواء الأزرق الميت: انتهت اللعبة. اشتريت كرتونتين من بيرة شليتز وعدتُ إلى شقّتي وشربتُ المرثيّة. دائمًا ما كنت أتهيأ للنهاية لكني لم أكن جاهزًا عندما حدث ذلك. اتجهت صوب الملصق المعلق على الحائط، أنزلته وألقيت به في سلة المهملات: « **فرج مفتوح. استعراض أسبوعيّ لنهضة لوس أنجلوس**».

لا داعي لقلق الحكومة بعد اليوم. أصبحتُ مواطنًا صالحًا من جديد.

عشرون ألف نسخة في التّوزيع. لو كنّا نصل إلى ستّين ألفًا - بلا مشاكل عائليّة، بلا مشاكل مع الشّرطة... لكنّا نجحنا. لكنّنا لم ننجح.

اتصلت بالمكتب في اليوم التالي. كانت الفتاة على الهاتف تبكي. "حاولنا أن نتّصل بكَ الليلة الماضية يا بوكوفسكي، ولكن لا أحد يعرف أين تسكن. إنه لأمر فظيع. انتهى. انتهى الأمر. الهاتف لا يتوّقف عن الرنين. أنا الوحيدة الموجودة هنا. سنعقد اجتماعًا للموظفين يوم الثلاثاء المقبل في محاولة لإنقاذ الصحيفة. لكن هيانس أخذ كل شيء - كل ماكينات التّصوير، والقائمة البريدية وجهاز الـ IBM وهو ليس خاصّته. قُضيَ علينا. لم يتبقَ شيء.

أوه، ما أعذب صوتك، يا حبيبتي، صوت حزين، حزين وعذب. كنتُ أود مضاجعتك. قلت في نفسي.

«نفكر في تأسيس صحيفة هيبيّة، الحركة السريّة ماتت. أرجوك تعال إلى منزل لوني».

«سأحاول». قلت وكنتُ أعلم أنّي لن أذهب. هذا ما كان -- ما يقارب العامين. وانتهى كلّ شيء. انتصر رجال الشرطة، انتصرت المدينة، وانتصرت الحكومة. وعادت الحشمة إلى الشوارع من جديد. ربما سيتوقّف رجال الشرطة عن تغريمي في كلّ مرّة يرون فيها سيّارتي. ولن يرسل إليّ كليفر تلكَ البطاقات الصغيرة من مخبأه. ويمكن شراء ل. أ. **تايمز** من أي مكان. أيها المسيح، ويا أمّنا في السماء، الحياة حزينة.

لكني أعطيت الفتاة عنواني ورقم هاتفي، من منطلق التفكير بأننا قد نفعلها في الفراش. (لم تصلي قط يا هارييت).

لكن بارني بالمر، المراسل السياسي، وصل. أدخلته وفتحت علب البيرة.

قال: «هيانس وضع المسدس في فمه وضغط على الزناد».

«ماذا حدث؟»

«تعطل المسدس، لذلك باعه».

«أمكنه أن يحاول مرة أخرى».

«يتطلب الأمر جرأة لتحاول مرة أخرى».

«أنت على حق. اعذرني. أعاني من صداع خمار فظيع».

«هل تريد أن تسمع ما حدث؟»

«بالتأكيد، فهو موتي أيضًا».

«حسنًا، كان ذلك ليلة الثلاثاء، حاولنا تجهيز الصحيفة. كان لدينا عمودك، والحمد لله أنه كان طويلًا، فقد نقصتنا مواد. بدا الأمر وكأننا لن ننجح في تعبئة الصفحات. وصل هيانس، بعينين زجاجيتين، مخمورًا من النبيذ. وقال أنّه وتشيري انفصلا من جديد».

«ااخ».

«نعم. على أي حال، لم ننجح في تعبئة الصحيفة. وواصل هيانس إزعاجنا. اصعد إلى الطابق الثاني، رقد على الأريكة ونام. في اللحظة التي غادر فيها، بدأنا بتجهيز الصحيفة. نجحنا في إنهاء العمل وتبقّت لنا خمس وأربعون دقيقة لنصل إلى المطبعة. أتعرف ما الّذي حصل عندها؟»

«استيقظ هيانس».

«كيف عرفت؟»

«هذه موهبتي».

«حسنًا، أصرّ على إيصال الصحيفة إلى المطبعة بنفسه. رمى العدد في السيارة لكنّه لم يصل إلى المطبعة. في اليوم التالي وصلنا ووجدنا ورقة تركها لنا، وكان المنزل خاليًا: جهاز الـ IBM، القائمة البريدية، كل شيء...».

«سمعت بذلك. حسنًا، دعنا نفكّر في الأمر بهذه الطريقة: هو من بادر إلى هذا الشيء الملعون، وله الحقّ في أن ينهيه».

«لكن جهاز الـ IBM، ليس ملكه. وقد يتورّط بسببه».

«هيانس معتاد على المشاكل. وهو مدمن عليها. لقد جنّ تمامًا. عليك أن تسمعه وهو يصرخ».

«ولكن المسألة لها علاقة بجميع البشر الصغار يا بوكوفسكي، من عملوا مقابل خمسة وعشرين دولارًا في الأسبوع وتنازلوا عن كلّ شيء من أجل الصحيفة. أشخاص بورق كرتون في أحذيتهم. وأشخاص ناموا على الأرض».

«البشر الصغار هم دائمًا كبش الفداء يا بالمر. هذا هو التاريخ».

«أنت تتحدّث مثل مونغو».

«مونغو عادة على حقّ، رغم أنه ابن قحبة».

تحدثنا قليلًا، ثم انتهى الأمر.

في تلك الليلة جاءني رجل أسود ضخم. «يا أخي، سمعتُ أن صحيفتك انتهت».

«صحيح يا أخي ولكن أين سمعت عن ذلك؟»

«في ل. أ. تايمز، الصفحة الأولى من القسم الثاني. أظنّهم سعداء».

«أعتقد ذلك».

«أحببنا صحيفتك، يا رجل. وكذلك عمودك. كان عمودًا مؤثّرًا جدًا».

«شكرًا لك يا أخي».

في وقت الغداء (١٠:٢٤ مساءً) خرجت واشتريت صحيفة ل. أ. تايمز. أخذتها إلى الطرف الثاني من الشارع وجلست في الحانة. طلبتُ كأسًا من البيرة، أشعلت سيجارة وجلست إلى الطاولة تحت الضوء:

فرج مفتوح في مأزق

انقطعت عن النّشر صحيفة فرج مفتوح، ثاني أضخم صحيفة سريّة في لوس أنجلوس، هذا ما قاله محرروها يوم الخميس. كانت الصّحيفة ستدخل بعد ١٠ أسابيع عامها الثاني.

«ديون ثقيلة، مشاكل في التّوزيع وغرامة بقيمة ١٠٠٠ دولار لإدانتها بالفحش في أكتوبر، ساهمت في انقطاع الصحيفة الأسبوعية عن النّشر». قال مايك أنجل، المحرر التنفيذيّ. وقد قُدّر آخر توزيع للصحيفة نحو ٢٠٠٠٠ نسخة يوم إقفالها.

لكن أنجل وباقي أعضاء طاقم التحرير قالوا إنّهم يؤمنون بأنّه

كان من الممكن أن تستمرّ صحيفة فرج مفتوح، وإن إقفالها كان قرارًا اتّخذه جو هيانس، المحرر الرئيسيّ ابن الخامسة والثلاثين عامًا.

عندما وصل أعضاء الطّاقم إلى مكتب الصّحيفة في جادة ميلروز ٤٣٦٩ صباح يوم الأربعاء عثروا على ورقة من هيانس صرّح في قسم منها:

«أنّ الصّحيفة حققت هدفها الفنيّ. سياسيًا، لم يكن لها أيّ تأثير بأيّ شكل. مضمون صفحاتها مؤخرًا لم يتغيّر عمّا كان قبل عام. «بصفتي فنانًا، يتوجّب عليّ أن أبتعدَ عن عمل لا يتطوّر، ولو كان من صنع يديّ وعلى الرغم من أنه جلب الرزق (المال)».

أفرغت بيرتي وعدتُ إلى عملي الحكوميّ-

وبعد مرور بضعة أيام وجدت ورقة في صندوق بريدي:

٤٥ : ١٠ صباح الاثنين

هانك ---

عثرتُ في صندوق بريدي على رسالة من تشيري هيانس هذا الصّباح. (تغيّبتُ طيلة نهار الأحد وليله). تقول إنّ الأولاد عندها وإنها مريضة وتعاني من مشكلة خطيرة في. . . . شارع دوغلاس. لا أنجح في العثور على شارع دوغلاس اللعين على الخريطة، لكنّي أردت أن أعلمك بالرسالة.

بارني

بعد مرور يومين رنّ جرس الهاتف. لم تكن امرأة شبقيّة. كان ذلك بارني.

«هيه، جو هيانس في المدينة».

قلت: «وكذلك أنت وأنا».

«عاد جو إلى تشيري».

«حقًا؟»

«وسينتقلان إلى سان فرانسيسكو».

«هكذا يجب».

«فشل مشروع الصحيفة الهيبيّة».

«نعم. عذرًا لم أتمكن من المجيء. كنتُ مخمورًا».

«لا بأس. لكن اسمع، أنا أكتب الآن مقالة، ولكن عندما أنتهي، سأتّصل بك».

«لماذا؟»

«عثرت على مموّل بخمسين ألفًا».

«خمسين ألفًا؟»

«نعم. مال حقيقي، وهو يريد أن يفعلها. يريد أن يؤسس صحيفة جديدة».

«ابقَ على اتصال يا بارني. لطالما أحببتك. هل تذكر عندما شربنا في شقّتي في الرابعة بعد الظهر، وتحدّثنا طيلة الليل ولم نكن ننتهي من الحديث إلا عند الساعة ١١:٠٠ صباح اليوم التالي؟»

«نعم. كانت ليلة مجنونة بالنسبة إلى عجوز، يمكنك أن تشرب أكثر من أي شخص آخر».

«نعم».

«نعم. إذن، عندما أنتهي من هذه المقالة سأبلغك».

«نعم. ابق على اتصال يا بارني».

«بالتأكيد، حاليًا، اصمد».

«بالتأكيد».

ذهبت إلى المرحاض وتغوّطت بيرة رائعة. ثم ذهبت إلى السرير، استمنيتُ، ونمت.

الحياة والموت في الجناح الخيريّ

كانت سيارة الإسعاف على آخرها لكنّهم وجدوا لي مكانًا في الأعلى وانطلقنا. كنت قد تقيأت دمًا من فمي بكميات كبيرة وخفتُ أن أتقيأ على الأشخاص من تحتي. سافرنا ونحن نصغي إلى صوت السيرانة. بدا صوتها بعيدًا، كما لو أنه لم يأتِ من سيارة إسعافنا. كنّا جميعنا في الطريق إلى مستشفى المقاطعة. الفقراء. المحتاجين. كلّ منا عانى من مشكلة مختلفة، والعديد منا لم يعودوا. الشيء الوحيد المشترك بيننا أننا كنا جميعًا فقراء ولم نمتلك فرصًا كثيرة. تراصصنا هناك في الداخل. لم أكن أعرف أن سيارة إسعاف يمكنها أن تحمل الكثير من البشر. سمعت صوت امرأة سوداء من تحتي تقول: «يا إلهي، يا إلهي، لم أحسب يومًا أن هذا سيحدث لي! لم أفكر في شيء كهذا، يا إلهي...».

لم أشعر هكذا حيال الأمر. كنت ألعب مع الموت منذ وقت. لا أستطيع أن أقول إننا كنا أفضل الأصدقاء ولكن كنّا على معرفة جيدة. اقترب إلي أكثر في تلك الليلة. كانت هناك إنذارات: آلام كالسيوف تنغرز في بطني، لكني تجاهلتها. حسبتني رجلًا قويًا، وتعاملت مع الألم مثل سوء الحظ: تجاهلته. صببت الويسكي على الألم فقط وواصلت عملي. كان عملي أن أسكر. وكان الويسكي يسكرني. كان عليّ أن أبقي على النبيذ.

الدم الذي يأتي من الداخل ليس دمًا أحمر اللون صافيًا كالذي يأتي، مثلًا، من جرح في الإصبع. الدم من الدّاخل داكن، أرجواني يميلُ إلى الأسود، وله رائحة كريهة، أسوأ من رائحة البراز. سائل الحياة، وله رائحة أسوأ من قرف البيرة.

أحسستُ بقدوم تشنج قيء آخر. كان ذلك يشبه إحساس تقيؤ الطعام، وعندما يخرج الدم، يكون الشعور أفضل. ولكن هذا وهم.. فكل تقيؤ يقرّبك من الموت الكبير.

«يا إلهي، لم أحسب يومًا...».

خرج الدم وحبسته في فمي. حرت ماذا أفعل. هناك في الأعلى، كنت على وشك أن أبلّل أصدقائي في الأسفل بكمية كبيرة. حبست الدم في فمي محاولًا التفكير في ما يجب القيام به. انعطفت سيارة الإسعاف وبدأ الدم يسيل من زوايا فمي. حسنًا، على الرجل أن يحافظ على سلوكياته حتى لو كان يحتضر. تمالكت نفسي، أغلقت عيني وابتلعت دمي. شعرت بالقرف. ولكني حللت المشكلة. أملتُ فقط أن نصل إلى أيّ مكان في أقرب وقت، وأن أخرجَ الدّفعة القادمة.

حقًا، لم يكن هناك أي تفكير في الموت. كل ما فكرت فيه هو فكرة وحيدة: شعور فظيع بعدم الراحة، ولم أعد أسيطر على ما يحدث لي. لقد حدّوا من خياراتي وتحكّموا بي.

وصلت سيارة الإسعاف إلى هناك، بعدها كنت على الطاولة ووجهوا إليّ الأسئلة: ما هو ديني؟ أين ولدت؟ هل كنت مدينًا للدولة بالمال من زيارات سابقة إلى المستشفى؟ متى ولدت؟ هل الوالدان على قيد الحياة؟ متزوج؟ كل ذلك، كما تعلمون. يتحدثون إلى رجل كما لو كان في قمة لياقته. هم حتى لا يتظاهرون بأنك تحتضر. ولم

يكونوا على عجلة من أمرهم. يوجد لذلك تأثير مهدئ، ولكن هذا لم يكن سببًا بالنّسبة إليهم: هم ببساطة يشعرون بالضّجر ولا يعنيهم إن كنت ستموت، أو تطير أو تضرط. لا، هم يفضلون ألا تضرط.

ثم كنت في المصعد وانفتح الباب على مكان بدا قبوًا مظلمًا. دحرجوني إلى الخارج. مددوني فوق سرير وخرجوا. ظهر أحد الممرضين المنظمين من مكان وناولني حبة بيضاء صغيرة.

قال: «خذ هذا». ابتلعت الحبة وقدم لي كوبًا من الماء ثم اختفى. كان ذلك أكثر شيء أخلاقي حصل لي منذ مدة طويلة. استندت إلى الخلف ولاحظت ما يحيط بي. كانت هناك ٨ أو عشرة أسرّة، رقد فيها أمريكيون ذكور. لكل منا كان هناك دلو صفيح مليء بالماء وكأس على الطاولة الليليّة. بدت الملاءات نظيفة. كان الظلام دامسًا هناك والطقس باردًا، يشبه الشعور داخل قبو مبنى سكنيّ. كانت هناك لمبة صغيرة، مكشوفة. رقد بجواري رجل ضخم، وكان مسنًا، في منتصف الخمسينات، لكنه كان ضخمًا. على الرغم من أن معظم ضخامته كانت دهنية، إلّا أنّه كان يشعّ قوّةً. ربطوه إلى سريره بأحزمة. كان يحدق مباشرة إلى أعلى ويتحدث إلى السقف.

«. . . وقد كان فتى لطيفًا، فتى نظيفًا ولطيفًا، كان في حاجة إلى عمل، قال إنه في حاجة إلى عمل، قلت: «يعجبني مظهرك، يا فتى، نحتاج إلى شخص يجيد القلي، شخص أمين يجيد القلي، وأستطيع أن أميز الوجه الأمين يا فتى، أستطيع أن أميز الإنسان الجيد، سوف تعمل معي ومع زوجتي وستعمل هنا مدى الحياة، يا فتى. . .».

قال: «حسنًا يا سيدي»، هذا بالضبط ما قاله وبدا سعيدًا بالحصول على العمل، وقلت: «مارثا، وصل إلينا فتى طيب، فتى نظيف ولطيف، لن يسرق من الخزنة مثل بقية القذرين أبناء القحبة». حسنًا،

خرجت وحظيتُ بصفقة دجاج جيدة، جيدة جدًا. مارثا تجيد فعل أشياء كثيرة من الدجاج، تمتلك لمسة سحرية مع الدجاج. الكولونيل ساندرز[1] لا يضاهيها. خرجت واشتريت ٢٠ دجاجة لنهاية الأسبوع. كنّا سنقضي عطلة نهاية أسبوع ممتعة، دجاج خاص، خرجت واشتريت ٢٠ دجاجة. كنا سنسبّب إفلاسًا للكولونيل ساندرز. مع عطلة نهاية الأسبوع هذه، أمكننا أن نربح ٢٠٠ دولار صافية. ذلك الفتى ساعدنا حتى في نتف وتقطيع الدجاج، وقد فعل ذلك في وقت فراغه. مارثا وأنا لم ننجب أطفالًا. بدأت أحب ذلك الفتى. حسنًا، ثبتت مارثا الدجاج في الخلف، جهزت الدجاج... كانت لدينا ١٩ وصفة مختلفة للدجاج. أتخمَنا الدجاج. كل ما قام به الفتى هو سلق الأشياء الأخرى مثل البرغر وشرائح اللحم إلخ. تم تجهيز الدجاج. والله، كانت عطلة نهاية أسبوع رائعة. ليلة الجمعة، والسبت والأحد. كان ذلك الفتى عاملًا جيدًا، ولطيفًا أيضًا. كان التواجد بصحبته شيئًا ممتعًا. روى النكت المضحكة. ناداني بالكولونيل ساندرز وناديته بالكولونيل ساندرز الابن، وهذا ما كنا. عندما أغلقنا ليلة السبت كنا جميعًا مرهقين ولكن سعداء. طلبوا كل الدجاج. كان المكان مكتظًا، وانتظر الناس إلى أن يشغروا الطاولات، لم أر في حياتي شيئا كهذا. أغلقت الباب واشتريت قارورة ويسكي من النوع الجيد، وجلسنا هناك، مرهقين وسعداء، وشربنا بضع مرات. غسل الفتى جميع الأطباق ومسح الأرضية. قال: «حسنًا يا كولونيل ساندرز، متى أبدأ العمل غدًا؟» ابتسم. قلت له ٠٦:٣٠ فأخذ قبعته وغادر. «هذا الفتى لطيف جدًا يا مارثا» قلت

(١) مؤسس شبكة مطاعم كنتاكي.

ثم مشيت إلى الخزنة لأحصي المكسب. كانت الخزنة **فارغة!** فارغة تمامًا، قلت، «كانت الخزنة **فارغة!**» وعلبة السيجار مع مكسب اليومين السابقين، حتى هي وجدها. فتى نظيف كهذا.. لا أفهم... قلت إن بإمكانه أن يعمل مدى الحياة، هذا ما قلته له. ٢٠ دجاجة - مارثا تفهم في الدجاج... وهذا الفتى، هذا الشيء الخرائيّ الصغير، هرب ومعه كل المال اللعين.. هذا الفتى...».

ثم صرخ. سمعت الكثيرين يصرخون لكني لم أسمع في حياتي شخصًا يصرخ هكذا. بدا الأمر وكأن أحزمته على وشك أن تتمزق. اهتز السرير برمّته، وأرجعت الجدران الصرخة إلينا. كان الرجل معذبًا. لم تكن صرخة قصيرة. كانت صرخة طويلة وتواصلت. ثم سكت. تمددنا، نحن الأميركيين الثمانية أو العشرة المرضى من الذكور، في أسرتنا واستمتعنا بالصمت.

ثم بدأ يتحدث مرة أخرى. «كان فتى لطيفًا، أعجبتني هيئته. قلت له إنّه بإمكانه أن يبقى في هذا العمل مدى الحياة. روى النكت المضحكة، كانت رفقته شيئًا ممتعًا. خرجت واشتريت ٢٠ دجاجة. ٢٠ دجاجة. في عطلة نهاية أسبوع جيدة يمكنك أن تكسب ٢٠٠ دولار صافية. كان لدينا ٢٠ دجاجة. ناداني الفتى بالكولونيل ساندرز...».

ملتُ عن السرير وتقيأت الدّم من فمي.

في اليوم التالي حضرت ممرضة وأصعدتني فوق سرير متحرك. كنت ما زلت أتقيأ دمًا وكنت ضعيفًا جدًا. قادتني إلى المصعد.

وقف الفنّيّ خلف جهازه. وضعوا طرفه في بطني وطلبوا مني أن أقف. شعرت بضعف شديد.

قلت: «أنا أضعف من أن أقف».

قال الفنيّ: «قف هناك فقط».

قلت: «لا أعتقد أنّي قادر».

«لا تتحرك».

شعرت أني بدأت أسقط إلى الخلف تدريجيًا.

قلت: «أنا أسقط».

قال: «لا تسقط».

قالت الممرّضة: «لا تتحرك».

سقطت إلى الخلف. شعرت وكأني مصنوع من المطاط. لم أشعر بشيء عندما سقطت أرضًا.

شعرت خفيفًا جدًا. ربما هكذا كنت.

قال الفنيّ: «يا إلهي اللعنة!»

أوقفتني الممرضة قبالة ذلك الجهاز وطرفه في بطني.

قلت: «لا يمكنني الوقوف، أعتقد أني أحتضر. لا أستطيع الوقوف، أنا آسف ولكني لا أستطيع الوقوف».

قال الفنيّ: «لا تتحرك، قف هناك فقط».

قالت الممرضة: «قف».

أمكنني أن أشعر بنفسي أسقط. وقعت إلى الخلف.

قلت: «أنا آسف».

صرخ الفنيّ: «اللعنة عليك! جعلتني أضيّع شريطي تصوير! أشرطة التصوير اللعينة هذه تكلف مالًا!»

قلت: «أنا آسف».

«خذيه من هنا»، قال الفني.

ساعدتني الممرضة وأصعدتني على السرير المتحرك. أدخلتني الممرضة إلى المصعد وهي تدندن.

لكنهم أخرجوني من ذلك القبو ووضعوني في غرفة كبيرة، غرفة كبيرة جدًا. كان ما يقارب ٤٠ شخصًا يحتضرون هناك. تم قطع أسلاك الأزرار وكانت الأبواب خشبية كبيرة، أبواب خشبية سميكة مغلفة بألواح من الصفيح على كلا الجانبين فصلتنا عن الممرضات والأطباء. وضعوا ألواحًا على جانبي سريري وطلبوا مني أن أستخدم وعاء ليليًّا لكني لم أستسغ الوعاء الليلي، وخاصة لتقيؤ الدم داخله، وأقل من ذلك لأخرأ فيه. إذا اخترع أحدهم يومًا وعاء ليليًّا مريحًا وصالحًا للاستعمال سيكرهه الأطباء والممرضات إلى الأبد.

كانت بي طوال الوقت رغبة في التغوّط لكني لم أكن وافر الحظ. طبعًا، كان كل ما تحصلت عليه هو الحليب وكانت معدتي مفتوحة، حتى إني لم أقوَ على تذوّق شيء وإخراجه من فتحة مؤخرتي. قدمت لي الممرضة لحم البقر المشوي مع الجزر نصف المطبوخ والبطاطس نصف المهروسة. رفضت. كنت أعرف أن كل ما أرادوه هو سرير فارغ آخر. على أيّ حال، كانت لا تزال بي رغبة في التغوط. غريب. كانت الليلة الثانية أو الثالثة لي هناك. كنت ضعيفًا جدًا. تمكنت من فك أحد الجانبين والنزول عن السرير. وصلت إلى المرحاض وجلست هناك. حاولت جاهدًا وجلست هناك وحاولت. وأخيرًا نهضت. لا شيء. بركة صغيرة من الدم فقط. ثم بدأ الدوار في رأسي واستندت إلى الحائط بيدٍ واحدة وتقيأت الدم من فمي. شطفت المرحاض بالماء وخرجت. اجتزت منتصف الطريق نحو سريري وجاءتني نوبة أخرى من القيء. لم أكن أعرف أن هناك دمًا كثيرًا داخل الجسم. ثمّ عدتُ وتقيأت من فمي دمًا كثيرًا.

صرخ رجل عجوز في وجهي من سريره، «يا ابن العاهرة، اخرس حتى نتمكن من النوم قليلًا».

«عذرًا يا رفيق»، قلت، ثم فقدت وعيي. . .

غضبت الممرضة. قالت «أيها الوغد، قلت لك لا تنزل الألواح عن جانبَي سريرك. أيّتها الحشرات اللعينة، أنتم تحوّلون ليلتي إلى جحيم!»

قلت لها: «فرجك نتن، مكانك في ماخور في تيخوانا».

رفَعَت رأسي من شعري وصفعتني صفعة مدوّية على الجانب الأيسر من وجهي ثمّ صفعة أخرى على الجانب الأيمن.

قالت: «اعتذر حالًا! اعتذر حالًا!»

قلت: «فلورنس نايتنغيل، أنا أحبك».

أنزلت رأسي إلى السرير وخرجتْ من الغرفة. كانت سيدة بروح حقيقية ونارية؛ أحببت ذلك. تدحرجت في دمي، ترطبت بيجامتي. هذا سيعلّمها درسًا.

عادت فلورنس نايتنغيل مرة أخرى مع أنثى سادية أخرى ووضعتاني على كرسي ودفعنَه عبر الغرفة باتّجاه سريري.

«ضجّة كثيرة، اللعنة!» قال الرجل العجوز. كان محقًا.

أعادتاني إلى السرير ورفعت فلورنس اللوح إلى السرير مجددًا. قالت: «يا ابن العاهرة، ابق هناك الآن وإلا هصرتكَ».

قلت: «مصّي لي، مصّي لي قبل أن تغادري».

اتكأت على الدرابزين وحدّقت في وجهي. أمتلك وجهًا مأساويًا. وهذا يجذب بعض النساء. كانت عيناها واسعتين وشهوانيّتين وحدّقت في عينيّ. دفعتُ عني ملاءتي ورفعتُ البيجامة. بصقت في وجهي، ثمّ خرجت. . .

بعدها، وصلت رئيسة الممرضات.

قالت: «سيد بوكوفسكي، لا يمكننا أن نعطيك دمًا. لا تملكُ تأمين دم».

ابتسمَت. جاءت لتبلغني أنّهم على وشك أن يتركوني أموت.

قلت: «حسنًا».

«هل تريد أن ترى الكاهن؟»

«لأيّ غرضٍ؟»

«مسجّل في بطاقتك الصحيّة أنّك كاثوليكيّ».

«مجرّد سجّلتُ ذلك».

«لماذا؟»

«كنتُ كاثوليكيًا ذات مرّة. إذا سجّلت «بلا ديانة»، فإنّ النّاس في العادة يطرحون أسئلة كثيرة».

«مسجّل عندنا أنّك كاثوليكيّ يا سيّد بوكوفسكي».

«اسمعي، أنا لا أقوى على الكلام. أنا أحتضر. حسنًا، حسنًا، أنا كاثوليكيّ، فليكن».

«لا يمكننا أن نعطيك دمًا يا سيّد بوكوفسكي».

«اسمعي، والدي يعمل من أجل هذه الولاية. أعتقد أن لديهم تأمين دم. المتحف القومي لوس أنجلوس. السيد هنري بوكوفسكي. هو يكرهني».

«سوف نتحقق من ذلك».

كان هناك مشكلة تتعلق بأوراقي بينما كنت أرقد في الطابق العلوي. لم ألتق بالطبيب حتى اليوم الرابع، وبعد ذلك اكتشفوا أن والدي الذي كان يكرهني، وهو رجل طيب يملك وظيفة، وله ابن سكير يحتضر عاطل عن العمل، وأن الرجل الطيب تبرّع بالدّم، ثمّ علّقوا زجاجة وصبّوها داخلي. ١٣ باينتًا من الدّم و ١٣ باينتًا من

الجلوكوز من دون توقف. لم تجد الممرضات مكانًا لِحَقن الإبرة. . .

استيقظتُ دفعةً واحدة ورأيتُ الكاهن يقف فوق رأسي.

قلت: «أيها الأب، أرجو أن ترحل من هنا، يمكنني أن أموت من دون ذلك».

«تريدني أن أرحل من هنا يا ابني؟»

«نعم، أيها الأب».

«هل فقدت إيمانك؟»

«نعم، فقدت إيماني».

«إذا كنتَ يومًا كاثوليكيًا، ستبقى دومًا كاثوليكيًا يا بنيّ».

«هراء، أيها الأب».

قال رجل عجوز في السرير المجاور: «أيها الأب، أيها الأب، أريد أن أتحدّث إليك. تعالَ وتحدّث معي أيّها الأب».

اتّجه الكاهن نحوه. وأنا انتظرت الموت. تعرفون جيدًا أنني لم أمت تمامًا، وإلا لما كنت أروي لكم هذا الآن. . .

نقلوني إلى غرفة مع رجل أسود ورجل أبيض. حصل الأبيض على الورود النضرة يوميًا. كان يربّي الورود ويبيعها لمحلّات الورود. لكنّه في ذلك الوقت لم يربِّ أي ورود. انفجر الرجل الأسود في داخله مثلي. كان الرجل الأبيض يعاني من مشكلة في القلب، مشكلة خطيرة. اضطجعنا وتحدث الرجل الأبيض عن الورود وعن تربيتها وكيف أنه يتحرّق لتدخين سيجارة، يا إلهي، كم يحتاجها. كنت قد توقفت عن تقيّؤ الدم. الآن تغوّطتُ دمًا. شعرت أنّي نجحت. أفرغت نصف لتر من الدم وأخرجوا منّي الإبرة.

«سأحضر من أجلك السجائر يا هاري».

«يا الهي، شكرًا يا هانك».

نزلت عن السرير. «أعطني نقودًا».
أعطاني هاري بعض الفكّة.
قال تشارلي: «إذا دخّن سيموت». تشارلي كان الرجل الأسود.
«هراء يا تشارلي، بضع سجائر صغيرة لن تضرّ».
خرجت من الغرفة ومشيت عبر الرواق. كانت هناك ماكنة للسجائر في بهو الانتظار. اشتريت علبة وعدت. ثم اضطجعنا أنا وتشارلي وهاري هناك ودخّنا السجائر. كان الوقت صباحًا. عند الظهر تقريبًا حضر الطبيب ووضع هاري على الجهاز. بدأ الجهاز يبصق ويضرط ويهدر.
«لقد دخّنت، أليس كذلك؟» سأل الطبيب هاري.
«لا أيها الطبيب، أقسم لك، لم أدخن».
«من منكما أحضر له السجائر؟»
حدّق تشارلي في السقف. وحدّقتُ أنا في السقف.
قال الطبيب: «سيجارة أخرى وستموت».
ثم أخذ جهازه وخرج. بمجرد خروجه أخرجت العلبة من تحت الوسادة.
قال هاري: «أعطني واحدة».
قال تشارلي: «سمعت ما قاله الطبيب».
«نعم»، قلت وأنا أنفث غيمة من الدخان الأزرق الجميل، «سمعتَ ما قاله الطبيب: «سيجارة أخرى وستموت»».
قال هاري: «أفضّل أن أموت سعيدًا على أن أعيش تعيسًا».
قلت: «لا يمكنني أن أتحمّل مسؤوليّة موتك يا هاري، سأعطي السّجائر لتشارلي وإذا رغب في إعطائك سيجارة، فهو حرّ».
أعطيتها لتشارلي الذي رقد وسط السرير.

قال هاري: «حسنًا يا تشارلي، ناولني السجائر».

«لا أستطيع أن أفعل ذلك يا هاري، لا أستطيع أن أقتلك يا هاري».

أعاد تشارلي السجائر إليّ.

«هيا يا هانك، أعطه سيجارة».

«لا يا هاري».

«أرجوك يا رجل، أتوسّل إليك، سيجارة واحدة فقط، واحدة!»

«أوه، يا إلهي!»

رميت إليه بكلّ العلبة. ارتعدَت يده وهو يُخرج سيجارة منها.

«لا توجد معي عيدان ثقاب. من معه عيدان ثقاب؟»

قلت: «أوه، يا إلهي».

رميتُ إليه بعيدان الثقاب...

أدخلوني وأوصلوني بزجاجة أخرى. بعدها بعشر دقائق تقريبًا حضر أبي. كانت فيكي بصحبته، مخمورة إلى حدّ لم تنجح في الوقوف على قدميها.

قالت: «يا حبيبي! يا حبيبي الصغير!»

ارتمت قبالة حافة السرير.

نظرت إلى الرجل العجوز. قلت: «يا ابن العاهرة، ما كان يجب أن تحضرها إلى هنا وهي مخمورة».

«يا حبيبي الصغير، ألا تريد أن تراني؟ ألا تريد يا حبيبي الصغير؟»

«حذّرتك من التورّط مع امرأة كهذه».

«إنها منتهية. أيها الوغد، اشتريت لها الويسكي، أسكرتها وأحضرتها إلى هنا».

«قلت لك إنها لا تساوي شيئًا يا هنري. قلت لك إنها امرأة سيئة».

«ألم تعد تحبّني يا حبيبي الصّغير؟»

«أخرجها من هنا الآن. . . الآن!» قلت للرجل العجوز.

«لا، لا، أريدك أن ترى أيّ نوع من النّساء لديك».

«أعرف أي نوع من النساء لديّ، والآن أخرجها من هنا حالًا، وإلا أقسم بالله سأسحب هذه الإبرة من ذراعي وأحقنها في مؤخرتك».

أخرجها الرجل العجوز. هويتُ على وسادتي.

قال هاري: «إنها جميلة».

قلت: «أعرف، أعرف. . .».

توقفت عن تغوط الدم وحصلت على قائمة بالطعام الذي يجب عليّ أن أتناوله، وقالوا لي إنّ أوّل مشروب لي سيقتلني. قالوا لي أيضًا إني سأموت من دون عمليّة. نشب بيني وبين طبيبة يابانيّة نقاش فظيع حول العملية والموت. قلت «لا عملية»، وخرجت هي من الغرفة، تهزّ مؤخرتها في وجهي بغضب. كان هاري لا يزال على قيد الحياة عندما غادرتُ، وكان يحتضن سجائره.

سرتُ تحت ضوء الشمس لأجرّب الإحساس به. كان شعورًا جيدًا. وكانت حركة المرور على عادتها. كان الرصيف كعادة الأرصفة دائمًا. تساءلتُ هل أركب الحافلة أم أتّصل بشخص ليأتي ويقلّني. دخلتُ إلى مكان لأجري اتصالا. أوّل ما فعلته أنّي جلستُ ودخّنت.

حضر الساقي وطلبتُ قارورة بيرة.

سأل: «ما الجديد؟»

قلت: «ليس الكثير». ذهب. صببتُ البيرة في الكأس، ثمّ نظرت إليها قليلًا وأفرغتُ نصفها. وضعَ أحدهم قطعة نقديّة في صندوق النغم وأصغينا إلى الموسيقى. بدت الحياة أفضل قليلًا. أفرغت الكأس، وأردفتها بأخرى، وتساءلت إن كان أيري سينتصب يومًا. نظرت حولي، في أرجاء الحانة: لا نساء. فعلت أفضل شيءٍ مرة أخرى: رفعتُ كأسي وأفرغتها.

يَومَ تحدّثنا عن جيمس ثوربر[1]

كان حظّي عاثرًا أو أنّ موهبتي انتهت. يبدو لي أن الكاتب ألدوكس هكسلي، أو إحدى شخصيّاته، هو القائل في روايته «نقطة مقابل نقطة»: «بوسع كلّ شخص أن يكون عبقريًا في الخامسة والعشرين: في الخمسين يتطلّب الأمر مجهودًا أكبر». حسنًا، كان عمري تسعة وأربعين عامًا، يعني ليس خمسين- قبل الخمسين بأشهر. ولم تكن لوحاتي تتنقّل. في الآونة الأخيرة صدر كتاب شعري صغير: «السّماء أكبر فرجٍ»، حصلتُ عليه بمئة دولار قبل أربعة أشهر، والآن صار كتابًا للمجمّعين، مسجّلًا بعشرين دولارًا عند تجّار الكتب النادرة. حتى إني لم أملك نسخة من الكتاب الذي ألفته. سرقه صديقٌ منّي وأنا مخمور. صديق؟

كان حظي عاثرًا. لقبوني بـ«جانيه»، هنري ميلر، بيكاسو، إلخ إلخ، ولم أنجح في أن أجد عملًا حتى كغاسل صحون. جرّبت في أحد الأماكن، لكني صمدت ليلة واحدة مع قارورة النبيذ خاصتي. أعلنت سيدة بدينة وضخمة، شريكة في المصلحة، قائلةً: «لكن هذا الرجل لا يعرف حتى غسل الصحون!»ثم أرتني كيف يضعون أولًا

(١) جيمس ثوربر (١٨٩٤-١٩٦١)، رسّام كاريكاتوريّ وأديب أمريكيّ.

الصحون في أحد أقسام المغسلة - التي حوت على بعض الحمض - وعندها فقط ننقلها إلى قسم الصابون والماء. أقالوني في الليلة نفسها. لكنّي شربت قارورتين من النبيذ وأكلت نصف رجلٍ من لحمِ ضأنٍ تركوه خلفي.

بمفهوم معيّن، كان الانتهاء إلى لا شيء أمرًا مرعبًا، لكن أكثر ما آلمني أنّه كانت لي ابنة في الخامسة من العمر في سان فرانسيسكو، أكثر إنسان أحببته، يحتاجني، ويحتاج أحذية وفساتين وطعامًا وحبًّا ورسائل ودمى وزيارة عرضيّة.

اضطررت إلى العَيش مع شاعر فرنسي كبير سكنَ في فينسيا في كاليفورنيا، وكان من النوع الذي أحبّ بالطّريقتين- بمعنى أنّه ناكَ الرجال والنساء وناكوه. كانت له عادات محببة، وكان رجلًا مسلّيًا وبارعًا في الحديث. وقد ارتدى باروكة صغيرة انزلقت طوال الوقت، واضطر طوال الوقت إلى إعادة هذه الفوضى إلى مكانها في الوقت أثناء حديثه. أجاد سبع لغات لكنه اضطر إلى الحديث بالإنجليزية أثناء وجودي. وقد أتقن كل لغة كإتقانه لغة أمه.

كان يقول مبتسمًا: «آه، لا تقلق يا بوكوفسكي، سأعتني بك!»

كان له أيرٌ بطول اثني عشر إنشًا، مترهّل، واشتهر في عدة صحف سرية عندما قدم إلى فينيسيا، إلى جانب الأخبار والمراجعات النقدية حول قدراته كشاعر (كنت قد كتبتُ إحدى هذه المراجعات بنفسي)، لكن بعض الصحف السرية نشرت صورة لهذا الشاعر الكبير-عاريًا. كان طوله نحو خمسة أقدام، وكان مشعر الصّدر والذراعيَن. استرسل الشعر من أسفل الرقبة وحتى خصيتيه- مثل فرو أسود، خشنًا ومقرفًا- ومن خلال الصورة كان أيره الوحشي يتدلى هناك، دائريّ الرأس، غليظًا: أير ثور على رجل دمية.

فرينتشي كان أحد أعظم شعراء القرن. كلّ ما فعله أنه جلس وكتب قصائده الخالدة الصغيرة اللعينة، وكان ثمّة اثنان أو ثلاثة ممولين أرسلوا إليه الأموال. ومن لا يفعلها؟: أير خالد، قصائد خالدة. كان على معرفة بكورسو، وبوروز، وغينسبرغ، وكاجه. عرف جماعة الفنادق المبكرة هذه، أولئك الذين سكنوا في المكان نفسه، شربوا معًا، ضاجعوا معًا، وأبدع كل منهم على حدة. حتى إنه قابل ميرو وهام وهما يسيران في نفس الجادة، وكان ميرو يحمل قفازات الملاكمة الخاصة بهام وهما متوجهان إلى ساحة القتال. أمل هام بأن يهشم وجه أحدهم هناك. **طبعًا**، عرف الجميع بعضهم البعض وكانوا يقفون لوهلة ليتبادلوا حماقات كلامية لامعة قصيرة.

رأى الشاعر الفرنسي الخالد بوروز يزحف على الارض «ثملًا حتى العماء» عند ب.

«يذكرني بك يا بوكوفسكي. لا حدود له. يشرب حتى يسقط، إلى أن تبرق عيناه. وفي تلك الليلة زحف فوق السجادة، وكان في حالة سكر لم يتمكن بسببها من النهوض، ونظر إلي، «لقد غرروا بي! أسكروني! وقّعت على العقد. بعت كلّ حقوق فيلم **الغداء العاري** مقابل خمسمئة دولار. حسنًا، تبًا، فات الأوان!

طبعًا كان بوروز محظوظًا - نفذت صلاحية الخَيَار وحصل هو على الخمسمائة دولار خاصته. وأنا ثملت لقاء خمسين دولارًا حول شيء مقرف كتبته، مدة صلاحية الحقوق عامان، وبقي لي ثمانية عشر شهرًا لأعرق. غرّروا بنيلسون ألغرن بنفس الطريقة- «الرجل صاحب الذراع الذهبية»، ربحوا الملايين، حصل ألغرن على النزر اليسير. كان مخمورًا وتقاعس عن قراءة الحروف الصغيرة في عقده.

غرروا بي لقاء حقوق فيلم **مذكرات عجوز قذر**. كنت ثملًا

وأحضروا لي فتاة جميلة في الثامنة عشر ترتدي ملابس قصيرة فوق الركبتين، وكعبًا عاليًا، وجوارب طويلة. لم أضاجع امرأة منذ عامين. كنت مستعدًا للتوقيع على حياتي. وبالتأكيد كنت على استعداد لأن أقود قاطرة ركاب سريعة عبر فرجها. حتى إني لم أكتشف ذلك.

هكذا كنت، بائسًا ومهملًا، في الخمسين من العمر، بلا حظ وبلا موهبة، لم أنجح حتى في الحصول على عمل كموزع جرائد، كبوّاب، كغاسيل صحون، فيما الشاعر الفرنسي الخالد نجح دائمًا في أن يفعل شيئًا في شقته - شباب وشابات طرقوا بابه على الدوام. ويا لها من شقة نظيفة! بدا المرحاض وكأنّ أحدًا لم يتغوط فيه من قبل. كان بلاط الأرضية يلمع بياضًا، وكل أنواع السجاد الصغير المنقّش السّمين. أريكات جديدة، كراسي جديدة. كانت الثلاجة تلمع مثل سنّ مجنونة ومتمددة تم فركها حتى بكت. كل شيء، كل شيء، لامس حلاوة غياب الألم وغياب القلق، وغياب العالم في الخارج. في هذه الأثناء، عرف الجميع ماذا يقولون وماذا يفعلون وكيف يتصرفون - كانت تلك شيفرة - سرية بلا صوت: فرك ومصّ ودسّ أصابع في المؤخرة وفي كلّ شيءٍ آخر. رجال، نساء، وأولاد شاركوا. فتية.

وتوفّر هناك الكوكائين. الهروئين. الحشيش. كلّ ما تسمّونه توفّر هناك.

كان ذلك فنًا مورس في صمت، الجميع يبتسمون برقّة، ينتظرون، ثمّ يفعلون. يغادرون. ثمّ يعودون من جديد.

توافر حتّى الويسكي والبيرة والنبيذ لأمثالنا من المخفقين- سيجار وحماقات من الماضي.

واصل الشاعر الفرنسي الأبدي انشغالاته. نهض صباحًا ومارس تمارين يوغا غريبة، وبعدها وقف وتأمل نفسه في مرآة من الحجم الكبير، مرر يديه على نقطة عرقه، ثم أنزلهما إلى الأسفل كي يلامس أيره الضخم وخصيتيه - أبقى الأير والخصيتين للنهاية. رفعهما بشبق، ثمّ أسقطهما: وووب.

في نفس اللحظة تقريبًا دخلتُ إلى الحمام وتقيأت. ثم خرجت.

«لم يتسرب شيء على الأرضية، أليس كذلك يا بوكوفسكي؟»

لم يسألني إن كنت على وشك الموت. كل ما كان يعنيه هو أرضية الحمام النظيفة.

«لا يا أندريه، أفرغت كل ما تقيأته عبر الأنابيب المتعارف عليها».

«فتى طيّب!»

بعدها، وكنوع من الرياء، وقد عرف أني أشدّ مرضًا من الجحيم، توجه إلى الركن، ووقف على رأسه ببنطاله البارمودا، وشبك قدميه، حدق فيّ بشكل مقلوب وقال: «تعرف يا بوكوفسكي، لو تتعقّل وترتدي بدلة توكسيدو، أعدك - بمجرد دخولك إلى الغرفة وأنت ترتديها، سيغمى على كل النساء في الغرفة».

«لا شك».

ثم تدحرج ووقف على قدميه: «أترغب في وجبة فطور؟»

«يا أندريه، لم أرغب في وجبة فطور منذ اثنين وثلاثين عامًا».

عادة ما يسمع بعدها طرق خفيف على الباب، خفيف جدًا، إلى حدّ يمكن الظن أنه كناري مسلح يدق بجناح واحد، يحتضر، متوسّلًا جرعة ماء.

عادة ما كان هناك شابان أو ثلاثة بذقون قصيرة تشبه القش لا يستساغ شكلها.

في الأساس كانوا شبانًا، رغم أنه من حين إلى آخر كانت تصل فتاة شابة، جميلة جدًا، ودائمًا ما كنت أعتذر عن الخروج عندما حضرت فتاة. لكنه كان صاحب الأير المرتخي بطول اثني عشر انشًا، هذا إلى جانب أبديته. لهذا دائمًا عرفت مكاني.

«اسمع يا أندريه، وجع الرأس هذا... أظن أني سأخرج في نزهة قصيرة إلى الشاطئ».

«أوه، لا يا تشارلز! لا حاجة، حقًا!»

وحتى قبل أن أبلغ الباب، كنت أنظر إلى الخلف وأرى أنها فتحت سحاب أندريه، ولو لم يكن لبنطال البرمودا سحاب، كان سينزل عند كاحليه الفرنسيّين، وكانت ستمسك بأيره المرتخي بطول اثني عشر إنشًا لترى ماذا سيفعل عند مداعبته قليلًا. كان أندريه دائمًا يرفع فستانها ويحشو إصبعًا، ويحرك، ويتوغل، ويبحث عن سر الثقب تحت السروال التحتي الوردي، الضيق والنظيف. وكانت الإصبع تجد شيئًا على الدوام: الثقب الميلودرامي الجديد ظاهريًا أو ثقب المؤخرة، أو أنه، ببراعته، نجح في تسريب إصبعه وعبر اللون الورديّ النظيف الضيق، باتّجاه الأعلى، ووصل، مهيئًا ذلك الفرج الذي ارتاح لمدّة ثماني عشرة ساعة فقط.

وكنتُ أنا أقوم بنزهتي عند الشاطئ. بما أن الوقت كان مبكرًا جدًا، لم أضطر إلى مشاهدة الانتشار الهائل للحم البشريّ المبعثر، والمتراص، والمكمم؛ أورام ضفادع. لم أضطر إلى رؤيتهم يسيرون أو يتسكعون بأجسادهم الفظيعة وحياتهم المهدرة - لا عيون، لا

أصوات، لا شيء، ومن دون معرفة شيء- سوى خراء الهدر، البقعة الموجودة على طول الصليب.

لكن الصباحات الباكرة، لم تكن سيئة، خصوصًا في أيام الأسبوع. كل شيء كان ملكي، والنوارس القبيحة جدًا- التي صارت أكثر قبحًا عندما بدأت أكياس الفتات تختفي يوم الخميس أو الجمعة - فقد كان ذلك نذير موت بالنسبة إليها. لم تكن تملك طريقة لتعرف إذا كان الغوغائي سيعود يوم السبت أو الأحد بالسجق والسندويشات الأخرى من أجلها. حسنًا، فكرت، ربما كان وضع النوارس أسوأ من وضعي؟ ربما.

تلقى أندريه دعوة لإقامة أمسية لقراءة أشعاره في مكان ما- شيكاغو، نيويورك، سان فرانسيسكو، في مكان ما. كانت لدي الفرصة لاستخدام آلة الكتابة. لم تثمر هذه الآلة الكثير. أندريه جعلها تعمل على نحو مثالي تقريبًا. كان أمرًا غريبًا أنه كان كاتبًا عظيمًا وأنا لا. لم يكن يبدو وكأن هناك فرق كبير بيننا إلى هذا الحد. لكن كان هناك فرق- فقد عرف كيف يصفّ كلمة بجانب أخرى. لكني عندما جلست أنا، جلست الورقة البيضاء هناك ونظرت إلي. كلّ إنسان له كوابيسه، لكني صاحب ميزة حقيقيّة في المجال.

شربت المزيد من النبيذ وانتظرت مَوتي. غاب أندريه مدّة يومين، وفي أحد الصباحات عند الساعة ١٠:٣٠ سُمع طرق خفيف على الباب. قلت «لحظة»، دخلت إلى المرحاض، تقيأت، وتمضمضت بغسول الفم. ارتديت الشورت، وروبًا حريريًا لأندريه. فتحت الباب.

وقف هناك شاب وفتاة. ارتدت تنورة قصيرة وكعبًا عاليًا، وجوارب نايلون حتى مؤخرتها. كان الشاب مجرد شاب مرفّه-

تيشيرت أبيض، رفيع، فم مفتوح، يدان متشابكتان على الخصر وكأنه على وشك الطيران.

سألت الفتاة: «أندريه؟»

«كلا. أنا هانك. تشارلز. بوكوفسكي».

«هذه نكتة، أليس كذلك يا أندريه؟» سألت الفتاة.

أجبت: «نعم إنها نكتة».

هطل مطر خفيف في الخارج. وقفا هناك.

«حسنًا، على أيّ حال، ادخلا بدلًا من وقوفكما تحت المطر».

«أنت حقا أندريه؟» قالت القحبة. «أنا أعرفك، ذلك الوجه الهرم- عمره مئتا عام!»

قلت: «حسنًا، حسنًا، ادخلا. أنا أندريه».

كان معهما قارورة نبيذ. دخلت المطبخ لأحضر فتاحة وكؤوسًا. صببت ثلاث كؤوس. وقفت وتجرّعت النبيذ، وأثناء الشرب نظرتُ إلى ساقيها قدر استطاعتي. ثم مد يده، فتح سحابي، وبدأ يمص أيري. أصدر ضجة كبير بفمه. داعبت شعره، ثم سألت الفتاة: «ما اسمك؟»

قالت: «ويندي، لطالما أعجبتني أشعارك يا أندريه. أعتقد أنك أحد أعظم الشعراء الأحياء».

واصل الشاب عمله، يمصه ويرطبه، رأسه يتحرك مثل مجنون فقد عقله.

سألتُ: «أحد أعظم الشعراء؟ من الآخرون؟»

قالت ويندي: «شخص واحد فقط. عزرا باوند».

قلت: «لطالما أضجرني باوند».

«حقًا؟»

«نعم. هو يشتغل على القصيدة أكثر من اللازم. جدّي أكثر من اللازم. متعلم أكثر من اللازم. وفي النهاية هو مجرد حِرَفيّ مملّ».

«لماذا توقع قصائدك بـ«أندريه» فقط؟»

«لأن هذا يروق لي».

كان الشاب يعمل بجدّ. أمسكت رأسه، دفعته نحوي وقذفت.

بعدها أغلقت سحّاب البنطال وصببت ثلاث كؤوس أخرى.

جلسنا وتحدثنا وشربنا. لا أدري كم من الوقت استمر ذلك. كانت ويندي تمتلك ساقين رائعتين وكاحلَين رفيعَين وجميلَين حرّكتهما طوال الوقت وكأنها تحترق أو شيء من هذا القبيل. كانا متمكّنين **فعلًا** من الأدب. تحدثنا عن أشياء كثيرة. شيروود أندرسون- واينزبيرغ أوهايو، وغيرها. دوستويوفسكي، كامو، هارت وستيفن مرين، جيمسي ديكي، الأختان برونتي، بالزاك، ثوربر، إلخ إلخ.

أفرغنا قارورتين من النبيذ ووجدت واحدة في الثلاجة. انتقلنا إليها. لا أدري. جننت وبدأت أصارع فستانها- ما كان منه. رأيت شيئًا من الفخذين والسروال التحتي؛ ثم مزقت أعلى الفستان، مزقت الصدرية. مسكتُ حلمة. كانت بدينة. قبلت فمها ومصصته. أدرتها بين أصابعي إلى أن صرخت. عندما صرخت، دفعت فمي نحو فمها، وخنقت الصرخات.

مزقت الفستان - الجوارب، القدمين والركبتين وغيرها. ثم حملتها إلى الكرسي ومزّقت سروالها التحتيّ اللعين وأولجته فيها.

قالت: «أندريه، أوه أندريه!»

نظرت من وراء كتفها فكان الشاب ينظر إلينا ويستمني وهو على كرسيه.

ضاجعتها ونحن واقفان، لكننا دُرنا في أرجاء الغرفة. أولجته

عميقًا، وأوقعنا الكراسي، وكسرنا المصابيح. في مرحلة ما، مددتُها فوق الطاولة، لكنّي شعرت أن أقدام الطاولة على وشك أن تنكسر تحت وطأة جسدينا فرفعتها قبل أن تنكسر على الأرض.

«أوه، أندريه!»

ثمّ ارتعشت كلّها مرّة واحدة، مثل أضحية على المذبح. بعد ذلك، عندما عرفت أنها ضعيفة ومشوّشة، لا تسيطر على نفسها، أولجته فيها مثل خطّاف، أبقيته في الداخل، علقتها عليه مثل سمكة مجنونة مغروزة في خطاف إلى الأبد. في نصف قرن تعلمت بعض الأمور. فقدت وعيها. استندت إلى الخلف وبقيت أضاجعها وأضاجعها، تحرك رأسها مثل دمية بخيط، ومؤخرتها، وقد انتشت مرة أخرى في اللحظة الذي قذفت فيها، عندما انتهينا كدت أموت. كدنا كلانا نموت.

لكي تضاجع شخصًا في وضعية الوقوف، يجب أن يكون هناك تناسب في الأحجام. أذكر أنّي كدتُ في إحدى المرّات أن أموت في فندق في ديترويت. ضاجعت في وضعيّة الوقوف ولم ينجح الأمر تمامًا. ما أحاول أن أقوله إنّها رفعت ساقيها عن الأرض وحوطتني بهما. أي أني جررت شخصين على قدمين. هذا شيء سيئ. أردت أن أتوقف. جررتها على شيئين: يدي تحت ثقب مؤخرتها، وأيري.

لكنها قالت طيلة الوقت، «يا إلهي! لك ساقان قويّتان! يا الهي، لك ساقان جميلتان وقويّتان!»

صحيح. كلّي مقرف، عقلي وباقي الأمور. لكنّ أحدهم وصل هاتين القدمين الضخمتين والقويتين بجسدي. لا أضحك. كاد ذلك يقتلني - تلك المضاجعة في الفندق في ديترويت - بسبب الرفع، والدخول والخروج في هذا الشيء، أمر يتطلب حركة خاصة في

وضعية الوقوف. أنت تجر وزن شخصين. لذا فكلّ الحركة يجب أن تنتقل إلى عمودك الفقري. هذا تمرين صعب وقاتل. في نهاية المطاف، بلغنا الذروة وألقيت بها في اتجاه ما. ألقيت بها عني.

لكن تلك الفتاة عند أندريه، أبقت ساقيها على الأرض، ما ساعدني على القيام بحركات - دورات، سمكة في خطّاف، حركة بطيئة، سريعة، وما إلى ذلك.

باختصار، انتهيتُ منها في نهاية الأمر. كنتُ في وضعيّة سيّئة - كان بنطالي وسروالي التحتيّ يتدليان حول حذائي. ببساطة تركت ويندي. لا ادري أين وقعَت، كما أنّي لم أكترث. في اللحظة التي انحنيت فيها لأرفع البنطال والسروال التحتيّ، جاء الشاب، ذلك الفتى، وأقحم ذراعه اليُمنى مباشرة وبعنف في ثقب مؤخرتي. صرخت، استدرت ولكمته عند فمه. وقع.

ثمّ ارتديت سروالي التحتيّ وبنطالي وجلست على الكرسي. شربت النبيذ والبيرة، متجهّمًا، من دون أن أتفوّه بكلمة.

أخيرًا تهيّآ للرحيل.

قال: «طابت ليلتك يا أندريه».

قالت: «طابت ليلتك يا أندريه».

قلت: «خذا حذركما من الدرج الآن، فإنّه يصبح زلقًا في المطر».

قال: «شكرًا جزيلًا يا أندريه».

قالت: «سننتبه يا أندريه».

قلت: «محبّتي!»

قالا معًا: «محبّتنا!»

أغلقت الباب. يا إلهي، كم كان لطيفًا أن تكون شاعرًا فرنسيًا خالدًا.

توجهت إلى المطبخ، وجدتُ قارورة من النبيذ الفرنسيّ الجيد، بعضًا من الأنشوفة والزيتون المحشو. أخرجت كل شيء وجهزته فوق طاولة القهوة المتهافتة.

صببت كأسًا أخرى من النبيذ. توجّهت صوب النافذة التي أطلت على العالم وعلى البحر. كان البحر لطيفًا: واصل عمله. أفرغت النبيذ، صببتُ كأسًا أخرى، تناولت بعض الطعام، وكنتُ مرهقًا. خلعت ملابسي وتمددت فوق سرير أندريه. أطلقتُ ضراطًا، وأنا أنظر جهة الشّمس، وأصغي إلى البحر.

قلت: «شكرًا جزيلًا يا أندريه، أنت شخصٌ لا بأس به، في نهاية الأمر».

وموهبتي لم تنته بعد.

كلّ الكتّاب العِظام

حادثها ميسون عبر الهاتف. «حسنًا، اسمعي، كنت مخمورًا. لا أذكر ما قلت لك! ربّما كان صحيحًا وربّما لا! لا، لست آسفًا، سئمتُ من الاعتذار.. ماذا؟ لستِ على استعداد؟ حسنًا، اذهبي للجحيم».

أقفل هنري ميسون السماعة. هطل المطر من جديد. حتى في المطر، دائمًا حدثت لي مشاكل مع النساء، ومشاكل مع...

كان ذلك صوت الإنتركوم. رفع السماعة.

«السيد بوركيت هنا، السيّد جيمس بوركيت»

«أخبريه أنّه تمّت إعادة المخطوط، حسنًا؟ أعدناه في البريد أمس. آسف لذلك».

«لكنه يصرّ على مقابلتكم شخصيًا».

«ألا يمكنك التخلص منه؟»

«لا».

«حسنًا، أدخليه».

مجموعة لعينة من المنفتحين. كانوا يرتدون زيًا أسوأ من زي الباعة، رجال المبيعات بِفُرَش، وكانوا حتى أسوأ من...

دخل جيمس بوركيت.

«اجلس يا جيمي».

«وحدهم أصدقائي ينادونني ب 'جيمي'».

«اجلِسْ يا سيد بوركيت».

عبر النظر إلى بوركيت، كان من الممكن القول إنه كان مجنونًا. حبّ نرجسي كبير غطّاه مثل طلاء لامع. استحالت إزالته بغسله. لم يكن بإمكان الحقيقة أن تفعل ذلك. هم لا يعرفون ما هي الحقيقة.

قال بوركيت وهو يشعل سيجارة ويبتسم من حول سيجارته مثل عاهرة بلهاء مزاجيّة: «اسمع، كيف يعقل أنك لا تحبّ مادّتي؟ سكرتيرتك الخاصة في الخارج أعادتها إلي. لمذا أعدته؟»

ثم أرسل إلي السيد بوركيت نظرة مباشرة، مباشرة جدًا، إلى العين. تظاهر وكأن له روحًا، كان من المفترض أن أحب فعل ذلك، وكان من الصعب القيام به، ولكن السيد بوركيت لم يفهم.

«ببساطة لم تكن المادّة جيّدة يا بوركيت. هذا كلّ ما في الأمر».

أطفأ بوركيت سيجارته في منفضة السجائر. كلا، سحقها، وراح يرصّها ويلويها في المنفضة. ثم أشعل سيجارة أخرى، أمسك بعود الثقاب المشتعل أمامه وقال:

«مهلًا، اسمع يا رجل، لا يهمّني!»

«الكتابة كانت فظيعة يا جيمي».

«قلت وحدهم أصدقائي ينادونني بـ«جيمي»!»

«كان كتابة خرائية يا سيد بوركيت، في رأينا فقط، بالطبع».

«اسمع يا رجل، أنا أعرف هذه اللعبة! أنت تمصّ كما يجب وأنت في الداخل! ولكن عليك أن تمص! وأنا لا أمص يا رجل! عملي ينهضُ بقدراته!»

«بالتأكيد يا سيد بواركيت».

«لو كنتُ يهوديًّا أو مثليًّا أو شيوعيًّا أو أسود لكان الأمر منتهيًا، يا رجل، لقبلتموني».

«حضر إلى هنا بالأمس كاتب أسود وقال لي إنه لو كان أبيض الجلد لصار مليونيرًا».

«حسنًا، ماذا عن المثليين؟»

«ثمّة مثليون يجيدون الكتابة».

«مثل جينيه، ها؟»

«مثل جينيه».

«عليّ أن أمصّ أيرًا، ها؟ عليّ أن أكتب شيئًا عن مص الأيور، ها؟»

«أنا لم أقل ذلك».

«اسمع يا رجل، كل ما أحتاج إليه فرصة صغيرة. فرصة صغيرة وأمضي. سيحبّني النّاس! كل ما عليهم القيام به أن يقرأوا ما أكتب!»

«اسمع يا سيد بوركيت، هذا هو نهج العمل هنا. لو نشرنا لكلّ كاتب يطالبنا أن نفعل ذلك لأن كتابته عظيمة، لما كنا سنصمد كل هذه المدة. علينا أن نحكم. إذا ارتكبنا خطأً في أوقات متقاربة، انتهينا. الأمور تسير ببساطة على هذا النحو. نحن نطبع الكتابة الجيدة التي تبيع ونطبع الكتابة السيئة التي تبيع. نحن في سوق المبيعات. لسنا مؤسسة خيرية، وبصراحة، لا نهتم كثيرًا بإصلاح الروح أو تحسين العالم».

«لكنّ كتابتي ستبيع، يا هنري...».

««سيد ميسون» من فضلك! وحدهم أصدقائي...».

«هل تحاول مضايقتي؟»

«اسمع يا بوركيت، أنت تاجر، وأنت رائع في ذلك. لماذا لا تبيع المماسح أو التأمين أو شيئًا من هذا؟»

«ما الخطأ في كتابتي؟»

«لا يمكنك أن تكون تاجرًا وتكتب في الوقت نفسه. وحده همنغواي كان قادرًا على فعل ذلك، وحتى هو نسي الكتابة».

«يا رجل، أقصد ما الذي لا يعجبك في كتابتي؟ أقصد، كن واضحًا! لا تقرفني بهذا الكلام حول همنغواي، يا رجل!»

«١٩٥٥».

«١٩٥٥؟ ماذا تقصد؟»

«أعني، كنت جيدًا وقتها، ولكن الإبرة عالقة في مكانها. أنت لا تزال تكرر ١٩٥٥».

«اللعنة، الحياة هي الحياة وأنا ما زلت أكتب عن الحياة، يا رجل! ليس هناك أي شيء آخر! ماذا بحق الجحيم تعطيني؟»

تنهّد هنري ميسون تنهيدة بطيئة وطويلة وأركن ظهره. الفنانون مملّون إلى حدّ لا يطاق، وقصار النظر. إذا حققوا نجاحًا في حياتهم فإنّهم يؤمنون بعظمتهم مهما كانوا سيئين. إذا فشلوا فإنّهم أيضًا يؤمنون بعظمتهم مهما كانوا سيئين. اذا فشلوا، فإن ذلك ذنب شخص آخر. لا لأنّهم لا يمتلكون الموهبة؛ فمهما كانوا سيئين، يظلّون يؤمنون بعبقريتهم. في وسعهم أن يتشدّقوا دائمًا بفان غوخ أو موتسارت أو عشرين فنانًا غيرهم دخلوا قبورهم قبل أن تنتفخ مؤخراتهم من الشهرة. لكن مقابل كل موتسارت واحد يوجد ٥٠,٠٠٠ من الحمقى الذين لا يطاقون، يصرّون على أن يتقيّأوا أعمالًا رديئة. وحدهم الماهرون من يخرجون من اللعبة - مثل رامبو أو روسيني.

أشعل بوركيت سيجارة أخرى، ومرة أخرى أمسك بعود الثقاب المشتعل أمامه وهو يتحدث:

«اسمع، إنّك تطبع لبوكوفسكي، وهو يتدهور. أنت تعرف أنه تدهور. اعترف، يا رجل. ألم يتدهور بوكوفسكي؟ ألم يتدهور؟»

«وماذا في ذلك، نعم تدهور».

«يكتب خراء!»

«إذا كان الخراء يبيع، سنبيعه. اسمع يا سيد بوركيت، نحن لسنا دار النشر الوحيدة. لماذا لا تحاول مع شخص آخر؟ لستَ مضطرًا لقبول حكمنا».

وقف بوركيت. «ما الفائدة بحق الجحيم؟ كلكم واحد! لا يمكنكم أن تستخدموا الكتابة الجيدة! لا توجد حاجة للكتابة الحقيقية! لا يمكنكم أن تميزوا بين إنسان وذبابة! لأنكم موتى! موتى، هل تسمع؟ جميعكم موتى! اللعنة عليكم! اللعنة عليكم! اللعنة عليكم!»

ألقى بوركيت بسيجارته المشتعلة فوق السّجادة، تحوّل عنها، ومشى صوب الباب، صفع الباب وغادر.

قام هنري ميسون، والتقط السيجارة، ووضعها في المنفضة، وجلس، مشعلًا لنفسه سيجارة. لا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عن التدخين في عمل كهذا، فكر. أسند ظهره إلى الخلف وسحب نفسًا، كان سعيدًا للغاية لرحيل بوركيت --- هؤلاء الرجال خطيرون --- مجانين وأشرار --- خصوصًا أولئك الذين يكتبون دائمًا عن الحب أو عن الجنس أو عن عالم أفضل. يا إلهي. أطلق دخانًا. قُرع الإنتركوم.

رفع السماعة.

«السيد إينسورث هوكلي يطلب رؤيتك».

«ماذا يريد؟ أرسلنا إليه الشيك عن كتابه شهوات ومؤخرات في حرم الجامعة».

«يقول إن لديه قصة جديدة».

«حسنًا. أبلغيه أن يتركها عندك».

«يقول إنه لم يكتبها حتى الآن».

«حسنًا، فليترك الخطوط العريضة، سألقي نظرة عليها».

«يقول إنه لا يملك أيّ خطوط عريضة».

«فماذا يريد؟»

«يريد أن يلتقي بكَ شخصيًا».

«ألا يمكنك التخلص منه؟»

«لا، إنّه يقف هنا ويحدق في ساقيّ ويبتسم ابتسامة عريضة».

«إذن بالله عليك، شدّي تنورتك إلى أسفل!»

«إنها قصيرة جدًا».

«حسنا. أدخليه».

دخل اينسورث هوكلي.

قال له: «اجلس».

جلس هوكلي. ثم قفز واقفًا. أشعل السيجار. حمل هوكلي معه العشرات من السيجار. خاف أن يكون مثليّ الجنس. القصد أنه لم يعرف إن كان مثليًا أم لا، لذلك كان يدخن السيجار لأنه اعتقد أن ذلك عملٌ رجوليّ وديناميكيّ أيضًا، لكنه لم يكن متأكدًا بعد بالنسبة إلى نفسه. ظنّ أنه يحب النساء أيضًا. كان الأمر محيرًا.

قال هوكلي: «اسمع، للتو مصصت أيرًا بطول ٣٦ إنشًا! ضخمًا!»

«اسمع يا هوكلي، هذا عمل. للتو تخلصت من أحد المجانين. ماذا تريد مني؟»

«أريد أن أمصّ أيرك يا رجل! هذا ما أريد!»

«أفضل ألا تفعل ذلك».

كانت الغرفة تعجّ بدخان السيجار. هوكلي لعبها بالفعل. وثب عن الكرسي. طاف في الغرفة. جلس. وثب عن الكرسي. طاف في الغرفة.

«اعتقد أني أصاب بالجنون» قال إينسورث هوكلي. «أفكر طيلة الوقت في الأير. عشت يومًا مع فتى في الرابعة عشرة من عمره. أير ضخم! يا إلهي. ضخم! فرك أيره أمامي مرة واحدة، لن أنسى ذلك أبدًا! وعندما كنت في الكلية، كان هناك هؤلاء الفتيان الذين يتجولون في غرف خلع الملابس، رائعين، هل تعرف؟ كان لأحدهم خصيتان تدلتا حتى ركبتيه! سمّيناه هاري بيتشبولز. وبعد أن أفرغ هاري بيتشبولز، يا عزيزي، كلّ شيء انتهى! مثل أنبوب ماء يدفق حليبًا متخثّرًا! عندما جف هذا الشيء... يا رجل، اضطر في الصباح أن يضرب الملاءات بمضرب البيسبول، ونفض قشارته قبل أن يرسلها إلى الغسيل».

«هل أنت مجنون يا إينسورث».

«أعرف، أعرف، هذا ما أقوله لك! خذ سيجارًا!»

دس هوكلي السيجار بين شفتيه.

«لا، لا، شكرًا لك».

«لعلك ترغب في مصّ أيري؟»

«ليست لدي أدنى رغبة. والآن ماذا تريد؟»

«عندي فكرة لقصة يا رجل».

«حسنًا، اكتبها».

«لا، أريد منك أن تسمعها».

سكت ميسون.

قال هوكلي: «حسنا. إليك الفكرة...».

أخذ يمشي وهو يطلق الدخان. «مركبة فضائية، هل تفهم؟ رجلان و٤ نساء وجهاز كمبيوتر. النساء شبقات جدًا. يشتهينه، هل تفهم؟»

«أفهم».

«لكن هل تعلم ماذا حدث؟»

«لا».

«يقرر الرجلان أنهما مثليّان ويشرعان بمداعبة بعضهما البعض. يتجاهلان النساء تمامًا».

«نعم، هذا مضحك جدًا. أكتبها».

«انتظر، لم أنته بعد. هذان الرجلان يداعبان بعضهما. شيء مقرف. كلا. ليس مقرفًا! على أيّ حال، تتجه النساء صوب الكمبيوتر ويفتحن الأبواب. داخل هذا الكمبيوتر هناك ٤ أيور وخصى ضخمة».

«جنون. اكتب ذلك».

«انتظر. انتظر. لكن قبل أن يتمكّنّ من الأيور، تُظهر الآلة فتحات مؤخرات وأفواهًا وتبدأ هذه الآلة اللعينة بممارسة الجماع مع نفسها. اللعنة، هل يمكنك أن تتخيل ذلك؟»

«حسنًا. اكتبها. أعتقد أنه يمكننا استخدامها».

أشعل إينسورث سيجارًا آخر، وأخذ يروح ويجيء. «ما رأيك بدفعة مقدّمة؟»

«ثمة شخص يدين لنا بخمس قصص قصيرة وروايتين. متخلّف دائمًا. إذا تواصل الأمر فقد يمتلك الشركة».

«أعطني النصف إذن، لا يهمني. نصف أير أفضل من لا شيء».

«متى يمكننا الحصول على القصة؟»

«في غضون أسبوع».

كتب ميسون شيكًا بمبلغ ٧٥ دولارًا.

قال هوكلي: «شكرًا، عزيزي. هل أنت متأكد أننا لا نريد أن نتراضع؟»

«نعم متأكد».

ثم غادر هوكلي. توجه ميسون إلى السكرتيرة. كانت تدعى فرانسين.

أرسل ميسون نظرة إلى ساقيها.

«الفستان قصير جدًا، يا فرانسين».

ظلّ ينظر.

«هكذا هي الموضة يا سيد ماسون».

«يمكنك أن تناديني «هنري». لا أظنّ أنني رأيت فستانًا أقصر من هذا من قبل».

«الفساتين آخذة في الانحسار».

«أنت تثيرين كلّ من يدخل إلى هنا. هم يدخلون إلى مكتبي ويتحدثون كالمجانين».

«أوه، كفى يا هنري».

«حتى إنك تثيرينني يا فرانسين».

ضحكت.

قال: «هيا، دعينا نخرج لتناول الغداء».

«ولكنك لم تدعني لتناول الغداء من قبل».

«أوه، هل هناك شخص آخر؟»

«لا. ولكن الوقت ١٠:٣٠ صباحًا».

«اللعنة، من يأبه؟ شعرتُ بالجوع فجأة. جائع جدًا».

«حسنًا. لحظة».

أخرجت فرانسين المرآة، لعبت بالمرآة قليلًا. بعد ذلك قاما وتوجها إلى المصعد. كانا الوحيدين في المصعد.

في الطريق، أمسك بفرانسين وقبلها. كان لها مذاق التوت مع تلميح بوجود رائحة فم كريهة. حتى إنه داعب أردافها. قاومت بشكل رمزي، ودفعته برقّة.

«هنري، لا أدري ما بك!» قهقهت.

«أنا رجل فقط، في النهاية».

في بهو البناية كان هناك موقف تباع فيه الحلوى، والصحف والمجلات، والسجائر، والسيجار، «انتظري لحظة يا فرانسين».

اشترى ميسون ٥ سجائر، ضخمة. أشعل سيجارًا ونفث غيمة كبيرة من الدخان. خرجا من البناية وبحثا عن مكان يتناولان فيه الطعام. وقد توقف هطول المطر.

سألت: «هل تدخن عادة قبل الغداء؟»

«قبله، وبعده وأثناءه».

شعر هنري ميسون كما لو أنه يصاب بالجنون قليلًا. كل هؤلاء الكتّاب. اللعنة، ما مشكلتهم؟

«مهلًا، إليكَ مكان!»

فتح الباب ودخلت فرانسين. دخل وراءها.

«فرانسين، أنا أعشق هذا الفستان!»

«حقًا؟ شكرًا! لديّ عشرة فساتين كهذا».

«حقًا؟»

«امممممم».

قدّم لها كرسيًا ونظر إلى ساقيها بينما كانت جالسة. جلس ميسون. «يا الله، كم أنا جائع. أفكر طيلة الوقت في المحار، وأتساءل لماذا؟»

«أعتقد أنك تريد أن تضاجعني».

«ماذا؟»

«قلت: أعتقد أنك تريد أن تضاجعني».

«أوه».

«سأسمح لك. أعتقد أنك رجل لطيف جدًا، رجل لطيف جدًا، حقًا».

جاء النادل ولوح بيده طاردًا الدخان بلوائح الطعام. واحدة لفرانسين وواحدة لميسون. وانتظر. انتصب عضوه. كيف يحدث أن بعض الرجال يفوزون بنساء جميلات في حين يضطرون إلى الاستمناء؟ قيّد النادل طلباتهم، خرج من الأبواب المتحركة، قدّم الطلبات للطبّاخ.

قال الطباخ: «مهلًا. ماذا أرى لديكَ؟»

«ماذا تقصد؟»

«أعني، لديك قرن! من الأمام! ابتعد عنّي بهذا الشيء».

«هذا لا شيء».

«لا شيء؟ يمكنك أن تقتل شخصًا بهذا الشيء! اذهب ورشّه ببعض الماء البارد! ببساطة لا يبدو شيئًا جميلًا!»

ذهب النادل إلى المراحيض. بعض الرجال ينالون كلّ النّساء. كان كاتبًا. وكان يمتلك صندوقًا مليئًا بالمخطوطات. ٤ روايات. ٤٠ قصة قصيرة. ٥٠٠ قصيدة. لم يُنشَر منها شيء. عالم متعفّن. لا يعرفون تمييز المواهب. يقمعون المواهب. عليك أن تؤمّن «وساطة»، هذا كل ما تحتاج إليه. عالم فاسد من مصاصي الأيور. وعليه أن يخدم كلّ الأغبياء طيلة اليوم.

أخرج النادل أيره، وضعه في الحوض، وبدأ يرشّه بالماء البارد.

مواقعة حوريّة البحر في فينيسيا، كاليفورنيا

أغلقَت الحانة، وكان لا يزال عليهما السّير إلى المبنى السكنيّ، وها هو --- كفن مُقادٌ على طول الشارع حيث كان مستشفى أمراض المعدة.

قال توني: «أعتقد أن الليلة هي الوقت المناسب، أستطيع أن أشعر بها في دمي، بصدق!»

«ليلةٌ لأيّ شيء؟» سأل بيل.

قال توني: «اسمع، نحن نعرف عملهم جيّدًا. دعنا نحصل على واحدة! ما المشكلة؟ ألا تملك الجرأة؟»

«ما بك؟ هل تظنني جبانًا لأن ذلك البحّار القميء ساط مؤخرتي؟»

«لم أقل ذلك يا بيل».

«أنت جبان! يمكنني أن أسوطك، بسهولة...».

«نعم، أعرف. لا أتحدث عن هذا. أنا أقول، دعنا نخطف جثّة، للتسلية فقط».

«اللعنة! دعنا نخطف عشر جثث!»

«انتظر. أنت ثمل فعلًا. دعنا ننتظر. نحن نعرف العملية. نعرف كيف يتصرفون. فقد تعقبناهم كلّ ليلة».

«وأنت لست ثملًا، آه؟ وإلّا لما كانت لك خصيتان!»

«اسكت الآن! انظر! ها هم قادمون. معهم جثة. شخص مسكين. انظر إلى الملاءة التي تغطّي وجهه. هذا أمر محزن».

«أنا أنظر. ولكم هو أمر محزن...».

«حسنًا، الآن نعرف العملية: إذا كانت جثة وحيدة، سيلقون بها في الداخل، ويشعلون سجائرهم، ويرحلون. لكن اذا كانتا جثتين فلن يكلفوا أنفسهم عناء إقفال باب الكفن مرّتين. هم أشخاص هادئون فعلًا. هذا عمل قديم من ناحيتهم. إذا كانتا جثتين، فإنّهم ببساطة يتركون الشخص على العجلات من وراء الكفن، يدخلون ويأتون بالجثة الثانية، ثمّ يلقون بهما في الداخل معًا. كم ليلة نتعقّبهم؟»

قال بيل: «لا ادري. ستين ليلة، على الأقل».

«حسنًا، الآن هناك جثة واحدة. إذا دخلوا من جديد ليأتوا بأخرى- ستكون هذه الجثّة من نصيبنا. **هل انت مستعد للخطف إذا دخلوا ليحضروا جثّة أخرى؟**»

«أنا مستعد! أنا أكثر جراةً منك».

«حسنًا. اسمع. سنعرف خلال لحظات.. أوبس، ها هم يذهبون! **يدخلون ليحضروا جثّة أخرى!**» قال توني. «مستعد؟»

«مستعد»، قال بيل.

ثم ركضا عبر الشارع، ومسكا الجثة من الرأس والقدمَين. مسك توني بالرأس ومسك بيل القدمين.

ثم ركضا عبر الشارع، كانت الملاءة البيضاء النقية للجثة ترفرف في الريح --- أحيانًا أمكنَ رؤية الكاحل، الكوع، لحم الفخذ، ثم

ركضا حتى وصلا الدرج الأمامي للمبنى السكنيّ، بلغا الباب وقال بيل «يا إلهي، من يمتلك المفتاح؟ اسمع، أنا خائف!»

«لا نملك الكثير من الوقت! هؤلاء الأوغاد سيخرجون بعد قليل بجثة أخرى! ألْقِها داخل الأرجوحة! بسرعة! علينا أن نعثر على المفتاح اللعين!»

ألقيا الجثة داخل الأرجوحة. تأرجحت ذهابًا وإيابًا تحت ضوء القمر.

سأل بيل: «ألا يمكننا أن نعيد الجثة؟ يا إلهي، يا إلهي، ألا يمكننا أن نعيد الجثة؟»

صاح توني: «لا وقت! فات الأوان! سيروننا. هيه! انتظر! لقد وجدت المفتاح!»

«الحمد لله!»

فتحا الباب، ثم أمسكا بالشيء الموجود في الأرجوحة وركضا به على الدرج. كانت غرفة توني أقرب غرفة. الطابق الثاني. سُمعت أصوات ارتطام الجثة على طول الجدار والدرج الحديدي.

ثم كانا خارج باب توني، وأفلتا الجثة بينما بحثَ توني عن مفتاح شقته. فتحا الباب، وألقيا بالجثة فوق السرير، ثم توجها نحو الثلاجة وأخرجا قارورة من نبيذ المسكات الرخيص التي يمتلكها توني، شرب كل منهما نصف كأس، ثم ملآ الكؤوس من جديد، وعادا إلى غرفة النوم. جلسا وتأملا الجثة.

«هل تعتقد أن أحدًا رآنا؟» سأل بيل.

«إذا حصل ذلك، في ظني أن رجال الشرطة سيصلون الآن إلى هنا».

«هل تعتقد أنهم يجرون تفتيشًا في الحيّ؟»

«كيف يمكنهم؟ كيف يمكنهم أن يقرعوا الأبواب في ساعة مبكرة من الصباح، ويسألون «هل لديكم جثة؟»»

«اللعنة، أعتقد أنك محق».

قال توني: «بالتأكيد محق. رغم ذلك، لا يمكنني ألا أتساءل كيف شعر هذان الشخصان عندما عادا وأدركا أن الجثة قد اختفت؟ لا بد أنّ الأمر كان مضحكًا».

قال بيل: «نعم، مؤكد».

«حسنًا، سواء كان مضحكًا أم لا، الجثة معنا. ها هي، هنا فوق السرير».

تأملا الشيء من تحت الملاءة، وشربا المزيد من النبيذ.

«منذ متى هو ميت يا ترى؟»

«في ظنّي من مدّة وجيزة».

«ترى متى يتخشبون؟ ترى متى ينتنون؟»

«أعتقد أن هذه النتانة بعد الموت تتطلب قليلًا من الوقت» قال توني. «لكنه سينتن قريبًا جدًا. هو يشبه القمامة المتروكة في الخارج تمامًا. لا أعتقد أنهم يرشحون الدم إلى أن يصلوا إلى المشرحة».

واصل الثّملان شرب نبيذ المسكات؛ حتى إنهما نسيا أمر الجثة عدة مرات، وتحدثا عن تلك الأمور الغامضة المهمة بطريقتهم المشوّهة. ثم عادا إلى الجثة مرة أخرى.

كانت الجثة لا تزال هناك.

«ماذا سنفعل بها؟» سأل بيل.

«أوقفها في الخزانة بعد أن تتخشب. بدت رخوة عندما حملناها. على الأرجح أنّه توفي قبل نصف ساعة تقريبًا».

«حسنًا، سنوقفها في الخزانة، وماذا نفعل عندما تنتن؟»

«لم أفكر في هذه الجزئية على الإطلاق» قال توني.

«فكر» قال بيل، وملأ كأسًا.

حاول توني التفكير في الأمر. «تعرف، قد ندخل السجن بسبب هذا. إذا قبضوا علينا».

«بالتأكيد، وماذا في ذلك؟»

«حسنًا، أعتقد أننا ارتكبنا خطأً، ولكن فات الأوان».

كرّر بيل: «فات الأوان».

«حسنًا»، قال توني، وصب كأسَ نبيذ طويلًا، «ما دمنا علقنا مع هذه الجثة فلنلق نظرة عليها».

«نلقي نظرة عليها؟»

«نعم، نلقي نظرة عليها».

سأل بيل: «هل تملك الجرأة؟»

«لا أدري».

«خائف؟»

قال توني: «بالتأكيد. لا خبرة لديّ في هكذا أمور».

«حسنًا. اسحب الملاءة إلى الخلف»، قال بيل «فقط املأ كأسي أولًا. املأ كأسي، ثم اسحب الملاءة إلى الخلف».

قال توني: «حسنًا».

ملأ كأس بيل. ثم اتجه صوب الجثة.

قال توني: «حسنًا. بدأنا!»

سحب توني الملاءة إلى الخلف وكشف عن الجثة. كانت العينان مغلقتين.

قال بيل: «يا إلهي! إنها امرأة! امرأة شابة!»

فتح توني عينيه. «نعم. شابة. يا إلهي، انظر إلى هذا الشعر

الأشقر الطويل الذي يتجاوز مؤخرتها. لكنها ميتة! ميتة تمامًا، إلى الأبد. خسارة! لا أفهم ذلك».

«كم تبلغ من العمر في رأيك؟»

قال بيل: «إنها لا تبدو لي ميتة».

«إنها ميتة».

«ولكن انظر إلى هذين النهدين! هذين الفخذين! وهذا الفرج! هذا الفرج! يبدو لا يزال على قيد الحياة!»

قال توني: «نعم، الفرج، كما يقولون: أول ما يولد وآخر ما يموت».

اتجه توني صوب الفرج، لمسه. ثم رفع نهدًا، قبّل الشيء الميت اللعين. «أمر محزن للغاية، كل شيء محزن للغاية --- إننا نعيش كلّ حياتنا كالحمقى ثم نموت في نهاية المطاف».

قال بيل: «يجب ألا تلمس الجثة».

قال توني: «إنها جميلة، حتى وهي ميتة، جميلة».

«نعم، ولكنها لو كانت على قيد الحياة لما نظرت إلى شحاذ مثلك. أنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟»

«بالتأكيد! وهذا هو صلب الموضوع! الآن لا يمكنها أن ترفض!»

«عم تتحدث، اللعنة؟»

قال توني: «أعني أن أيري صلب. صلب جدًا!»

صب توني لنفسه كأسًا من القارورة. شربها.

ثم اتّجه نحو السرير، وبدأ بتقبيل النهد، وتمسيد شعرها الطويل بيديه، وأخيرًا قبّل الفم الميت بقبلة حيّ لميت. ثم اعتلاها.

كان ذلك جيدًا. ظلّ طوني يجامعها. لم يجامع في حياته بهذا الشكل! قذف. ثم نزل عنها، ونشف نفسه بالملاءة.

كان بيل يشاهد كلّ الموقف، رفع قارورة نبيذ المسكات خاصته قبالة ضوء المصباح الخافت.

«يا الهي، يا بيل، كان رائعًا، رائعًا!»

«أنت مجنون! للتو جامعت امرأة ميتة!»

«وأنت تجامع نساء ميتات طوال حياتك --- نساء ميتات بنفوس ميتة وفروج ميتة - كلّ ما في الأمر أنّك لم تعلم. آسف يا بيل، كان جماعًا رائعًا. لا أشعر بالعار».

«هل كانت جيدة إلى هذا الحد؟» سأل بيل.

«شيء لا يصدق».

مشى توني إلى الحمام ليتبول.

عندما عاد، كان بيل فوق الجثة. كان بيل منهمكًا. يتنهد ويتأوه قليلًا. ثم تمدد، وقبّل الفم الميت، وقذف.

تدحرج بيل جانبًا، أمسك بطرف الملاءة، ونشف نفسه.

«أنت على حق. أروع مضاجعةٍ في حياتي!»

ثم جلس كلاهما في كرسيّاهما وتأملاها.

سأل توني: «ترى ماذا كان اسمها؟ لقد وقعت في الحب».

ضحك بيل. «الآن أعرف أنك سكران! وحده الأحمق يقع في حب امرأة حية والآن تولع بامرأة ميتة».

قال توني: «حسنًا، أنا عاشق».

قال بيل: «حسنًا، كنت عاشقًا. ماذا نفعل الآن؟»

«نخرجها من هنا!» أجاب توني.

«كيف؟»

«بالطريقة نفسها التي أدخلناها --- ننزل عبر الدرج».

«ثم؟»

«ثم إلى سيارتك. نحملها إلى شاطئ فينيسيا، ونلقي بها في البحر».

«الجوّ بارد هناك».

«لن تشعر بالبرد تمامًا كما لم تشعر بأيرك».

«وماذا عن أيرك؟» سأل بيل.

«لم تشعر به أيضًا»، أجاب توني.

كانت هناك، ترقد جثة فوق الملاءات وقد تمّ غشيانها مرّتين.

صرخ توني: «هيا نفعلها يا عزيزي!»

مسك توني القدمين وانتظر. مسك بيل بالرأس. خرجا مهرولين من غرفة توني، كان الباب لا يزال مفتوحًا. أغلقه توني بضربة بقدمه اليسرى وهما يصعدان الدرج. لم تكن الملاءة تلف الجثة، وإنّما كانت ملقاةً فوقها. مثل فوطة رطبة على صنبور المطبخ. مرة أخرى، سُمع ارتطام رأسها وفخذيها ومؤخرتها الكبيرة على الجدران والدرج الحديدي.

طرحاها فوق مقعد السيّارة الخلفي بيل.

«انتظر، انتظر، يا عزيزي!» صرخ توني.

«لماذا؟»

«قارورة نبيذ المسكات، أيها الأحمق!»

«أوه، بالتأكيد».

جلس بيل ينتظر الميتة المثيرة في المقعد الخلفي.

كان توني رجلًا صاحب كلمة. ركض إلى الخارج مع قارورة النبيذ.

سافرا عبر الطريق السريع، تبادلا القارورة بينهما، وارتشفا منها رشفات طويلة.

كانت ليلة دافئة وجميلة وكان القمر مكتملًا بالطبع. لكن الوقت لم يكن الوقت ليلًا تمامًا. كانت الساعة ٤:١٥ فجرًا. ساعة جيّدة، على أيّ حال.

ركنا السيارة. وارتشفا رشفة طويلة من نبيذ المسكات الجيد، أخرجا الجثة وحملاها على طول الطريق الطويلة الرملية باتجاه البحر. وصلا إلى مقطع الرمل الذي يبلغه البحر بين الحين والآخر، كان ذلك المقطع مبللًا مليئًا بسرطانات الرمل الصغيرة وفتحات التهوية. أنزلا الجثة وشربا من القارورة. بين الحين والآخر قدمت موجة كبيرة جدًا وبللتهما: بيل، توني، والمرأة المثيرة الميتة.

قام بيل ليتبول، ولأنه تعلم أخلاقيات القرن التاسع عشر مشى حتى الشاطئ ليتبول. بينما فعل بيل ذلك، سحب توني الملاءة إلى الخلف وتأمل وجه الميتة الملتوي، في هواء الصباح المالح. تأمل توني الوجه بينما كان بيل يتبول عند الشاطئ. وجه لطيف وجميل، فيه شيء من الحدة، لكن الفم رائع، ورغم أن جسدها تخشب قليلًا، مال نحوها وقبّلها برقة كبيرة فوق شفتيها وقال: «أحبك، أيتها القحبة الميتة».

ثم غطاها بالملاءة.

قضى بيل حاجته وعاد. «أحتاج مشروبًا آخر».

«هيا. سأشرب واحدًا آخر».

قال توني: «سأسبح معها عميقًا».

«هل تجيد السباحة؟»

«ليس تمامًا».

«أنا أجيد السباحة. سأسبح معها».

«لا! لا!» صرخ توني.

«اللعنة، توقف عن الصراخ!»

«أريد أن أسبح معها!»

«حسنًا! حسنًا!»

تناول توني مشروبا آخر، وسحب الملاءة جانبًا، رفعها وسحبها خطوة خطوة باتجاه كاسر الأمواج. كان ثملًا أكثر مما تخيّل. أوقعتهما الموجات الكبيرة عدة مرات، أسقطها من بين ذراعيه، كان عليه أن يقف على قدميه، ويركض، ويسبح، ويصارع كي يعثر على الجثة. ثم رآها --- ذلك الشعر الطويل. بدت مثل حورية البحر. ربما كانت فعلًا حورية البحر. أخيرًا أطلقها من وراء كاسر الأمواج. تم ذلك بهدوء. في منتصف الطريق بين القمر وشروق الشمس. طفا معها بضع لحظات. كان ذلك في منتهى الهدوء. زمن في زمن وزمن بعد زمن.

أخيرًا، دفع الجثة، دفعة خفيفة. طفت، نصفها تحت الماء، أطراف شعرها الطويل تلتفّ حول الجثة. كانت لا تزال جميلة، ميتة أو أيًا كانت. بدأت تطفو بعيدًا عنه، يجرفها تيار ما. حملها البحر.

فجأة تحوّل عنها، حاول أن يسبح عائدًا إلى الشاطئ. بدا له بعيدًا جدًا. وصل أخيرًا بما تبقى له من قوى، خرج مع دفعة الموجة الأخيرة. رفع نفسه، سقط، نهض، تقدم إلى الأمام، جلس بجوار بيل.

«إذن، رحلت» قال بيل.

«نعم. طعام لسمك القرش».

«هل تعتقد أنهم سيقبضون علينا يومًا ما؟»

«لا . أعطني القارورة».

«لا تفرط في الشرب، فالنبيذ يشارف على النفاد».

«نعم».

عادا إلى السيارة. قادها بيل. تعاركا حول الرشفات الأخيرة في الطريق إلى البيت، ثم فكر توني في حورية البحر. أمال رأسه وأخذ يبكي.

قال بيل: «كنت جبانًا على الدوام. جبانًا على الدوام».

عادا إلى المبنى السكنيّ.

ذهب بيل إلى غرفته. ذهب توني إلى غرفته. أشرقت الشمس. نهض العالم من سباته. ثمة من استيقظ وبه صداع الخمار. وثمة من استيقظ وهو يفكر بالكنيسة. معظمهم كانوا لا يزالون نائمين. كان صباح الاحد. وحورية البحر، حورية البحر بذيلها الجميل الميت، كانت بعيدة في قلب البحر. وفي مكان ما، غطست بجعةٌ، وخرجت بسمكة تلمع على شكل غيتارة.

خلل في بطاريّة

اشتريت لها مشروبًا وأردفتُه بآخر، ثم صعدنا الدرج خلف الحانة. كانت هناك عدة غرف واسعة. هيّجتني. دلّت لي لسانها. وتغازلنا طوال الطريق على الدرج. سافدتُها في البداية، وقوفًا، عند الباب. أنزلت سروالها التحتيّ، وأولجته فيها.

ثم دخلنا غرفة النوم، كان هناك فتى في السرير الآخر، كان هناك سريران. قال الفتى: «مرحبًا».

قالت: «هذا شقيقي».

بدا الطفل نحيفًا جدًا وشريرًا، ولكن من جهة أخرى يكاد كل إنسان في العالم أن يبدو شريرًا، لو فكّرنا في الأمر.

كانت هناك عدة قوارير من النبيذ على طول اللوحة الخشبية الأمامية للسرير. فتحا قارورة وانتظرت حتى ارتشف كلاهما منها، ثم ارتشفتُ منها قليلًا.

رميت نقودًا من فئة عشرة دولارات على منضدة الزينة.

أفرط الفتى في شرب النبيذ.

«شقيقه البكر مصارع ثيران كبير، جيمي برافو».

قلت: «سمعت عن جيمي برافو، كان يصارع عادة خارج البلدة. لكن لا حاجة لكم أن ترووا لي كلامًا فارغًا».

قالت: «حسنًا، بلا كلام فارغ».

شربنا وتحدثنا مدّة من الوقت، مجرد ثرثرة بسيطة. ثم أطفأت الأضواء وعلى الرغم أن شقيقها جلس في السرير المجاور، فعلناها ثانية. كانت محفظتي تحت الوسادة.

عندما انتهينا أشعلت الضوء وذهبت إلى الحمام بينما تبادلنا، أنا وشقيقها، القارورة. في غفلة من شقيقها، نشفته بالملاءة.

عادت من الحمام، وكان لا تزال تبدو في حالة جيّدة، أقصد أنها بعد جولتين من الجماع، كانت لا تزال تبدو في حالة جيّدة. كان نهداها صغيرين لكنهما صلبان؛ وبرز جزء صغير منهما، وكانت مؤخرتها كبيرة، كبيرة بما يكفي.

«لماذا جئت إلى هذا المكان؟» سألتني واتجهت نحو السرير. انزلقت بجانبي، شدّت الملاءة إلى أعلى، وارتشفت من القارورة.

«اضطررت أن أشحن بطاريتي في الجانب الآخر للشارع».

قالت: «بعد تلك الجولة، تحتاج إلى شحن فعلًا».

ضحكنا جميعًا. حتى الشقيق ضحك. ثم نظر إليها:

«هل هو بخير؟»

«بالطبع بخير»، قالت.

«ما المقصود؟» سألت.

«علينا أن نكون حذرين».

«لا أعرف ماذا تقصدين».

«إحدى الفتيات كادت تُقتل هنا في العام الماضي. شخص ما كمّمها بحيث لم تتمكن من الصراخ، ثم تناول مدية وشرط جسدها على شكل صلبان. نزفت حتى كادت أن تموت».

ارتدى شقيقها ملابسه ببطء شديد، ثم غادر. أعطيتها نقودًا من

فئة خمسة دولارات. ألقت بها فوق منضدة الزينة بجانب العشرة دولارات.

مرّرتِ النبيذ. كان النبيذ جيدًا، نبيذًا فرنسيًا. لم يكن من النّوع الخانق.

وضعت ساقها فوق ساقي. جلسنا معًا في السرير، كان مريحًا للغاية.

سألتني: «كم عمرك؟»

«ما يقارب نصف قرن».

«أنت تجيد المضاجعة، لكنّك تبدو مهزومًا».

«آسف. لست وسيمًا تمامًا».

«أوه لا، أعتقد أنك رجل جميل. ألم تقل لك امرأة هذا الكلام من قبل؟»

«أنتِ تقولين هذا الكلام لكلّ الرجال الّذين تجامعينهم».

«ليس صحيحًا».

جلسنا هناك مدّة من الوقت، وتبادلنا القارورة. ساد الصّمت إلى درجة أنّه كان من الممكن الاستماع إلى الموسيقى القادمة من الحانة في الأسفل.

ولجتُ عالمًا من نشوة الأحلام.

«هيه!» صرخت. غرست ظفرها الطويل في سرّتي.

«أخ! اللعنة!»

«انظر إليّ!»

استدرتُ ونظرتُ إليها.

«ماذا ترى؟»

«امرأة مكسيكيّة-هنديّة تبدو جميلة».

«كيف ترى؟»

«ماذا؟»

«كيف ترى؟ أنت لا تفتح عينيك. تغطّي عيناك بشقوق صغيرة. لماذا؟»

كان سؤالًا مناسبًا. ارتشفت رشفة كبيرة من النبيذ الفرنسي.

«لا أدري. لعلّي خائف. خائف من كل شيء. أقصد، من الناس، من المباني، من الأشياء، من كل شيء. بالأساس خائف من الناس».

قالت: «وأنا خائفة أيضًا».

«ولكن عينيك مفتوحتان. أحبّ عينيك».

كانت تضرب قارورة النبيذ بقوّة. الثابت. أعرف هؤلاء المكسيكيات الأميركيات. انتظرت أن تتحوّل إلى امرأة بغيضة.

ثمّ سُمع صوت طرق على الباب كدتُ بسببه أخرأ في بنطالي. فُتح الباب بدفعة قويّة، بأسلوب أمريكيّ، ووقف من خلفه السّاقي - نذل تافه، أزعر وأحمر.

«ألم تنهي مع ابن العاهرة بعد؟»

قالت: «أعتقد أنه يريد المزيد».

سأل السيّد تافه: «هل تريد المزيد؟»

قلت: «أعتقد ذلك».

ثبتَت عيناه عند النقود الموضوعة على منضدة الزينة وطرق الباب. مجتمع مادي. يفكرون في المال فقط.

قالت: «كان تقريبًا زوجي».

«لا أعتقد أنّي أريد أن أفعلها ثانية».

«لم لا؟»

«أولًا، لأنّي في الثامنة والأربعين. ثانيًا، يبدو الأمر وكأنّي أنيكُ في غرفة انتظار في محطة حافلات».

ضحكت. «أنا من تسمّونها بالـ«عاهرة». عليّ أن أجامع ٨ أو عشرة رجال في الأسبوع، على الأقل».

«هذا لا يفيد علّتي كثيرًا».

«هذا يفيد علّتي أنا بالتأكيد».

«نعم».

بقينا نتبادل القارورة.

«هل تحبّ نيك النساء؟»

«من أجل هذا أنا هنا».

«ماذا عن الرجال؟»

«لا أنيك الرجال».

أخذت مني القارورة. مؤكّد أنها شربت ربعها على الأقل.

«لعلّك تحبّه في مؤخرتك؟ لعلك ترغب في أن يأتيك رجل في دبرك؟»

«الآن تقولين كلامًا فارغًا».

نظرت اليّ نظرة مباشرة. علّقت صورة فضيّة لليسوع في حداثته على الحائط المقابل. لم تحد عينيها عن صورة اليسوع الصغير، عن صليبه. كان في غاية الجمال.

«لعلّك تخفي الأمر. لعلّك تريد أن يأتيك رجل في دبرك؟»

«حسنًا، فليكن - لعلّ ذلك ما أريده فعلًا».

تناولتُ نازعة السدادات الفلينية وفتحت قارورة نبيذ فرنسي جديدة، في الوقت الذي سقطت فيه كميّة من الفلين داخل النبيذ كما

يحصل معي دومًا. فقط نادل في الأفلام السينمائية يمكنه فتح النبيذ الفرنسي من دون هذه المتاعب.

أخذت أول جرعة كبيرة. مع الفلين. ناولتها القارورة. أبعدت ساقها عني. بانت على وجهها نظرة تشبه نظرة الأسماك. تناولت جرعة كبيرة.

استعدت القارورة منها. لم يبد على شظايا الفلين أنها تعرف طريقها في القارورة. تخلصت من بعضها. «هل تريدني أن آتيك في دبركَ؟» سألت.

«ماذا؟»

نزلت عن السرير واتجهت صوب الدرج العلوي لمنضدة الزينة، ثم ربطت حزامًا حول خصرها والتفتت إليّ - وهناك، قبالة عيني، انتصب قضيب كبير مصنوع من السيليوليد.

«عشرة إنشات» قالت ضاحكة، وهي تدفع ببطنها إلى الأمام، مبرزةً هذا الشيء في وجهي، «كما أنه لا يذبل ولا يتعب!»

«أحببتك كما كنت في السابق!»

«ألا تصدق أن أخي البكر هو جيمي برافو، مصارع الثيران العظيم؟»

هكذا وقفت هناك، بقضيب مصنوع من السيلوليد، وسألتني عن جيمي برافو.

قلت: «لا أظن أنّ برافو سيصمد في إسبانيا».

«هل كنت ستصمد في إسبانيا؟»

«اللعنة، لا أكاد أصمد في لوس أنجلوس. الآن لو سمحت اخلعي هذا القضيب الاصطناعي السخيف...».

خلعت الحزام عنها وأعادته إلى الدرج العلوي لمنضدة الزينة.

خرجت من الحمام وجلست على الكرسي ذي المسند. شربت النبيذ. جلست هي على الكرسي الآخر، وجلسنا هناك واحدًا قبالة الآخر، عاريين، نتبادل قارورة النبيذ.

«هذا يذكرني إلى حدّ ما بفيلم قديم لليزلي هوارد، على الرغم من أنهم لم يصوّروا هذا الجزء. ألم يلعب هوارد دورًا في فيلم لسومرست موم؟ «قيود البشرية؟»»

«لا أعرف هؤلاء البشر».

«هذا صحيح. كنت صغيرة جدًا».

«هل أحببت هوارد هذا، وموم هذا؟»

«كل منهما امتلك أسلوبه الخاص. أسلوب خاص جدًا. لكن بشكل ما، مع كليهما، وبعد مرور ساعات أو أيام أو أعوام، تشعر أنك خُدعت في نهاية المطاف».

«لكن كليهما امتلكا ما تسميه بـ«الأسلوب»؟»

«نعم. الأسلوب هو شيء مهم. كثيرون يصيحون بالحقيقة، لكن بلا أسلوب لا أمل لهم».

«لبرافو يوجد أسلوب. لي يوجد أسلوب. لك يوجد أسلوب».

«بدأتِ الآن تتعلمين».

ثم عدت إلى السرير. تبعتني. حاولت من جديد. لم أنجح.

سألتها: «هل تمصين؟»

«بالطبع».

أولجته في فمها وقذفت.

أعطيتها ورقة من فئة خمسة دولارات، ارتديت ملابسي، تناولت جرعة أخرى من النبيذ، ونزلت عن الدرج. قطعت الشارع ووصلت إلى محطة الوقود. كانت البطارية قد شحنت تمامًا. دفعت للموظف

وانطلقت، سافرت عبر جادة ٨. تعقبني شرطي لمسافة ميلَين أو ثلاثة. كانت هناك علبة كلورتس في علبة قفازات أخرجتها من هناك. أدخلتُ ٣ أو ٤. في النهاية تركني الشرطي الذي ركب الدراجة النارية وتعقّب سيارة جيب انعطفت انعطافة حادة إلى اليسار من دون غماز في جادة ويلشير. استحقّ أحدهما الآخر.

عندما وصلت إلى شقتي كانت المرأة نائمة وأرادت الطفلة أن أقرأ لها من كتاب عنوانه «**دجاجة بيبي سوزان**». كانت قصة فظيعة. وجد بوبي صندوقًا كرتونيًا لترقد فيه الصيصان. وضعه في زاوية المطبخ خلف الفرن. سكب بوبي بعض حبوب الصباح التي تتناولها بيبي سوزان في صحن صغير ووضعها بحذر في الصندوق الكرتوني، حتى تكون هناك وجبة للصيصان. ضحكت بيبي سوزان وصفقت بيديها السمينتين الصغيرتين.

اتضح لاحقًا أن اثنين من الصيصان كانا ديكَين وأن بيبي سوزان دجاجة، دجاجة تضع بيضًا عجيبًا. ماذا أقول. وضعت الطفلة في السرير وذهبت إلى الحمام وتركت الماء الساخن يدفق باتجاه الحوض.

ثم دخلت الحوض وفكرت، في المرة القادمة التي أضطر فيها إلى شحن بطارية فارغة، سأذهب إلى السينما. ثم تمددت في الماء الساخن ونسيت كل شيء. تقريبًا.

卐 (1)

دخلَ رئيس الولايات المتّحدة سيّارته، مطوّقًا بوكلائه. جلس على المقعد الخلفيّ. كان صباحًا مظلمًا وعاديًا. لم ينبس أحد بكلمة. انطلقوا في طريقهم وسُمِعَت أصوات العجلات على الشّارع الذي كان ما يزال رطبًا من أثر المطر في الليلة الماضية. ساد صمتٌ أكثر غرابةً من أيّ وقت مضى.

سافروا مدّة من الوقت إلى أن نطق الرئيس:

«هيه، هذه ليست طريق المطار».

لم يردّ وكلاؤه. حُدّدَت إجازة له مدّتها أسبوعان في بيته الخاصّ. طائرته تنتظر في المطار.

بدأت تمطر رذاذًا. بدت وكأنها ستمطر من جديد. كان الأشخاص، بمن فيهم الرئيس، يرتدون سُترات ثقيلة؛ وقبعات؛ ما جعل السيارة تبدو ممتلئة للغاية. في الخارج، هبت الريح الباردة بلا انقطاع.

قال الرئيس: «أيّها السائق، أظن أنك تسافر في الاتجاه الخاطئ».

---

(١) الصليب المعقوف. وهو رمز الهندوسيّة ويشير إلى الكائن سعيد الحظّ. قلّ استخدام الرّمز بعد أن أصبح الرّمز شعار النّازيّة.

لم يرد السائق. نظر الوكلاء إلى الأمام.

قال الرئيس: «اسمعوا، ألا يمكن لأحدكم أن يدلّ الرجل إلى طريق المطار؟»

«لن نسافر إلى المطار»، قال الوكيل الذي يجلس عن يسار الرئيس.

«لن نسافر إلى المطار؟» سأل الرئيس.

وجم الوكلاء من جديد. تحول الرذاذ مطرًا. قام السائق بتشغيل المسّاحات.

سأل الرئيس: «اسمعوا، ما الذي يحدث؟ ما الذي يحدث هنا؟»

«المطر يتهاطل منذ أسابيع»، قال الوكيل الذي جلس بجانب السائق. «هذا أمر يبعثُ على الاكتئاب. حتمًا سأكون سعيدًا برؤية بعض الضّوء».

«نعم، وأنا أيضًا» قال السائق.

قال الرئيس: «ثمّة خطأ هنا، أطالب بمعرفة...».

«إنّك لست في منصب تطالب فيه أكثر»، قال الوكيل الذي جلس عن يمين الرئيس.

«هل تقصدون؟...».

قال الوكيل: «نعم هو ذاك».

سأل الرئيس: «هل سيكون اغتيالًا؟»

«كلا. فقد أصبح الاغتيال موضة قديمة».

«ماذا إذن...».

«لو سمحت. تلقّينا أوامر بعدم المناقشة».

سافروا بضع ساعات. تواصل هطول المطر. لم يتكلّم أحد.

قال الوكيل للجالس عن يسار الرئيس، «الآن، استدر ثانية، واركن. لا أحد يتعقّبنا. لقد ساعد المطر كثيرًا».

استدارت السيارة في المكان، ثمّ انطلقت في طريق ترابيّة صغيرة. كانت موحلة، وبين الفينة والأخرى، دارت العجلات، وانزلقت، ثمّ عادَت وثبتت من جديد وواصلت السيارة في السفر. قام رجل يرتدي سترة صفراء يحمل فانوسًا بإرشادهم إلى كراج مفتوح. كان المكان معزولًا بأشجار كثيرة. عن يسار الكراج كان ثمّة بيت مزرعة صغير. فتح الوكلاء أبواب السيّارة.

قالوا للرئيس: «انزل». نزل الرئيس. اجتهد الوكلاء أن يبقى الرئيس بينهم، رغم أنه لم يكن من أحد على بعد كيلومترات باستثناء رجل يحمل فانوسًا ويرتدي سترة صفراء.

«لا أفهم لماذا لم يكن بإمكاننا أن نفعل كلّ شيء هنا»، قال الرجل ذو السترة الصفراء..

«يبدو الأمر بالتأكيد أكثر خطورةً في الطريق الأخرى».

قال أحد الوكلاء: «إنّها أوامر، أنت تعرف كيف يكون ذلك. دائمًا يمتلك حدسًا كبيرًا. واليوم، أكثر من أي وقت آخر».

«الطقس بارد جدًا. هل لديكم وقت لفنجان قهوة؟ جاهزة».

«لطيف من جانبك. كانت الطريق طويلة. أفترض أن السيارة الأخرى جاهزة للسفر؟»

«بالطبع. تم فحصها مرارًا. في الواقع، نحن نتقدّم على جدول المواعيد بعشر دقائق. لهذا اقترحت القهوة. أنت تعرفه في مسألة التقيّد بالمواعيد».

«حسنًا، هيا ندخل».

دخلوا بيت المزرعة مُبقينَ الرئيس بينهم.

«اجلس هنا»، قال أحد الوكلاء للرئيس، «القهوة جيدة»، قال الرجل ذو السّترة الصّفراء، «قهوة طُحِنَت توًا».

مشى حاملًا إبريق القهوة. صب لنفسه كأسًا، ثم جلس وما زال يرتدي السّترة الصّفراء، فقط ألقى القبعة فوق الفرن.

قال أحد وكلاء: «آه، إنه لأمر جيد».

سأل أحدهم الرئيس: «حليب وسكر؟»

قال: «حسنًا»

لم يكن متّسع في السيارة القديمة، ولكنهم تمكّنوا جميعًا من الدخول، وقد جلس الرئيس مرة أخرى على المقعد الخلفي.. كما أن السيارة القديمة قد زلقت داخل الطين والشقوق، ولكنها نجحت في الوصول إلى الطريق. مرة أخرى، وجموا معظم الطريق. ثم أشعل أحد الوكلاء سيجارة.

«اللعنة، لا أقوى على التوقّف عن التدخين!»

«حسنًا، إنه شيء من الصعب القيام به، هذا كل ما في الأمر. لا تقلق بشأن ذلك».

«لستُ قلقًا بشأن ذلك. مجرّد أنّي أشمئز من نفسي».

«حسنا، انسَ كلّ ذلك. إنه يوم عظيم في التاريخ».

«هذا أكيد!» قال الوكيل صاحب السيجارة.

ثم سحبَ نفسًا-

ركنوا السيارة خارج مسكن شقق قديم. تواصل هطول المطر. جلسوا هناك للحظات.

قال الوكيل الجالس بجانب السائق، «الآن، أخرجوه. المكان خالٍ. لا أحد يتجول في الشوارع».

ساروا والرئيس بينهم، بدايةً عبروا الباب الأماميّ، ثم صعدوا

درج ٣ طوابق، وقد ظل الرئيس بينهم طوال الوقت. توقفوا وطرقوا باب شقة ٣٠٦. الإشارة: دقّة واحدة، استراحة، ٣ دقّات، استراحة، دقّتين. . .

فُتح الباب ودَفَعَ الرجالُ الرئيسَ نحو الدّاخل. ثم أقفلَ الباب بالمزلاج. كان هناك ثلاثة رجال ينتظرون في الداخل. اثنان من بينهم في الخمسين من العمر. جلس الثالث، مرتديا زيًا تألف من قميص عمّال قديم، وبنطال مستعمل كان أكبر من مقاسه وحذاء بسعر عشرة دولارات، كان مهترئًا ووسِخًا. جلس على الكرسي الهزاز في وسط الغرفة. كان في الثّمانينات من عمره لكنه ابتسم. . . وكانت له ذات العينين؛ الأنف والذقن، الجبهة لم تتغير كثيرًا.

«مرحبًا بك سيّدي الرئيس. لقد انتظرت التاريخ والعلم وانتظرتك زمنًا طويلًا، وها قد وصلتم جميعكم، في الموعد المحدد، اليوم».

تأمل الرئيس الرجلّ المسن الجالس على الكرسي الهزاز. «إلهي العظيم! أنت أنت. . .».

«لقد عرفتني! لديك مواطنون يستخّفون بالتشابه! هم أغبى حتى من أن يفهموا أني. . .».

«ولكن ثبت أن. . .».

«بالطبع ثبت ذلك. الخنادق: ٣٠ أبريل ١٩٤٥. أردنا ذلك على هذا النحو. تحلّيت بالصبر. كنّا نمتلك العلم ولكن في بعض الأحيان اضطررت إلى تسريع التاريخ. أردنا الرجل المناسب. أنت الرجل المناسب. كان الآخرون أمرًا مستحيلًا --- بعيدين جدًا عن فلسفتي السياسية. . أنت الأمثل. من خلالك، سيكون العمل أسهل. لكن كما قلت، اضطررت أن أسرّع عجلة التاريخ».

«هل تعني. . ؟»

«نعم، تكفّلتُ باغتيال رئيسكم، كنيدي. ثم اغتيال شقيقه. . .».

«ولكن ما هدفُ الاغتيال الثاني؟»

«وردتنا معلومات أن ذلك الشاب قد فاز بالرئاسية».

«لكن ماذا تنوي أن تفعل بي؟ أخبروني أنه لن يتم اغتيالي. . .».

«اسمحوا لي أن أعرّفكم على الطبيبين. غراف وفويلكر»

أومأ الرجلان برأسيهما للرئيس وابتسما.

«ما الذي سيحدث؟» سأل الرئيس.

«من فضلك. لحظة، يجب أن أطرح على رجالي بعض الأسئلة. كارل، كيف سارت الأمور مع مع البديل؟»

«على خير ما يُرام. اتصلنا هاتفيًا من المزرعة. وصل البديل إلى المطار وفق الجدول الزمني. أعلن البديل، أنه نظرًا إلى ظروف الطقس، سيرجئ الرحلة حتى يوم غد. ثم أعلن البديل أنه سيخرج لقضاء بعض الوقت. . هو يحبّ السفر في المطر».

«وماذا بعد؟» سأل الرجل العجوز.

«لقد مات البديل».

«جميل. دعونا إذن نتجاوز هذا الأمر، فقد وصل التاريخ والعلوم في الوقت».

رافق الوكلاء الرئيس باتجاه إحدى طاولتي العمليات. طلبوا منه أن يتعرّى. اتّجه الرجل العجوز صوب الطاولة الأخرى. لبس الطبيبان غراف وفويلكر أرديتهم الطبيّة واستعدا للمهمة. . .

قامَ الأصغر سنًا من بينهما، تاركًا إحدى الطاولتين. ارتدى ملابس الرئيس، ثم اتجه صوب المرآة الكبيرة التي كانت معلقة على

الحائط الشمالي. وقف أمامها لمدة ٥ دقائق على الأقل. ثم استدار.

«إنها حقا معجزة! لا توجد حتّى ندوب من أثر العملية... لا فترة نقاهة. تهاني، أيها السادة! كيف يمكنكم أن تفعلوا ذلك؟»

«حسنا يا أدولف»، أجاب أحد الأطباء: «لقد قطعنا شوطًا طويلًا منذ...».

«انتظر! تحظر مناداتي بـ«أدولف» مرة أخرى، إلى أن يحين الوقت المناسب، إلى أن آمر بذلك! - وحتى ذلك الحين، لن نتحدث كلمة بالألمانية... أنا الآن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية!»

«نعم، سيدي الرئيس!»

ثم مد يده ولمس أعلى شفته العليا:

«كم أتوق إلى شاربي القديم!»

ابتسموا.

ثم سأل:

«والعجوز؟»

«لقد وضعناه في السرير. لن يستفيق قبل مضيّ ٢٤ ساعة. في هذه اللحظة، تم تدمير كل شيء. جميع زوائد العملية، أُبيدت، تحللت. كل ما نحتاج إلى القيام به هو الخروج من هنا» قال الطبيب غراف. «ولكن، سيّدي الرئيس، اقتراحي أن يكون هذا الرجل».

«لا، أنا أقول لك، انه عاجز! دعه يعاني كما عانيت!»

اتّجه صوب السرير ونظر إلى الرجل. عجوز أشيب الشعر في الثمانين من عمره.

«غدًا سأكون في منزله الخاص. أتساءل كم ستستمتع زوجته بمطارحتي الفراش». أطلق ضحكة خفيفة.

«أنا متأكد، ماين فوهرر-أنا آسف! من فضلك! أنا متأكد، سيدي الرئيس، أنها سوف تستمتع كثيرًا بمطارحتكَ الفراش».

«دعونا نغادر هذا المكان. الأطباء أولًا، ثم نحن.. فرادى أو أزواجًا.. نقل السيارات، ثم ليلة نوم مريحة في البيت الأبيض».

استيقظ الرجل العجوز ذو الشعر الأبيض. كان وحيدًا في الغرفة. كان بإمكانه الهروب. نهض من السرير باحثًا عن ملابسه وبينما كان يعبر الغرفة رأى رجلًا عجوزًا في مرآة كبيرة.

لا، فكّر، يا إلهي، لا!

رفع ذراعًا. رفع الرجل العجوز في المرآة ذراعًا. تقدم إلى الأمام. كبر الرجل العجوز في المرآة. تأمل يديه --- مجعدتين، وليستا يديه! تأمل قدميه! لم تكونا قدميه! لم يكن ذلك جسده!

«يا إلهي!» قال بصوت عالٍ، «أوه يا الهي!»

ثم سمع صوته. لم يكن حتى صوته. لقد بدلوا كذلك علبة صوته. تحسس حنجرته ورأسه بأصابعه. لا ندوب! لا ندوب في أي مكان. ارتدى ملابس الرجل العجوز وركض نازلًا الدرج. عند الباب الأول، طرق على الباب الذي كتب عليه «صاحبة الملك».

فتح الباب. ظهرت سيّدة عجوز.

«نعم، سيد تلسون؟» سألت.

«سيد تلسون؟ يا سيدة، أنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية! هذه حالة طارئة!»

«أوه، سيد تلسون، أنت مضحك جدًا!»

«اسمعي، أين هاتفك؟»

«هنا بالضبط، حيث كان دائمًا، يا سيد تلسون. بالضبط على يسار المدخل».

فتش في جيوبه. تركوا له بعض العملات النقدية. نظر في المحفظة. ١٨ دولارًا. أدخل عشرة سنتات إلى الهاتف العمومي.

«يا سيدة، ما العنوان هنا؟»

«اسمع، يا سيد تلسون، أنت تعرف العنوان. أنت تعيش هنا منذ سنوات! سلوكك اليوم غريب جدًا، يا سيد تلسون. أريد أن أقول لك شيئًا آخر!»

«نعم، نعم.. ما هو؟»

«أريد أن أذكرك بأن موعد دفع الإيجار هو اليوم!»

«أوه، يا سيدة، من فضلك أخبريني ما هو العنوان هنا!»

«كأنك لا تعرف! إنه ٢٤٣٥ شورهم-درايف».

«نعم»، قال عبر الهاتف، «سيارة أجرة؟ أريد سيارة أجرة إلى ٢٤٣٥ شوروم درايف. سأكون في الانتظار في الطابق الأول. اسمي؟ اسمي؟ حسنًا، اسمي هو تلسون...».

فكّر بأن لا فائدة من الذهاب إلى البيت الأبيض، فقد تستروا على الموضوع...سأتوجه إلى أكبر صحيفة. سأخبرهم. سأخبر المحرر بكل شيء، بكل ما حدث...

سخر منه المرضى الآخرون. «هل ترى ذلك الرجل؟ يبدو مثل ذلك الدكتاتور، ما اسمه؟ لكنه أكبر سنًا. على أيّ حال، عندما حضر إلى هنا قبل شهر ادعى أنه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. كان ذلك قبل شهر. لم يعد يقول ذلك كثيرًا الآن. لكنه يحب قراءة الصحف. لم أر رجلًا في حياتي حريصًا على قراءة الصحف مثله. هو ضالع في السياسة إلى حد كبير فعلًا. أظن أن هذا ما دفع به نحو الجنون. الإفراط في السياسة».

قرع جرس موعد العشاء. استجاب جميع المرضى. ما عدا واحدًا.

توجه نحوه أحد الممرضين.

«سيد تلسون؟»

لم يكن هناك رد.

«سيد تلسون؟»

«أوه، نعم؟»

«لقد حان الوقت لتناول الطعام، يا سيد تلسون!»

قام العجوز ذو الشعر الأبيض، ومشى بتؤدة متجهًا صوب غرفة الطعام الخاصة بالمرضى.

السياسة أشبه بمحاولة إتيان قطّة من الخلف

«السيّد بوكوفسكي العزيز:

لماذا لا تكتبُ عن السياسة والشؤون العالميّة؟

م. ك.

«عزيزي م. ك:

لأيّ غرض؟ على غرار، ما الجديد؟ --- الجميع يعلمون أن لحم البيكون يحترق».

يدور هذياننا في صمتٍ ونحن نحدّق في ريش السجادة - نتساءل أين وقع الخطأ عندما فجروا مركبة الحلويات التي ألصقوا على جانبها ملصق البحّار بوباي.

هذا كل ما يهمّ: تلاشى الحلم الجيّد، وعندما يتلاشى الحلم الجيّد، لا يعود ثمّة شيء. الباقي ألعاب خرائيّة للجنرالات وصانعي الأموال. يذكّرني ذلك بشيء آخر - أرى المكان الذي هبطَ فيه أمريكي آخر مفخّخ بقنابل الهيدروجين وقد نزل من السّماء ثانيةً - هذه المرّة في البحر قريبًا من آيسلندا.

تدعي وزارة الداخلية أن قنابل الهيدروجين لم تكن «مسلّحة»، لا أدري معنى هذا الكلام. ثم نواصل القراءة عن المكان الذي

تفككت فيه إحدى هذه القنابل (المفقودة)، ومنذ ذلك الوقت ومواد إشعاعية تُنثَر في كل اتجاه، في الوقت الذي تحافظ فيه على حياتي، رغم أني لم أطلب الحماية. الفرق بين الديموقراطية والديكتاتورية أننا في الديموقراطية ننتخبُ أولًا ثم نتلقى الأوامر، أما في الديكتاتورية فلا حاجة إلى تضييع الوقت في الانتخابات.

عودة إلى تسرّب قنابل الهيدروجين- منذ مدة، حصل الشيء ذاته بجانب ساحل إسبانيا (كنا في كل مكان، حرصًا على حياتي). أضلّت القنابل الطريق ثانية- دمى صغيرة ومتهورة. لزمهم ٣ أشهر- إذا لم تخنّي الذاكرة - للعثور على القنبلة الأخيرة وإخراجها من هناك. ربما لزم الأمر ٣ أسابيع، لكن بالنسبة إلى سكان مدينة الساحل، بدا وكأن الأمر استمر ٣ سنوات. القنبلة الأخيرة تلك- القنبلة اللعينة تورطت عند حافة كثيب في أعماق البحر، وفي كل مرة حاولوا تثبيتها في كلّاب، برقّة بالغة، انفلتت وتدحرجت إلى الأمام أسفل التلة.. في الوقت نفسه، قُضت مضاجع الفقراء من سكان مدينة الساحل وهم يتساءلون ليلًا إن كانوا سيتفجرون إلى أشلاء، برعاية الخطوط والنجوم. طبعًا، أصدرت وزارة الخارجية الأميركية بيانًا تقول فيه إن قنابل الهيروجين لا تحتوي على فتيلة تفجيرية، بينما انتقل الأثرياء إلى أماكن أخرى، وبدا البحارة الأمريكيون وسكان المدينة متوترين جدًا (في نهاية الأمر، إن لم تكن القنابل ستنفجر، لماذا يطلقونها في كل مكان؟ من الأفضل جرّ طِنّين من السجق. هذا الفتيل يعني «شرارة» أو «زنادًا»، و«الشرارة» قد تأتي من كل مكان، «الزناد» معناه «الدفع» أو كل عملية أخرى تعمل على تشغيل القنبلة. الآن المصطلح التعريفي هو «أعزل»، والذي يبدو أكثر أمنًا ولكنه في الواقع سيان من حيث المعنى). على أيّ حال، حاولوا تثبيت القنبلة

في الكلّاب ولكن كما يقول المثل، للقنبلة اعتباراتها. ثم حلت بعض الزوابع البحرية وتدحرجت القنبلة الصغيرة والرائعة أكثر أسفل هذه التلة. البحر عميق جدًا، أعمق بكثير من قيادتنا.

أخيرًا، قاموا بتصميم جهاز خاص لنقل القنبلة اللعينة فقط، وتم انتشالها في النهاية من البحر. بالوماريس. نعم، وهذا اسم مكان الحدث: بالوماريس. هل تعلمون ماذا فعلوا بعد ذلك؟

أقام سلاح البحرية الأمريكي حفلًا موسيقيًا رديئًا في ساحة البلدة احتفالًا بالعثور على القنبلة - إذا لم يكن الأمر خطيرا بالفعل، فقد بالغوا في الأمر. نعم، وعزف البحارة الموسيقى معًا، وأصغى الإسبانيون، وتوحدوا جميعًا بنشوة جنسية وروحية كبيرتين. ماذا حدث للقنبلة التي تم انتشالها من البحر، لا أدري، لا أحد (باستثناء قلة قليلة) يدري. واصلت الجوقة العزف في حين تم شحن ١٠٠٠ طنّ من التربة السطحية المشعة الإسبانية إلى أيكن جنوب كارولينا في حاويات مختومة. أراهن أن الإيجار في أيكن جنوب كارولينا رخيص جدًا.

الآن لدينا قنابل تسبح وتعوم من حول آيسلندا، مبرّدة و«غير مسلحة».

إذن، ما العمل عندما يكون لديك أشخاص منشغلون بأمور ليست على ما يرام؟ الحل بسيط - يمكنك إشغالهم بأمور أخرى. هم قادرون على التفكير في أمر واحد فقط. مثلًا، العنوان المنشور في تاريخ ٢٣ كانون ثاني ١٩٦٨: طائرة من نوع B-52 تحطمت بالقرب من غرينلاند وهي تحمل قنابل هيدروجينية؛ الدانماركيون غاضبون. حقًا؟ أوه، تبًا!»

على أيّ حال، وفجأة، في الرابع والعشرين من كانون ثاني،

ظهر عنوان رئيسيّ: «أشخاص من شمال كوريا يستولون على سفينة تعود للبحرية الأمريكية».

ها هو الحس الوطني يعود! لماذا، هؤلاء الأوباش القذرون! ظننت أن هذه الحرب قد انتهت! آها، فهمت - الحمر! الدمى الكورية!

تحت الصورة الجوية، كتبوا شيئًا من هذا القبيل --- سفينة الاستخبارات الأميريكية بويبلو- والتي كانت في السابق سفينة شحن عسكرية وتحولت الآن إلى واحدة من سفن التجسس السرية للبحرية، مجهزة بأجهزة مراقبة كهربائية ومعدّات متخصّصة بعلم المحيطات - أجبرت على الرسو في ميناء وانسون على ساحل كوريا الجنوبية.

هؤلاء الأوباش الحُمر القذرون، دائمًا يخربون! لكنني لاحظت أن خبر القنبلة الهيدروجينية المفقودة زج به في زاوية صغيرة: «العثور على إشعاع في موقع حادثة تحطم B-52؛ إشارة إلى انفجار قنبلة».

قيل لنا إنه تم إيقاظ الرئيس بين الـ ٠٢:٠٠ و ٠٢:٣٠ بعد منتصف الليل، وأبلغوه عن خطف السفينة. أفترض أنه عاد إلى النوم.

تقول الولايات المتحدة إن السفينة أبحرت في المياه الدولية؛ يقول الكوريون إنها كانت في المياه الإقليمية. أحد البلدين يكذب.

ثم يتساءل المرء، ما فائدة وجود سفينة تجسس في المياه الدولية؟ إنها أشبه بارتداء معطف واقٍ من المطر في يوم مشمس.

كلما اقتربت اكثر، كانت قدرة التقاط الأجهزة أكبر.

العنوان الرئيسي: ٢٦ كانون ثاني ١٩٦٨ : «الولايات المتحدة تجند ١٤,٧٠٠ جنديّ احتياط لسلاح الجوّ».

اختفت القنابل الهيدروجينية المفقودة بالقرب من آيسلندا تمامًا من الطباعة، وكأنها لم تحدث.

وفي هذه الأثناء:

قال السناتور جون سي. ستينيس إنّ قرار السيد جونسون (تجنيد جنود الاحتياط) كان «ضروريًا ومبررًا». وأضاف: «آمل ألّا يتردّد في تجنيد جنود المشاة».

زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ، ريتشارد راسل: «في كشف الحسابات النهائي، يجب على هذه الدولة أن تستعيد تلك السفينة والجنود المختطفين. في نهاية الأمر، الحروب الكبرى اشتعلت جراء حوادث أقل خطورة من هذه».

رئيس مجلس النواب جون دبليو ماكورماك: «يجب على الشعب الأمريكيّ أن ينهض ويدرك أن الشيوعية ما زالت عازمة على الهيمنة على العالم. هناك الكثير من اللامبالاة حيال ذلك».

أعتقد أنه لو كان أدولف هتلر حيًا، لتلذذ كثيرًا جرّاء هذا الّذي يحصل اليوم.

ماذا يمكن أن يقال بشأن السياسة والشؤون العالمية؟ أزمة برلين، والأزمة الكوبية، طائرات التجسس، سفن التجسس، فيتنام وكوريا والقنابل الهيدروجينية المفقودة، أعمال الشغب في المدن الأمريكية، المجاعة في الهند، التطهير الجاري في الصين الحمراء؟ هل يوجد أخيار وأشرار؟ أشخاص يكذبون على الدوام، وأشخاص لا يكذبون أبدًا؟ هل توجد حكومات جيدة وحكومات سيئة؟ لا، هناك حكومات سيئة فقط وحكومات أشد سوءًا. هل ستكون هناك ومضة ضوء وحرارة تمزقنا في إحدى الليالي ونحن نمارس الجنس

ونتغوط أو نقرأ زاوية الكوميكس أو نلصق الطوابع في الألبوم؟ الموت الفوري ليس أمرًا جديدًا، ولا الموت الجماعي أيضًا. لكننا قمنا بتحسين المنتج:

في القرون الأخيرة، امتلكنا المعرفة والثقافة والاكتشافات؛ المكتبات ثرية وممتلئة ومكتظة بالكتب؛ لوحات عظيمة تباع بمئات الآف الدولارات؛ العلوم الطبية تزرع قلبًا للإنسان؛ لا يمكنك أن تفرق بين المجنون والعاقل في الشارع، وفجأة نجد حياتنا، مرة أخرى، في أيدي الأغبياء. قد لا تسقط القنابل أبدًا؛ وقد تسقط.

دِن، دَن، دُن..

الآن اسمحوا لي، أعزائي القرّاء، سأعود إلى المومسات والخيول والخمر، ما دام الوقت يسمح بذلك. إن كانت هذه الأشياء تهدد بالموت فهِيَ، في نَظري، أقلّ إهانة أن تكون سببًا في موتك من موتٍ آخر محشوّ بعبارات الحرية والديموقراطيّة والإنسانيّة و/أو أيّ من هذا الهراء.

الرهان الأول، ١٢:٣٠. المشروب الأول، الآن. والمومسات دائمًا من حولي. كلارا، بيني، أليس، جويني..

دِن، دَن، دُن..

أمّي صاحبة المؤخّرة الضّخمة

كانت الفتاتان، تيتو وبيبي، طيّبتين. بدَتا قريبتين من سن الـ ٦٠ رغم أنّهما شارفتا الـ ٤٠. كلّ هذا النبيذ وهذا القلق. كان عمري ٢٩ عامًا، وبدوت وكأنّي أشارف الـ ٥٠. كلّ هذا النبيذ وهذا القلق. تحصّلتُ أولًا على الشّقة ومن بعدها انتقلتا للسكن معي. هذا الأمر أقلقَ صاحب الشقّة الذي أرسل إلينا على الدوام رجال الشرطة كلّما أصدرنا ضجيجًا طفيفًا. بعثَ الأمر على الاضطراب. خفتُ أن أبول وسط المبولة.

كان أفضل الأوقات وقت المرآة، أتأمل فيها نفسي، بطني منفوخ، وبرفقة تيتي وبيبي ومخمورين ومرضى أيامًا وليالي. يُصدر الراديو الرخيص أنغامًا، زجاجات فارغة ملقاة على السجادة المهترئة، آه، المرآة، وكنتُ أتأمّل، وأقول:

«يا تيتو، إنّه في مؤخّرتك. هل تشعرين به؟»

«أوه نعم، يا إلهي- **أولجه**! هيه! إلى أين أنت ذاهب؟»

«اسمعي يا حبيبتي، هو هناك في المقدّمة، امممم؟ هل تشعرين به؟ كمرته بنفسجيّة كبيرة، مثل أفعى تنشدُ لحنًا! هل تشعرين بي يا حبيبتي؟»

«أوه، يا حبيبي، أظنني على وشك أن. . . هيه! إلى أين أنت ذاهب؟»

«تيتو، ها أنا في مؤخرتك ثانيةً. أشقّك إلى نصفين. لا مفرّ أمامك».

«أووو، حسنًا، أووو، هيه، إلى أين أنت ذاهب؟ عد إلى هنا فورًا!»

«لا أدري».

«لا تدري ماذا؟»

«لا أدري من منكما أولجه فيها. ماذا عساي أن أفعل؟ أريد كلتيكما، ولا أستطيع أن أمتلك كلتيكما معًا! وفي الوقت الذي أحاول فيه أن أخرج بقرار، أعاني من رهبة الموت والحزن وأحاول إيقافه! لا أحد في هذا العالم يدرك معاناتي؟»

«كلا، أولجه فيّ فقط!»

«كلا، فيّ أنا، فيّ أنا!»

ثم حضرت قبضة القانون الكبيرة.

سُمع صوت مدوٍ.

يوم! بوم! بوم!

«هيه، ما الذي يحصل في الداخل؟»

«لا شيء».

«لا شيء؟ ما كلّ هذه التأوهات وهذا الصياح والصراخ؟ الساعة الآن ٣:٣٠ فجرًا. بسببكم ثمّة أربعة طوابق يسكنها بشر يقظون ويتساءلون».

«لا شيء. أنا ألاعب أمي وأختي الشطرنج».

«رجاء غادروا. أمي تعاني من مشاكل في القلب. إنكم تذعرونها. لم يتبق لها سوى خطوة واحدة».

«ولكَ أيضًا يا سيّد! إن غاب عنك الأمر، نحن من قسم شرطة لوس أنجلوس. . .».

«يا إلهي، لم أكن يومًا لأتكهّن. . .».

«الآن تكهنت. حسنًا. إما أن تفتح الباب أو نقتحم الشقة!»

ركضت تيتو وبيبي إلى أبعد ركن في غرفة الطعام. وقد تكوّرتا مرتعشتين، تعانقان جسديهما المجنونين والمخمورين والهرمين. كانتا جميلتين إلى حدّ الغباء.

«افتح الباب، يا رفيق. صعدنا إلى هنا أربع مرات في الأسبوع والنصف الأخيرين بسبب الشكوى ذاتها. هل تظن أننا نحب التجول وزج الناس في السجن فقط لأن الأمر يشعرنا بالمتعة؟»

«نعم».

«الكابتن برادلي قال إنه لا يهمه إن كنت أسود أم أبيض».

«قل للكابتن برادلي إني أنا أيضًا كذلك».

صمتٌ. ارتجفت العاهرتان وتشبثتا بجسديهما المجعدين بالقرب من المصباح في الزاوية. الصمت الرقيق والخانق لورق الصفصاف في شتاء ملعون وقاس.

أخذا المفتاح من المدير وكان الباب مفتوحًا بعرض ٤ إنشات، لكنّه كان موصدًا بسلسلة قمتُ بتثبيتها في الباب. تحدّث إليّ أحد رجال الشرطة فيما الآخر زجّ بمفكّ البراغي في الباب وحاول أن يفك السلسلة. جعلت الشرطي يزجّ بالمفك تقريبًا حتى النهاية، ثمّ سحبتُ السلسلة، وأنا أقفُ هناكَ عاريًا وبي انتصاب.

«إنّكما تنتهكان حقوقي. عليكم أن تحصلوا على مذكرة تفتيش

كي تدخلوا هنا. لا يمكنكم أن تدخلوا بالقوة لمجرد أن الأمر يحلو لكم. ما هذا بحق الجحيم يا رفاق؟»

«مَن من بين هاتين المرأتين من المفترض بها أن تكون أمّك؟»

«تلك صاحبة المؤخرة الضخمة».

كاد الشرطي الآخر يفكّ السلسلة. سحبتها بإصبعي.

«هيا، دعني أدخل. نحن نرغب في التحدث إليك فقط».

«بشأن؟ عجائب عالم ديزني؟»

«كلا، كلا، تبدو إنسانًا مثيرًا للاهتمام. نريد فقط أن ندخل ونتحدّث».

«لا بدّ أنّكما تعتقدان أني شخص غير سويّ. إذا أصبحتُ شخصًا غير سويّ بما يكفي لتوضع القيود في يدي، فسأشتريها من دكان تريفتي. لست مذنبًا في شيء سوى الانتصاب وصوت الراديو العالي، ولم تطلبا مني أن أطفئ أيًا منهما».

«دعنا ندخل فقط. كلّ ما نريده هو التحدث معك».

«اسمعا، أنتما تحاولان الدخول بالقوة من دون تصريح. ليكن واضحًا لكما، لدي أفضل محام في المدينة...».

«محام؟ لماذا تملك محاميًا؟»

«أنا أستعين به منذ أعوام- التهرّب من التجنيد، التعري علنًا، اغتصاب، القيادة تحت تأثير الكحول، إزعاج، اعتداء، إحراق متعمد - جميع التهم السيئة».

«هل كسبها جميعها؟»

«هو الأفضل. الآن اسمعا. أمهلكما ثلاث دقائق. إما أن تتوقفا عن محاولة اقتحام الباب وتدعاني وشأني، أو أتصل به. هو لا يحب أن يوقظوه في ساعة كهذه من الليل. سيهتم بأن تفقدا وظيفتكما».

«تراجع الشرطيان، ووقفا في الرواق. أصغيت إليهما».

«هل تظن أنه يعرف عم يتحدث؟»

«نعم، أظن ذلك».

عادا.

«أمك صاحبة مؤخرة ضخمة».

«خسارة أن لا نصيب لك فيها، ها؟»

«حسنًا، سنغادر، لكن حافظوا على الهدوء. نريد منك أن تطفئ الراديو وتتوقف عن التأوهات والصراخ».

«حسنًا، سنطفئ الراديو».

غادرا. ما أروع سماعهما يغادران. ما أروع أن يكون لديك محامٍ بارع. ما أروع أن تكون خارج السجن.

أوصدت الباب.

«حسنًا، يا بنات، لقد غادرا. شخصان لطيفان في المكان غير المناسب. والآن انظرا!»

نظرت إلى أسفل. «لقد ذبل، ذبل تمامًا».

قالت بيبي: «نعم، ذبل تمامًا، أين ذهب؟ أمر مؤسف للغاية».

قالت تيتو: «تبًا، يبدو مثل قطعة سجق فييناويّة، صغيرة وميتة».

توجهت نحو كرسي وجلست عليه. صببت نبيذًا. لفت بيبي ٣ سجائر لنا.

سألت: «ما وضع النبيذ؟»

«تبقت ٣ قوارير فقط».

«من الأخماس أم من الغالونات؟»

«الأخماس».

«يا إلهي، نحتاج إلى بعض الحظ».

التقطتُ صحيفة صدرت منذ ٤ أيام. قرأتُ القصص المصوّرة المسلّية. ثم انتقلتُ إلى صفحة الرّياضة. بينما كنتُ أقرأ، اقتربت تيتو. جلست على السجادة. شعرتُ بها وهي تمصّ. كانت تمتلكُ فمّا يشبه المكابس التي تفتحُ انسداد المراحيض. شربتُ نبيذي ودخنتُ سيجارتي.

لو سمحتَ لهنّ، لرضعنَ لكَ دماغك. أظنّ أنّهما فعلتا ذلك الواحدة مع الأخرى أثناء غيابي.

وصلتُ إلى صفحة الخيول. قلت لتيتو: «انظري، لقد قطع هذا الخيل كسورًا من ٢٢ وخُمسًا لمسافة الرّبع، وهو ٤٤ وأربعة أخماس لمسافة النّصف. ومن بعدها ١,٩ لمسافة-٦ فيرلونغ، لا بدّ أنّه ظنّ السّباق لمسافة ٦ فيرلونغ-»

درغن درغن

هووووب

هوب هوب هوب هوب

«- هذه مسافة ميل وربع، هو يحاول أن يسرع ويبتعد عن الآخرين، تبقّى له ٦ فيرلونغ للانعطافة الأخيرة، الخيل يحتضر، يريد العودة إلى الإسطبل-»

درغن درغن

درغن هوب هوب هوب

هوب هوب هوب

«انتبهي الآن إلى الفارس - إذا كان الفارس بلوم فإنه سيفوز بفارق طفيف؛ إن كان الفارس فولسك فإنه سيفوز بثلاثة أرباع فيرلونغ. فولسك هو الفائز بـ ٣/ ٤. انخفض مبلغ الرهان من ١٢ إلى ٨. كلّها أموال للإسطبلات، الجمهور يكره فولسك. يكرهون

فولسك وهيرماتس. لذا يستخدم مالكو هؤلاء الفرسان مرتين أو ثلاث مرات لترويض الجمهور. من دون هؤلاء الفرسان الممتازين، في التوقيت المناسب، لكنت الآن في شارع ٥ الشرقي...».

«أوه أيها الوغد!» رفعت تيتو رأسها صارخة، وأسقطت الصحيفة من يدي. ثمّ عادت إلى العمل. حِرتُ ماذا أفعل. كانت غاضبة جدًا. ثمّ جاءت بيبي. كانت لبيبي سيقان رائعة وكنتُ قد رفعتُ تنورتها البنفسجيّة وتأملت جوارب النيلون. مالَت بيبي عليّ وقبّلتني، مدّت لسانها أسفل الحلق. كانت يدي على مؤخرتها. كنت عالقًا. حِرتُ ماذا أفعل. كنت بحاجة إلى مشروب. ٣ أغبياء عالقون معًا. تأوهات، وتحليق العصفور الأزرق الأخير باتّجاه عين الشمس. كانت هذه لعبة غبية.

مسافة الربع الأول، ٢٢ و١/ ٤، مسافة النصف ب ٤٤ وخمس، كانت تيتو تمصّ، بات الفوز قريبًا، مطر كاليفورنيا فوق جسدي. تنشقّ حبات التين برقة مثل أحشاء حمراء رائعة تحت الشمس، وتمتص روحك فيما والدتك تكنّ لك الكراهية ووالدك يرغب في قتلك وسور الساحة الخلفية كان أخضر اللون يتبع لبنك أوف أميركا[1]. مصّت تيتو أيري، وأدخلتُ أصابعي في فرج بيبي.

ثم انفصلنا، كلّ منا ينتظر دوره لدخول الحمام لنمسح المخاط عن أنوفنا الجنسيّة. كنت دائمًا الأخير في الدّور. خرجتُ وتناولتُ إحدى قوارير النبيذ وتوجّهت نحو النافذة ورحتُ أتأمّل.

«بيبي، لفّي لي سيجارة أخرى».

---

(١) Bank of America: البنك التجاري الثاني الأكبر في الولايات المتحدة الأمريكية.

كنّا في الطابق العلويّ، الطابق الرابع، في أعلى التلّة. مع ذلك أمكنني رؤية لوس أنجلوس من دون الحصول على شيء. كلّ هؤلاء البشر النائمين هناك في الأسفل، ينتظرون النهوض للعمل. كان ذلك شيئًا أحمق، غبيًا جدًا وفظيعًا. كنّا على حقّ: عين، لنقل، زرقاء على خضراء، يحدّقان ببعضهما عميقًا عبر حقول الفول.

أحضرت لي بيبي سيجارة. أخذتُ نفسًا وتأملتُ المدينة النائمة. جلسنا وانتظرنا الشّمس وأيّ شيء آخر. لم أحبّ العالَم. لكن في أوقاتٍ حذرة ومريحة، كان من الممكن فهمه.

لا أدري أين تيتو وبيبي الآن، لعلّهما فارقتا الحياة أو لا أدري، لكن تلك الليالي كانت طيّبة. قرصُ تلك السيقان ذات الكعوب العالية، تقبيل الرّكبتين من تحت جوارب النايلون. كلّ تلك الفساتين والأردية الداخليّة الملوّنة، وإرغام شرطة ل. أ. على تبرير استخدام السيرينات.

لن يعود الربيع أو الزّهر أو الصّيف كما كان من قبل.

قصّة حبّ جميلة

أفلستُ - من جديد - لكن هذه المرّة في الحيّ الفرنسي في نيو أورليانز. اصطحبني جو بلانتشارد، محرّر صحيفة «انقلاب» السريّة إلى شقته قريبًا من الزاوية، في إحدى البنايات البيضاء القذرة ذات الشبابيك الخضراء المقاومة للعواصف، ودرج يصل تقريبًا إلى الأعلى مباشرةً. كان ذلك يوم الأحد، وكنتُ أنتظر عائداتٍ مادية. كلا، وإنّما دفعة مقدّمة عن كتاب قذر ألّفته لحساب الألمان، لكن الألمان كتبوا لي طيلة الوقت أشياء سخيفة عن المالك، الأب، أنه مخمور، وأنهم غارقون في الوحل لأن العجوز سحب التمويل من البنك. لا، سحب كافّة الأموال ليموّل شرابه ونزواته الجنسية، ولذا فقد أفلسوا، لكنهم سيرفسونه حالما. .

قرع بلانتشارد الجرس.

امرأة عجوز سمينة بلغت الباب، كانت تزن بين ٢٥٠-٣٠٠ باوند. ارتدت شيئًا يشبه ملاءة واسعة كفستان، وكانت عيناها صغيرتين جدًا. أظنّ أن هذا الشيء الوحيد الذي كان صغيرًا فيها. كانت ماري غلافيانو، صاحبة مقهى في الحيّ الفرنسيّ، مقهى صغير جدًا. شيء آخر امتلكته لم يكن كبيرًا جدًا - المقهى. ولكنه كان مقهى جميلًا، ومفارش المائدة بالأحمر والأبيض، والقوائم باهظة

الثمن، ولا زبائن. انتصبت إحدى دمى الأم السوداء القديمة بالقرب من المدخل. كانت دمية الأم- السوداء القديمة تمثّل الأيام السّعيدة القديمة، الأيام القديمة السعيدة، ولكن تلك الأيام اختفت ولم تعد. صار السياح الآن مشّائين. أحبوا المشي والنظر إلى الأشياء فقط. لم يرتادوا المقاهي. وحتى لم يسكروا. لم يعد شيء ذا قيمة. لم تعد هناك أيّام سعيدة. ما عاد أحد يكترث، ولم يمتلك أحد المال، وإذا امتلكوه، لم يبذروه. كان عهدًا جديدًا ولم يكن مثيرًا للغاية. شاهد الجميع، نوعًا ما، الثوار والخنازير يمزقون بعضهم البعض. كان ذلك ترفيهًا لا بأس به ومجانيًا، وقد احتفظوا بأموالهم في جيوبهم، هذا إذا كانت لديهم أيّ أموال.

قال بلانتشارد: «مرحبًا، ماري، ماري، هذا تشارلي سيركين. تشارلي، هذه ماري».

قلت: «مرحبًا».

قالت ماري غلافيانو: «أهلًا».

قال بلانتشارد: «دعينا ندخل لحظة يا ماري».

(ثمة عيبان في المال: إما أن يكون زائدًا عن الحاجة، أو ناقصًا عن الحاجة. وها قد وصلتُ إلى درجة الناقص عن الحاجة).

صعدنا الدرج الحادّ وتبعتها إلى أحد الأماكن الطويلة جدًا المبنية جانبًا - أقصد، طولًا بلا عرض. وها نحن في المطبخ، نجلس حول الطاولة. كان هناك وعاء من الزهور. فتحت ماري ٣ علب بيرة. جلست. قال بلانتشارد: «حسنًا يا ماري، تشارلي عبقري. لكنه يواجه مصيرًا صعبًا. أنا متأكد من أنه سوف ينجو، ولكن حاليًا، لا مكان يأويه».

نظرت ماري إليّ. «هل أنت عبقري؟»

ارتشفت من البيرة رشفة طويلة. «حسنًا، بصراحة، من الصعب المعرفة. عمومًا، أشعر أنّي إنسان دون العاديّ لا مثل كل هذه الكتل البيضاء من الهواء في رأسي».

قالت ماري: «بإمكانه المكوث».

كان ذلك يوم الاثنين، يوم عطلة ماري الوحيد، وقد نهض بلانتشارد وتركنا في المطبخ. أوصد الباب الأمامي وغادر.

سألت ماري: «ماذا تفعل؟»

قلت: «أعيش على الحظ».

قالت: «أنت تذكرني بمارتي».

«مارتي؟» سألت، وقلت في نفسي، يا إلهي، ها قد بدأنا. وقد بدأنا.

«حسنًا، أنت قبيح، فعلًا. أنا لا أقصد قبيحًا، أقصد أنك متخَن ضربًا، أنت تعرف. أنت فعلًا مثخن ضربًا، أكثر من مارتي. وقد كان مقاتلًا. هل أنت مقاتل؟»

«هذه إحدى مشاكلي: طيلة حياتي لم أقاتل مثل رجل».

«على أيّ حال، لكَ نفس هيئة مارتي. كنت في الحضيض، لكنك لطيف. أعرف طرازك. أعرف الرجل عندما أراه. يعجبني وجهك. وجهك جيّد».

لأني لم أقوَ على قول شيء عن وجهها، سألتها: «هل معك سيجارة يا ماري؟»

«بالتأكيد يا عزيزي». تحسست أسفل ثوب الملاءة الفضفاض الذي ارتدته وسحبت علبة كاملة من بين نهديها. أمكنها أن تسحب من هناك مشتريات أسبوع من محل بقالة. كان ذلك مضحكًا. فتحت لي

علبة بيرة أخرى.

ارتشفت رشفة طويلة، ثم قلت لها: «طبعًا كان بإمكاني أن أنيكك حتى أجعلك تبكين».

قالت: «اسمع يا تشارلي، لست مستعدة لسماع هذا الكلام منك. أنا فتاة لطيفة. ربتني أمي تربية سليمة. إذا كنت ستتحدّث بهذه الطريقة لن يكون في وسعك المكوث».

«عذرًا يا ماري، كنت أمزح فقط».

«حسنًا، لا أحب هذا النوع من المزاح».

«بالتأكيد، أنا أفهم. هل عندك ويسكي؟»

«سكوتش».

«سكوتش لا بأس به».

فأخرجَت قارورة فيها الخمس تقريبًا. قدر كأسين من الماء. شربنا معًا بعض السكوتش بالماء. لقد مرّت هذه المرأة بأشياء في حياتها. كان هذا واضحًا. كانت تكبرني بحوالي عشر سنوات. حسنًا، العمر ليس جريمة. الجريمة أن غالبية البشر يهرمون على نحو سيئ.

قالت من جديد: «أنت تشبه مارتي تمامًا».

قلت: «وأنت لا تشبهين أي شخص رأيته».

سألت: «هل أعجبُك؟»

قلت: «يجب أن تعجبيني». ولم تعنّفني على هذه الجملة. شربنا لساعة أو ساعتين، ركّزنا على شرب البيرة ولكن مع قليل من السكوتش هنا وهناك، ثم أخذتني إلى سريري. وفي الطريق مررنا بمكان وقالت: «هذا هو سريري». كان واسعًا جدًا. كان سريري

بجانب سريرها. غريب جدًا. لكن هذا لا يعني شيئًا. قالت ماري: «يمكنك أن تنام في أي سرير تشاء، أو في كليهما».

شعرتُ في جملتها شيئًا مهينًا.

حسنًا، بالتأكيد، عانيت من صداع في الصباح وسمعت الجلبة التي أحدثتها في المطبخ لكني تجاهلت ذلك شأني شأن أي رجل عاقل، وسمعتها تشعل التلفزيون لسماع أخبار الصباح. كان التلفزيون على طاولة وجبة الإفطار، وسمعت تصفيةَ القهوة، كانت رائحتها طيبة نوعًا ما ولكن رائحة لحم الخنزير المقدد والبيض والبطاطا لم تعجبني، وصوت أخبار الصباح لم يرق لي، وشعرت برغبة في التبول، وشعرت بالعطش، أرغب في أن تعرف ماري أنني مستيقظ، لذلك انتظرت، كنت عصبيًا قليلًا، ولكني أردت أن أكون لوحدي، أردت أن أسكن في مكان لوحدي، وواصلت هي ضوضاءها. أخيرًا سمعتها تدنو من سريري...

قالت: «يجب أن أغادر. لقد تأخرت».

قلت: «إلى اللقاء يا ماري».

عندما أوصِد الباب، نهضت ومشيت إلى المرحاض وجلست هناك. تبولت وتغوطت وجلست هناك في نيو أورليانز، بعيدًا عن البيت، حيثما كان، ثم رأيت عنكبوتًا في شبكة في ركن، تنظر إليّ. مكثت العنكبوت في البيت وقتًا طويلا، وعرفتُ ذلك. مكثَت وقتًا أطول مني. في البداية، فكرتُ في قتلها. لكنها كانت سمينة وسعيدة وقبيحة، كانت هي صاحبة الشبكة. عليّ أن أنتظر، إلى أن يمضي بعض الوقت. نهضت ومسحت مؤخرتي وأنزلتُ المياه. غادرت المرحاض، غمزتني العنكبوت.

لم أرغب في أن ألهو بما تبقى من الخمس، لذلك جلست في

المطبخ، عاريًا، وتساءلت، كيف يمكن للناس أن يثقوا بي هكذا؟ من أنا؟ الناس مجانين، الناس سذّج. هذا الأمر أغاظني. فعلًا. أعيش منذ عشر سنوات من دون مهنة. يعطيني الناس المال، والطعام، والمأوى. سواء اعتقدوا أنّي أحمق أو عبقري، لا يهم. أنا أعرف من أكون. لست هذا ولا ذاك. لم يعنني ما الذي جعل الناس يمنحونني الهدايا. أخذت الهدايا. أخذتها من دون الشعور بالانتصار و/أو الإكراه. كان افتراضي الوحيد أنني لا أستطيع أن أطلب أي شيء. علاوة على كلّ ذلك، دار في ذهني شريط مسجل طيلة الوقت، النغمة نفسها: لا تحاول لا تحاول. وراقت لي الفكرة.

على أيّ حال، بعد أن غادرت ماري جلستُ في المطبخ وشربت ٣ علب بيرة وجدتها في الثلاجة. لم أهتم كثيرًا بالأكل. سمعت عن حبّ البشر للأكل. ولكن الأكل أثار فيّ شعورًا بالملل. كان الشراب جيدًا، ولكن الانتفاخات كانت تزعجني. أحببت الغائط، أحب التغوّط، أحب كومات البراز مع أنّ صنعها كان عملًا صعبًا.

بعد أن أفرغتُ علب البيرة الثلاث، لاحظت محفظة نقود على المقعد المجاور. بطبيعة الحال، أخذت ماري معها محفظة أخرى للعمل. هل كانت على قدر كاف من الغباء أم على قدر كاف من الكياسة لتترك فيها نقودًا؟ فتحت المحفظة. كان فيها عملة من فئة عشرة دولارات.

حسنًا. ماري تختبرني، وسأثبت لها أني جدير باختبارها.

أخذت العشرة دولارات، عدت إلى غرفة نومي وارتديت ملابسي. كان شعوري جيدًا.

في النهاية، ماذا يحتاج المرء كي يبقى على قيد الحياة؟ لا شيء. هذا صحيح. حتى مفتاح الشقة كان معي.

ثم خرجتُ وأوصدتُ الباب حتى لا يدخل اللصوص، هاهاها، وهناك كنت، في الشوارع، في الحي الفرنسي، أي مكان سخيف هذا، ولكن هذا ما حصل. كلّ شيء ملزَم بخدمتي، كان هذا شعاري. ثم.. أوه نعم، ثمّ سرتُ على طول الشّارع، كانت المشكلة في الحي الفرنسي خلوّه من محالّ الخمور العادية كما هو الحال في أنحاء أخرى من العالم. لكن الأمر كان مقصودًا. أظن أنّ ذلك ساعد تلك الجحور الفظيعة في كلّ ركن، تلك التي كانت تُدعى بالحانات. أول شيء فكرت فيه وأنا أدخل إحدى هذه الحانات «الغريبة» في الحيّ الفرنسي أنّ بي رغبة في التقيّؤ. وهذا ما كنت أفعله عادة. ركضت إلى مبولة في الخلف، وأفرغت ما في أمعائي - أطنان من البيض المقلي والبطاطا الدهنية نصف المطبوخة. وعندما عدت إلى الداخل مرة أخرى، بعد أن تقيأت، نظرت حولي: كان السّاقي وحده وحيدًا وتائهًا بين الزبائن الدائمين، خاصة أنه كان صاحب المكان. حسنًا، قمت بجولة، عرفت أن الحانات كانت مزيفة، وهل تعرفون أين وجدت ٣ كرتونات من علب البيرة؟ في دكان صغير مع خبز متعفن، تناثرت في جميع أركانه، حتى على طلاء الجدران المتقشر، ابتسامة نصف عاهرة تشي بالوحدة... النجدة، النجدة، النجدة... نعم، ولم يكن في إمكانهم حتى إضاءة المكان، الكهرباء مُكلفة، وهناك كنتُ أنا، أول من يشتري بيرة منذ ١٧ يومًا، وأول من يشتري ٣ كرتونات من البيرة منذ ١٨ عامًا، والله، كادت الكرتونات أن تتجاوز آلة الدّفع النقديّ... كان ذلك مبالغ فيه. أخذت الباقي وكرتونات البيرة ذات الثماني عشرة علبة، وركضت باتجاه أشعة شمس الحي الفرنسي الحمقاء.

وضعت بقيّة النقود في المحفظة في المطبخ، وتركتُ المحفظة مفتوحة حتى تتمكن ماري من رؤيتها. ثم جلست وفتحت علبة بيرة.

كانت الوحدة شعورًا جيدًا. مع ذلك، لم أكن وحدي. في كلّ مرة كنت أذهب لأتبول رأيتُ تلك العنكبوت وقلتُ في نفسي، عليك أن تغادري قريبًا أيّتها العنكبوت. لا أحب منظرك في الركن المظلم، تصطادين الحشرات وتمتصين دماءها. افهمي، أنت سيّئة، يا حضرة عنكبوت، وأنا رجلٌ طيّب. هكذا على الأقل أحبّ أن أرى الأمور. ما أنت إلا ثؤلول أسود تافه من الموت، هذا أنت. تمتصين الخراء. هذا ما انتهيت إليه.

وجدت مكنسة في الشرفة الخلفية وعدت إلى هناك وسحقتها داخل شبكتها وقدّرت لها موتها. حسنًا، حسنًا، لقد جاء هناك قبلي، حيث هو، لم يكن في يدي أن أمنع ذلك. لكن كيف استطاعت ماري أن تجلس على مقعد المرحاض بمؤخرتها الضخمة وتخرأ وهي تنظر إلى هذا الشيء؟ هل رأته أصلًا؟ ربما لا.

عدتُ إلى المطبخ وشربت بعض البيرة. ثم أشعلت التلفزيون. الناس من ورق. الناس من زجاج. شعرت وكأني أصاب بالجنون وأطفأت الجهاز. شربت مزيدًا من البيرة. ثم طبختُ بيضتين وقليت شريحتين من لحم الخنزير المقدد. تمكنت من تناول الطعام. أحيانًا نسيتُ أن آكل. تسللت الشمس عبر الستائر. شربت طيلة النهار. رميت العلب الفارغة في القمامة. مرّ الوقت. ثم فُتح الباب. على مصراعيه. كانت هذه ماري.

صرخَت: «يا إلهي! هل تعرف ماذا حدث؟»

«لا، لا. لا أعرف».

«أوه اللعنة!»

«ما الذي حصل يا حبيبتي؟»

«حرقتُ الفراولة!»

«حقًا؟»

ركضَت نحو المطبخ في حلقاتٍ صغيرة، ومؤخرتها الضخمة تتقافز. كانت منتهية. فاتنة عجوز. سمينة ومسكينة.

"كان هناك قِدر من الفراولة في المطبخ وقد دخلت عدّة سائحات. إحدى القحاب الثريات، من زبائن اليوم باكرًا، تحب القبعات الصغيرة التي أصنعها، كما تعلم. . حسنًا، كانت لطيفة وقد لاءمتها جميع القبعات، عندها روَت مشكلة وقعت فيها، ثم وصل بنا الحديث إلى دترويت، تعرّفَت هناك إلى شخص كنت أعرفه أنا أيضًا. وبينما كنّا نتحدث **شممت فجأة هذه الرائحة! الفراولة تحترق!**

ركضتُ نحو المطبخ، لكن كان الوقت متأخرًا وعمّت الفوضى! فاضت الفراولة من القدر وانتشرت في أرجاء المطبخ وكانت الرائحة مقرفة، ومحترقة، وهذا أمر محزن، ولم أتمكّن من إنقاذ شيء على الإطلاق! أي جحيم هذا!

«أنا آسف، ولكن هل بعتها قبعة؟»

«بعتها قبّعتين. لم تنجح في اتخاذ قرار بشأن أيّهما تحبّ أكثر».

«آسف بشأن الفراولة، وقد قتلتُ العنكبوت».

«أي عنكبوت؟»

«لم أكن أعتقد أنّك ستعرفين».

«أعرف ماذا؟ أي عنكبوت؟ توجد صراصير فقط».

«يقولون لي إنّ العنكبوت ليست صرصارًا. الأمر له علاقة بعدد الأرجل. . لا أعرف حقًا ولا يهمني».

«العنكبوت ليست صرصارًا؟ ما هذا السخف؟»

«ليست حشرة. هكذا يقولون. على كلّ، قتلتُ المخلوق اللعين».

«أفرغت محفظتي».

«بالتأكيد. لقد تركتِها هناك. كنت بحاجة إلى البيرة».

«تحتاج إلى البيرة طيلة الوقت؟»

«نعم».

«أنت ستكون مشكلة. هل كان لديك أي شيء لتناوله؟»

«بيضتان، شريحتان من لحم الخنزير المقدد».

«هل أنت جائع؟»

«نعم، ولكنك متعبة. استرخي. تناولي مشروبًا».

«الطبخ يهدئني. ولكني أحتاج قبل أي شيء إلى حمام ساخن».

«امضي».

«حسنًا». مدت يدها وأشعلت جهاز التلفزيون ثمّ غادرت إلى الحمام. اضطررت للاستماع إلى التلفزيون. نشرة الأخبار. نذل قبيح تمامًا. ثلاثة مناخير. نذل بغيض يرتدي زي دمية صغيرة وتافهة، يحدّق فيّ، يتفوه بكلمات لا أكاد أفهمها ولم آبه. كنت أعرف أن ماري ستشاهد التلفزيون لساعات، وأني سأضطر للتعود على ذلك. عندما عادت ماري كنت أنظر عبر الزجاج، ما جعلها تشعر أفضل. بدوت شخصًا غير مؤذ مثل رجل يمسك بِرُقعة الدّاما وصفحة الرياضة.

خرجت ماري، تتغندر بزيّ جديد. لعلها بدت لطيفة، لكنها كانت فعلًا سمينة جدًا. حسنًا، على أي حال، لم أنم على مقعد في حديقة.

«تريدينني أن أطهو الطعام يا ماري؟»

«لا، لا بأس. لست متعبة جدًا الآن».

بدأت بإعداد الطعام. عندما استيقظت لشرب البيرة التالية، قبلتها خلف الأذن.

«أنت جيدة يا ماري».

سألت: «هل تملك ما يكفي من البيرة لبقية الليل؟»

«بالتأكيد، يا حلوة. وما زال هناك خمس قنينة السكوتش. كل شيء على ما يرام. أريد فقط أن أجلس هنا وأشاهد التليفزيون وأستمع إلى حديثك، حسنًا؟»

«بالتأكيد يا تشارلي».

جلستُ. انشغلَت هي بالطهو. كانت الرائحة طيّبة. كان من الواضح أنها تجيد الطّهي. كل الجدران عبقت برائحة الطهي الدافئة. لا عجب أنها سمينة: تجيد الطهي، تجيد الأكل. حضرت ماري قدرًا من الحساء. بين الحين والآخر قامت وأضافت شيئًا إلى القدر. بصلًا. قطعة ملفوف. بضع جزرات. كانت خبيرة. وأنا شربت وتأملت السيدة العجوز المترهّلة فيما جلست هي هناك وصنعت قبعات سحرية، عملت يداها طولًا وعرضًا، انتقت هذا اللون أو ذاك، وشريط الزينة، وربطته من حولها، ومن ثم خاطته ووضعته فوق القبعة، ولكتلة القش هذه كان يُضاف المزيد من السحر. لقد خلقت ماري تحفًا فنية لن يتم اكتشافها --- إبداعٌ يدورُ في الشارع على رؤوس القحاب.

كانت تتحدّث بينَما انهمَكت وتولّت أمر الحساء.

«لم يعد الأمر كما كان من قبل. الناس لا يملكون المال. يتصرفون بشيكات المسافرين ودفاتر الشيكات وبطاقات الائتمان. الناس لا يملكون المال. هم لا يحملونه. كل شيء يتم عبر

الائتمان. يحصل الرجال على رواتبهم ولا تعود ملكهم. يرهنون كلّ حياتهم لشراء منزل. ومن بعدها، عليهم أن يملأوا البيت بالخراء ويقتنوا سيارة. هم رهينة المنزل، والمشرّعون يدركون ذلك، ويخنقونهم بالضرائب التي يفرضونها على الممتلكات. لا أحد يمتلك أموالًا. الشركات الصغيرة ببساطة لا يمكنها أن تصمد».

جلسنا نتناول الحساء وكان مثاليًا. بعد العشاء أحضرنا الويسكي وجلبت لي لفافتين من السيجار وشاهدنا التلفزيون ولم نتحدث كثيرًا. شعرت كما لو كنت موجودًا هناك لسنوات. واصلت العمل على القبعات، والحديث بين الحين والآخر، وأنا أقول، نعم، هذا صحيح، أو: حقًا؟ وظلت القبعات تكبر بين يديها، تحفًا فنية.

قلت لها: «ماري أنا متعب. عليّ أن أخلد للنوم».

طلبت مني أن آخذ الويسكي، وهذا ما فعلت. لكن بدلًا من اعتلاء السرير، رفعت غطاء سرير ماري وزحفت إلى الداخل. بعد أن تعريت، بالطبع. كان الفراش ناعمًا. كان السرير رائعًا. أحد تلك الأسرّة القديمة بأعمدة شاهقة بسقف خشبي، أو أيًا كان اسمها. أعتقد أنك إذا مارست الجنس حتى يسقط السقف، فقد نجحت. أنا لن أنجح في إسقاط السقف من دون مساعدة الآلهة.

واصلت ماري مشاهدة التلفزيون وصنع القبعات. ثم سمعتها تطفئ الجهاز، وضوء المطبخ وتدخل إلى غرفة النوم، مرّت من غرفة النوم ولم ترني، ذهبت مباشرة إلى المرحاض. ظلت هناك مدة من الوقت، شاهدتها تخلع ملابسها وتبدلها بثوب ورديّ كبير. عبثت بوجهها قليلًا، تجاهلت، غرزت بعض المعاقص في شعرها، ثم استدارت واتجهت صوب السرير ورأتني.

«يا إلهي، يا تشارلي، لقد أخطأتَ السرير».

«أها».

«اسمع يا عزيزي، أنا لست من هذا الصنف من النساء».

«توقفي عن هذه السخافات وادخلي».

وفعلت. يا إلهي، لم تكن سوى لحم. في الواقع، خفت قليلًا. ماذا أفعل بكل هذا؟ حسنًا، كنتُ محاصرًا. الجانب الذي رقدت فيه ماري غاص إلى أسفل.

«اسمع يا تشارلي».

أمسكت رأسها، أدرته، وبدا لي أنها بكت، ثم أطبقت شفاهي على شفاهها. تبادلنا القبل. اللعنة، انتصب قضيبي. يا إلهي، ماذا حصل؟

قالت: «تشارلي، لسنا مضطرين».

أخذت إحدى يديها، ووضعتها على قضيبي.

قالت: «اللعنة، أوه اللعنة!»

ثم قبلتني، باللسان. كان لسانها صغيرًا - على الأقل كان صغيرًا - تحرك إلى الداخل والخارج، امتلأ بالرضاب والشهوة. ابتعدت عنها.

«ماذا حصل؟»

«انتظري لحظة».

مددتُ يدي، أخذت قنينة السكوتش وارتشفت رشفة طويلة. ثم وضعتها جانبًا ومددت يدي ورفعت ذلك الثوب الوردي الفضفاض. بدأت أتحسس ولم أعرف ماذا تحسّست، لكن بدا لي أني تحسسته. رغم صغره، لكنه في المكان الصحيح. نعم، كان ذلك فرجها. وجّهت قضيبي صوبه. مدت يدها وأرشدتني إلى الداخل. معجزة أخرى. كان شيؤها ضيّقًا. كاد يمزق جلدي. بدأنا العمل. توقعت

اعتلاء طويلًا لكني لم أكترث. ضاجعتني. كانت تلك إحدى أفضل المضاجعات في حياتي. تأوهت وصِحت، ثم قذفت، نزلتُ عنها. لا يصدّق. عندما عادت من المرحاض تحدثنا قليلًا، وذهبت لتنام. لكنها كانت تشخر، فاضطررت للعودة إلى سريري. ثم استيقظتُ صبيحة اليوم التالي وكانت قد غادرت إلى العمل.

قالت: «عليّ أن أسرع يا تشارلي».

«بالتأكيد يا حبيبتي».

حالما غادرت ذهبتُ إلى المطبخ وشربت كأسًا من الماء. تركت هناك محفظتها. عشرة دولارات. لم آخذها. مشيت إلى الحمام وتغوطت بشدة، من دون العنكبوت. ثم أخذت حمامًا. حاولت أن أفرشي أسناني، تقيأت قليلًا. أرتديت ملابسي وذهبت إلى المطبخ. تناولت قصاصة ورق وقلمًا:

ماري:

أنا أحبك. كنت طيبة معي. ولكن لا بد لي من الرحيل. لا أعرف بالضبط ما السبب. أظن أني مجنون. مع السلامة.

تشارلي

أسندت الورقة إلى ظهر جهاز التلفزيون. لم أشعر أنني بحالة جيدة. شعرت برغبة في البكاء. ساد هناك هدوء، هدوء على طريقتي. حتى الموقد بدا آدميًا والثلاجة كذلك. أقصد آدمية طيبة --- بدا أن لهما يدين وأصواتًا وهما يقولان لي، امكث قليلًا، يا فتى، المكان جيد، وقد يروق لك المكان هنا كثيرًا. وجدت ما تبقى من السكوتش في المرحاض. شربته. ثم وجدت علبة بيرة في الثلاجة. شربتها. بعدها نهضت وبدأت أمشي في المكان الضيق، الذي بدا لي طويلًا، ما يقارب ١٠٠ ياردة. وصلت إلى الباب

فتذكرت أن المفتاح معي. عدت ووضعت المفتاح بجانب الورقة. ثم نظرت إلى العشرة دولارات في المحفظة مرة أخرى. تركتها هناك. مشيت مرة أخرى. عندما وصلت إلى الباب، كنت أعرف أنني حالما أوصد الباب لن تكون هناك عودة إلى الوراء. أغلقته. انتهى. نزلت عبر السلالم. كنت لوحدي من جديد ولم يكترث أحد لذلك. سرت جنوبًا، ثم اتجهت يمينًا. مشيت في طريقي. مشيت وخرجت من الحيّ الفرنسي. اجتزتُ شارع كانال. واصلت السّير في شوارع أخرى ثم انعطفت هنا وهناك، اجتزتُ شارعًا آخر، وانعطافة أخرى. لم أكن أعرف أين أنا متّجه. انتقلت إلى يساري ووقف هناك رجل عند المدخل وقال:

«يا رجل، هل تريد عملًا؟»

نظرت إلى الداخل وكانت هناك صفوف من الرجال يصطفون أمام طاولات خشبية ومعهم مطارق دقّوا بها أشياء داخل محارات، بدت مثل قادوس محاريّ، وكسروا المحارات وصنعوا باللحم شيئًا، كان المكان مظلمًا؛ بدا كما لو أن الرجال يضربون أنفسهم ويقذفون ما تبقى منهم. قلت للرجل: «لا، لا أريد عملًا».

مشيت ووجهي باتجاه الشمس.

كان بحوزتي ٧٤ سنتًا.

كانت الشمس مناسبة.

كلّ الفرج الذي نشتهيه

هاري وديوك. تمدّدت القارورة بينهما في فندق رخيص وسط مدينة لوس أنجلوس. كان ذلك يوم السبت ليلًا، في إحدى أكثر المُدن قسوةً في العالم. كان وجه هاري مدوّرًا كثيرًا وغبيًا، فيما طرف الأنف وحده يبرز إلى الخارج، وعينان تثيران الكراهيّة؛ في الواقع، كان شكلُ هاري يبعثُ على الكراهيّة، لذلك ما كان يجب النّظر إليه. ديوك كان أصغر سنًا، وأجاد الإصغاء، بابتسامات خفيفة ترتسم على شفتيه وهو يصغي. أحبّ الإصغاء؛ كان البشر أفضلَ عرضٍ بالنسبة إليه، ولم يجبوا منه رسم الدّخول. كان هاري عاطلًا وديوك هو الخادم. قضى كلاهما في السجن وسيعودان ثانية إليه. كانا على علم بذلك. لم يأبها.

كان ثلث علبة البيرة الخامسة مليئًا وكانت علب البيرة الفارغة متناثرة على الأرض لفّوا سجائرهم بأريحية من عاشوا حياة صعبة ومستحيلة قبل بلوغهم سن الخامسة والثلاثين وبقوا على قيد الحياة. عرفوا أن كلّ شيء لم يكن سوى كيس من الخراء، لكنّهم لم يتنازلوا.

قال هاري: «هل تفهم»، وأخذ نفسًا، «لقد اخترتك، يا رجل. يمكنني الوثوق فيك. لن تصاب برعب. أظن أن سيارتك يمكنها أن تفعل المطلوب. سنوزع المال بيننا بالتساوي».

قال ديوك: «حدّثني عن الأمر».

«لن تصدّق».

«حدّثني».

«حسنًا، يوجد ذهبٌ هناك، يرقد فوق الأرض، ذهبٌ حقيقيّ. كلّ ما عليك فعله هو التوجّه إلى هناك وحمله. أعلم أنّ الأمر يبدو جنونيًا، لكنّه هناك، وقد رأيته بنفسي».

«ما هو الفخّ؟»

«حسنًا، إنّه ميدان مدفعيّ تابع للجيش. يقصفون هناك طوال النهار، وأحيانًا في ساعات الليل. هذا هو الفخّ. يحتاج الأمر إلى شجاعة. لكنّ الذهب موجود هناك. ربّما اندلعت القذائف من الأرض، لا أدري. لكنّهم عادةً لا يقصفون ليلًا».

«سنذهب ليلًا».

«بالضبط. سنرفع الذّهب من الأرض وحسب. سنصبح أثرياء. تخيّل - كلّ الفرج الّذي نشتهيه».

«يبدو الأمر جيدًا».

«في حال بدأوا القصف، سنقفز في حفرة أوّل قذيفة نراها. لن يستهدفوا المكان مرّتين. إذا أصابوا الهدف، سيشعرون بالرضى. إذا فشلوا، ستكون الضّربة في مكان آخر».

«يبدو منطقيًا».

صبّ هاري بعض الويسكي. «لكن، هناك فخّ آخر».

«وهو؟»

«توجد أفاعٍ كثيرة هناك. لهذا تحتاج المسألة إلى مسدّسين. أعرف أنّك تجيد استخدام المسدّس. في الوقت الذي أحمل فيه أنا

الذهب قم أنت بمراقبة الأفاعي وفجّر رؤوسها. هناك أفاعٍ من نوع كوبرا. أعتقد أنّك الرجل الأنسب لهذه المهمّة».

«لم لا؟»

جلس الاثنان يدخّنان ويشربان، ويفكّران في الأمر.

قال هاري: «كلّ الذهب، وكلّ الفرج».

قال ديوك: «كما تعلم، من المحتمل أن تكون تلك القذائف قد فجّرت صندوقًا دفينًا قديمًا».

«لا يهمّ، المهمّ أن يكون الكنز موجودًا».

فكّر الاثنان في المسألة قليلًا.

سأل ديوك: «كيف تعرف أنّي لن أطلق عليك النار بعد أن تقوم بجمع كلّ الذهب؟»

«حسنًا، عليّ أن أجازف».

«هل تثق بي؟»

«لا أثق بأحد».

فتح ديوك علبة بيرة أخرى، صبّ مشروبًا آخر. «اللعنة، لا فائدة من ذهابي إلى العمل يوم الاثنين، صحيح؟»

«لا فائدة الآن».

«أشعر أنّي ثريّ».

«وأنا، نوعًا ما».

قال ديوك: «كلّ ما يحتاجه المرء هو بعض الحظّ، عندها سيعامله الناس معاملة الأسياد».

«أجل».

سأل ديوك: «أين يوجد هذا المكان؟»

«سترى عندما نصل».

«سنتقاسم بالتساوي؟»

«سنتقاسم بالتساوي».

«ألستَ قلقًا من احتمال إطلاقي النار عليك؟»

«لماذا تثير الموضوع باستمرار يا ديوك؟ أنا أيضًا بإمكاني أن أطلق عليك النار».

«يا إلهي، لم أفكر بالموضوع حتّى. أنت لا تطلق النار على صديقك، أليس كذلك؟»

«هل نحن أصدقاء؟»

«نعم. يمكنني أن أقول إننا أصدقاء».

«سيكون من الذهب ما يكفي ومن الفروج ما يكفي لكلينا. سننعم مدى الحياة. لا مزيد من العمل كضباط مراقبة. لا مزيد من ورديّات غسل الصحون. ستطاردنا كلّ مومسات بيفرلي هيلز. انتهت متاعبنا».

«هل تعتقد فعلًا أنّه يمكننا أن ننجح؟»

«بالتأكيد».

«أحقًا ثمّة ذهب هناك؟»

«اسمع يا رجل، لقد أخبرتك».

«حسنًا».

شرب الاثنان ودخّنا المزيد من السجائر. لم يتحدّثا. فكّر الاثنان في المستقبل. كانت تلك ليلة حارّة. بعض النزلاء أبقوا أبوابهم مفتوحة. معظمهم امتلك قارورة نبيذ.

جلس الرجال بقمصانهم الدّاخليّة، مسترخين ومتسائلين ويشعرون بالهزيمة. بعضهم كان متزوجًا، ليس زواجًا عظيمًا، لكنّهم أجادوا الشرب.

قال ديوك: «من المستحسن أن نأتي بقارورة أخرى، قبل أن يغلقوا».

«لا أملك المال».

«سأحضر أنا واحدة».

«حسنًا».

قام الاثنان وخرجا من الباب. توجّها يمينًا على طول الدهليز ثمّ إلى الخلف. كان محلّ الخمور أسفل الزقاق وإلى اليسار. في الجزء العلويّ من السلالم الخلفيّة كان هناك رجل يرتدي ملابس ملطخة ومجعدة وقد تمدّد أمام المدخل.

«هيه، هذا صديقي القديم فرانكي كانون. بالغ كثيرًا في الشرب هذه الليلة. ربما من المفضل أن أبعده عن المدخل».

رفعه هاري بقدميه وجرّه جانبًا. ثمّ انحنى فوقه.

«هل يا ترى نال منه أحدهم؟»

قال ديوك: «لا أدري. تفقده».

أخرج ديوك كلّ جيوب فرانكي. تفقّد قميصه. فتح بنطاله، تحسس خاصرتيه. كل ما عثر عليه علبة كبريت كتب عليها:

تعلّموا

التخطيط

في المنزل

آلاف الوظائف ذات الأجر العالي

في انتظاركم

قال هاري: «أفترض أن شخصًا ما قد نال منه».

نزلوا عبر السلالم الخلفيّة باتجاه الزقاق.

سأل ديوك: «هل أنت متأكد أن الذّهب موجود هناك؟»

قال هاري: «اسمع، أنت تفقدني أعصابي! هل تحسبني مجنونًا؟»

«لا».

«حسنًا، إذن، توقف عن هذا السؤال!»

دخلا محلّ الخمور. طلب ديوك خُمس قارورة ويسكي وكرتونة من علب البيرة السوداء. سرق هاري كيسًا من المكسرات. دفع ديوك لقاء ما اشتراه وغادرا المكان. عندما وصلا الزقاق، توجهت نحوهما إحدى الفتيات الصغيرات؛ في الواقع، كانت صغيرة نسبيًا على هذا المكان، كانت في الثلاثين من العمر ذات قدّ جميل، لكن شعرها لم يكن مسرّحا، وابتلعت الألفاظ قليلًا.

«ماذا يوجد معكم في الكيس؟»

قال ديوك: «أثداء قطط».

اقتربت من ديوك واحتكّت بالكيس.

«لا أريد نبيذًا. هل يوجد معك ويسكي؟»

«طبعًا، يا حلوة، تعالي».

«دعني أرى القارورة».

بدت جيدة في عينَي ديوك. كانت نحيفة وكان فستانها ضيقًا، ومؤخرة مشدودة تمامًا كما يجب. أخرج القارورة.

قالت: «حسنًا، دعونا نذهب».

سارا على طول الزقاق، فيما الفتاة تتوسطهما. كانت مؤخرتها تعلو وتهبط أثناء سيرها. أمسكها هاري وقبّلها. قطعته.

صرخت: «يا ابن القحبة! اتركني!»

قال ديوك: «ستخرّب كلّ شيء يا هاري! افعلها مرّة أخرى وسأقتلكَ ضربًا!»

«لا يمكنك أن تقتلني ضربًا».

«حاول أن تفعلها مرّة أخرى!»

سارا على طول الزقاق وصعدا الدرج، فتحا الباب. نظرت الفتاة إلى فرانكي كانون وهو ممدّد هناك، لكنها لم تقل شيئًا. دخلا الغرفة. جلست الفتاة ورفعت ساقًا فوق ساق. كانت ساقاها جميلتين.

قالت: «اسمي جيني».

«أنا ديوك. وهذا هاري».

ابتسمت جيني وتناولت مشروبها.

«الرجل الذي أسكن معه ابن قحبة، أبقاني عارية، واحتفظ بملابسي في الخزانة المقفلة. مكثتُ هناك أسبوعًا. انتظرت إلى أن فقد وعيه، أخرجت منه المفتاح، ارتديت هذا الفستان وهربت».

«هذا فستان لطيف».

«لا بأس به».

«هو يبرز مفاتنك».

«شكرًا. اسمعا، ماذا تفعلان؟»

«نفعل؟» سأل ديوك.

«نعم، أقصد، ممّ تعتاشون؟»

قال هاري: «نحن منقّبا ذهب».

«بربّك، لا تخدعني».

قال ديوك: «هذا صحيح، نحن منقّبا ذهب».

قال هاري: «وقد نجحنا. سنصبح أثرياء في غضون أسبوع».

ثمّ نهض هاري ليتبوّل. كانت المبولة في طرف الدهليز. عندما غادر هاري قالت جيني: «أريد أن أضاجعك أنت أولًا، يا حبيبي. أنا لستُ معجبةً به كثيرًا».

«لا بأس»، قال ديوك.

صبّ ثلاث كؤوس أخرى من المشروب. عندما عاد هاري أخبره ديوك.

«سوف تضاجعني أنا أولًا».

«من قال؟»

قال ديوك: «كلانا».

قالت جيني: «بالضبط».

قال ديوك: «أعتقد أنّه علينا أن نصطحبها معنا».

قال هاري: «أولًا، دعنا نرى كيف تضاجع».

قالت جيني: «أنا أهوسُ الرّجالَ. أجعلهم يصرخون. أمتلك أضيق فرج في ولاية كاليفورنيا».

قال ديوك: «حسنًا. سنفحص».

«ناولني مشروبًا آخر»، قالت بعد أن أفرغت ما كان في كأسها.

ملأ ديوك لها الكأس من جديد. «أنا أيضًا أمتلك شيئًا، يا حلوة، سأمزّقك من الدّاخل!»

قال هاري: «فقط إن كنت ستحشر قدمك هناك».

ابتسمت جيني وشربت فقط. أنهت مشروبها.

قالت لديوك: «هيّا. تعالَ نفعلها».

اتجهت جيني نحو السرير وخلعت فستانها. ارتدت سروالًا تحتيًا قصيرًا أزرق وصدريّة ورديّة باهتة معقودة من الخلف بواسطة دبّوس آمن. كان على ديوك أن يفكّ الدّبوس.

سألت ديوك: «هل سيشاهد؟»

قال ديوك: «يمكنه أن يفعل إذا أراد، لا آبه».

قالت جيني: «حسنًا».

قاما بترتيب الملاءات معًا. كانت هناك بضع دقائق من الحميميّة والمناورة فيما هاري يجلس ويشاهد. كانت البطانية ملقاة على الأرض. كلّ ما نجح هاري برؤيته هو حركة من تحت ملاءة وسخة جدًا.

ثمّ اعتلاها ديوك. رأى هاري مؤخّرة ديوك تعلو وتهبط من تحت الملاءة.

قال ديوك: «أوه اللعنة!»

سألته جيني: «ماذا حصل؟»

«لقد انزلق! ظننتك قلت إنّك تملكين صندوقًا ضيّقًا!»

«سأدخله! لا أعتقد أصلًا أنّك كنت في الداخل!»

قال ديوك: «كنت داخل شيء ما!»

ثمّ علت وهبطت مؤخرة ديوك من جديد. ما كان عليّ أن أخبر ابن القحبة عن أمر الذهب، فكّر هاري. الآن معنا هذه العاهرة. قد يتّحدان معًا ضدّي. طبعًا، في حال قتله، قد تستلطفني. ثمّ بدأت جيني تتأوّه وتتكلّم. «أوه، يا حبيبي، يا حبيبي! أوه، يا إلهي، يا حبيبي، يا إلهي!»

يا له من هراء، فكّر هاري.

نهض واتّجه صوب النافذة الخلفيّة. كان الجزء الخلفيّ للفندق بجانب الطريق الفرعيّ على الطريق السريع لهوليوود. تأمل الأضواء الأمامية والخلفية للسيارات. لطالما أدهشه وجود أشخاص يهرعون للسفر في اتجاه واحد فيما آخرون يهرعون للسفر في الاتجاه الآخر.

لا بدّ أن أحدهم على خطأ، أو أنّ اللعبة قذرة. عندها تناهى إلى مسامعه صوت جيني:

«سأنتشي! يا الهي! سوف...».

هراء، فكّر هاري، واستدار ليشاهدهما. بذل ديوك مجهودًا. لاحَ لمعان في عينيّ جيني؛ حدّقت في السّقف، مباشرة نحو ضوء المصباح المكشوف؛ بعينين تلمعان، أو هكذا بدتا، حدّقت فيما وراء أذن ديوك اليسرى...

لعلّي أضطرّ لإطلاق النار عليه في ميدان المدفعيات هذا، فكّر هاري. خصوصًا وأنّ لها صندوقًا ضيّقًا.

ذهب، كلّ هذا الذّهب.

الطّاغية

إذًا، نهضتُ عن سرير الموت وخرجت من المستشفى الإقليميّ ووجدت عملًا كموظف إرساليات. كان يوما السبت والأحد يومَي إجازتي، وتحدّثت في الموضوع مع ماج في أحد السّبوت:

«اسمعي، يا حبيبتي، لست في عجلة للعودة إلى القسم الخيريّ. عليّ أن أجد شيئًا يتداخل مع الشرب. كما هو الحال اليوم. لا شيء أفعله سوى السّكر. وأنا أكره السينما. حدائق الحيوانات شيء أحمق. لا يمكنني أن أضاجع طيلة اليوم. هذه مشكلة».

«هل كنت مرة في مسار سباقات؟»

«ما هذا؟»

«يطلقون خيولًا لتركض. وأنت تراهن عليها».

«هل يوجد مسار كهذا مفتوح اليوم؟»

«هوليوود بارك».

«هيا نذهب».

أرتني ماج كيف أصل إلى هناك. كان ذلك قبل ساعة من السباق الأول، وكان موقف السيارات على آخره تقريبًا. اضطررنا للركن ما يقارب مسافة نصف ميل عن مدخل المسار.

قلت: «يبدو وكأن العديد من الأشخاص يأتون إلى هنا».

«نعم صحيح».

«ماذا نفعل عندما نصل إلى هناك؟»

«نراهن على خيل؟»

«أيّ خيل؟»

«الخيل الذي يروق لك».

«هل يمكن كسب المال؟»

«أحيانًا».

دفعنا عند الدخول وكان هناك فتية لوحوا بالأوراق صوبنا: «احصلوا على الرابحين هنا! هل تحبون المال؟ هنا ستحصلون على الرهان الرابح!»

كان ثمة كشك في داخله ٤ أشخاص. ٣ منهم باعوا تذاكرهم مقابل ٥٠ سنتًا، والرابع مقابل دولار. طلبت مني ماج أن أشتري برنامجين واستمارة سباق. قالت إن الاستمارة توفّر المعلومات حول عمل الخيول. ثم شرحت لي عن رهانات الفوز، والمكان والوصول، والرهانات العامة.

سألتُ: «هل يبيعون هنا البيرة؟»

«آه نعم. ولديهم حانات أيضًا».

عندما دخلنا اكتشفنا أن المقاعد مشغولة. وجدنا مقعدا في الخلف في منطقة تشبه المتنزه. اشتريتُ بيرتين وفتحت استمارة السباق. كانت هناك قائمة أرقام فحسب.

قالت: «أنا أراهن على أسماء الخيول فقط».

«شدّي تنورتك إلى أسفل. الجميع ينظرون إلى مؤخرتك».

«أوبس! آسفة، يا حبيبي».

«هاك ٦ دولارات. هذا مبلغ الرهانات لليوم».

قالت: «ما أروع قلبك يا هاري».

حسنًا، ثم فحصنا وفحصنا، أقصد، فحصت، وشربنا المزيد من البيرة ثم مشينا أسفل المدرّج باتجاه انطلاقة المسار. انطلقت الخيول باتجاه السباق الأول. كان يعتليها أشخاص صغار يرتدون قمصان حرير صارخة. بعض المشجعين صرخوا متفوهين بأشياء باتجاه الفرسان، لكن الفرسان كانوا مرتاحين جدًا. تجاهلوا المشجعين وحتى بدوا يشعرون بالملل بعض الشيء.

«هذا ويلي شومايكر»، قالت مشيرة نحو أحدهم. بدا ويلي شومايكر وكأنه على وشك أن يتثاءب. وأنا أيضًا شعرت بالملل. كان هناك كم كبير من البشر وشيء ما فيهم كان مثبطا.

قالت: «الآن نبدأ الرهان».

قلت لماج أين سألتقي بها ثم وقفت في أحد الطوابير التي تحقق فوزًا بدولارين. كانت كلّ الطوابير طويلة، وراودني إحساس بأن الناس لم يرغبوا في الرهان. بدوا قلقين. لحظة اشتريت تذكرة قال المذيع: «إنهم عند البوابة!»

وجدت ماج. كان سباق الميل وكنا نحن في خط النهاية.

«راهنتُ على **الناب الأخضر**»، أخبرتها.

قالت: «وأنا أيضًا راهنت عليه».

شعرت أننا على وشك الفوز. مع اسم كهذا، وحقيقة أنه فاز في السباق الأخير، بدا لي أننا سننجح. ومع رِهان ٧ إلى ١.

وثبوا من البوابة وبدأ المذيع ينادي. عندما نادى «**ناب أخضر**» متأخرًا، صرخت ماج.

«ناب أخضر» صرخت.

لم أستطع أن أرى شيئًا. كان الناس في كل اتجاه. كانت هناك نداءات أخرى وبدأت ماج تقفز وتصرخ «ناب أخضر! ناب أخضر!»

الجميع صرخوا وقفزوا. لم أقل شيئًا. ثمّ مرت الخيول من جانبنا.

«من الفائز؟» سألت.

«لا أعرف»، قالت ماج. «أليس هذا مثيرًا؟»

«نعم».

ثمّ علّقوا الأرقام. الخيل المحبوب بـ ٥/٧ قد فاز، وخيل رهان ٩/٢ وصل إلى المرتبة الثانية و ٣/١ وصل إلى المرتبة الثالثة.

مزّقنا التذاكر وعدنا إلى مقعدنا.

نظرنا إلى استمارة السباق التالي.

«تعالي نبتعد عن خط النهاية حتى نتمكّن من مشاهدة شيء في المرة القادمة».

«حسنًا»، قالت ماج.

اشترينا بيرتين.

قلت: «كلّ هذه اللعبة سخيفة. كلّ هؤلاء الحمقى الّذين يقفزون ويصرخون، كلّ منهم ينادي باسم خيلٍ آخر. ماذا حصل للناب الأخضر؟»

«لا أدري. كان اسمه جميلًا».

«لكن هل الخيول تَعرف أسماءها؟ هل هذا يجعلها تركض بشكل مختلف؟»

«أنت غاضب لأننا خسرنا في السباق. هناك سباقات أخرى».

كانت محقّة. كانت هناك سباقات أخرى.

واصلنا الخسارة. كلّما قصرت قائمة السباقات، صار الناس

أكثر عصبية، وحتى أكثر يأسًا. بدوا مندهشين، قبيحين. دفعوك، اصطدموا بك، داسوا على قدمك، ولم يقولوا ولو مرة «عفوًا» أو «آسف».

راهنت تقريبًا بكلّ ما أملك من المال، لمجرد وجودي هناك. نفذت دولارات ماج الستة بعد السباقات الثلاثة الأولى ولم أعطها المزيد. رأيت أن فوزها أمر صعب. بغض النظر عن الخيل الذي اختارته، دائمًا كان هناك خيل آخر يربح. لم أعر اهتمامًا للاحتمالات.

في السباق الخاص راهنت على خيل يدعى **كليرماونت III**. فاز في السباق الأخير بسهولة، وحصل على تخفيض قدره ١٠ باوند عن سباق «المعاقين». المرة نزلت أنا وماج إلى المنحنى الأخير في المسار، ولم تكن هناك آمال كبيرة بالفوز. نظرت إلى اللوحة وكان ك **كليرماونت III** ٢٥ لـ ١. أفرغت كأس البيرة ورميتها. وصلوا حول المنحنى وأعلن المذيع «ها هو **كليرماونت III** قادم!»

عندها قلت: «أوه، كلا!»

قالت ماج: «راهنتَ عليه؟»

قلت: «نعم».

اجتاز **كليرماونت** ٣ خيول أمامه وانطلق إلى الامام وكأن المسافة ٦ أطوال. كان لوحده تمامًا.

قلت: «يا إلهي، لقد راهنتُ عليه».

«أوه، هاري! هاري!»

قلت: «هيا نذهب ونشرب شيئًا».

وجدنا حانة وطلبنا مشروبًا. لم يكن المشروب بيرة هذه المرة. كان ويسكي.

قالت ماج للسّاقي «لقد راهن على **كليرماونت III**».

قال: «نعم».

قلت: «نعم»، وحاولتُ أن أتصرّف وكأنّي شخص متمرّس، من دون أن أعرف كيف يبدو المتمرّسون بالضبط.

استدرت لأشاهد اللوحة. ربح **كليرماونت** ٥٢,٤٠.

قلت لماج: «أعتقد أنه يمكننا الفوز في هذا السباق، هل تفهمين، إذا راهنّا على الخيل الرابح، فلا حاجة لأن نفوز في كلّ سباق. فوز واحد أو اثنان، هذا كل ما نحتاجه».

قالت ماج: «صحيح تمامًا، صحيح تمامًا».

ناولتها دولارين وفتحنا الاستمارة. شعرت بالثقة، قرأت أسماء الخيول، ونظرت إلى اللوحة.

«ها هو»، قلت. «**لاكي ماكس**. مشار إليه الآن في سطر ٩ إلى ١. يجب أن تكون مجنونًا حتى لا تراهن على **لاكي ماكس**. واضح أنه الأفضل، وهو على ٩ إلى ١. هؤلاء الأشخاص حمقى».

توجهنا إلى الخزينة واستلمت ال ٥٢,٤٠ دولارا خاصّتي.

ثم راهنت على **لاكي ماكس**. من أجل المتعة فقط اشتريت تذاكر فوز بدولارين.

كان ذلك سباق ميل وستة أعشار. ونهاية وشيكة. من المؤكد أنّه كانت هناك ٥ خيول أخرى على خط النهاية. انتظرنا الصورة. كان **لاكي ماكس** رقم ٦. عرضوا صورة **لاكي ماكس** الخيل الرابح.

٦.

يا إلهي العليّ. **لاكي ماكس**.

جُنّت ماج، احتضنتني وقبّلتني، وثبت من مكانها.

هي أيضًا راهنت على الخيل. فاز بـ ١٠ لـ ١. كان مجموع

المكسب ٢٢,٨٠ دولارًا. أريتُ ماج تذكرة الفوز الأخرى. صرخت. عدنا إلى الحانة. كانوا لا يزالون يقدّمون المشروبات. تمكّنا من تناول مشروبين بالضبط قبل أن يقفلوا.

قلت: «تعالي ننتظر تضاؤل الطوابير، ثم نصرف مكسبنا».

«هل تحب سباقات الخيل يا هاري؟»

قلت: «يمكن تحقيق الفوز فيها، بالتأكيد يمكن تحقيق الفوز».

جلسنا هناك والمشروبات الباردة في أيدينا وشاهدنا الحشود صاعدين هبطين في الأنفاق في طريقهم إلى موقف السيارات.

قلت لماج: «برَبّك، اسحبي جواربك إلى أعلى، تبدين مثل امرأة غسّالة».

«أوبس! آسفة يا حبيبي!»

انحنت وأخذت أتأملها وأفكر في نفسي أني قريبًا سأسمح لنفسي بامرأة أفضل منها قليلًا.

أها.

السّافل

تزوّج مارتن بلانتشارد مرّتين، وطلّق مرتين، وعاش مع العديد من النساء. هو الآن في الخامسة والأربعين من عمره، يسكن لوحده في الطابق الرابع في المبنى السكنيّ، وللتوّ أقيل من وظيفته السابعة والعشرين نظرًا إلى التغيّبات واللامبالاة.

عاش من مخصصات البطالة. كانت متطلباته بسيطة - كثيرًا ما أحبّ السّكر لوحده قدر الإمكان، والنوم ساعات كثيرة والبقاء في شقته، وحيدًا. شيء آخر غريب في مارتن بلانتشارد - لم يكن يومًا وحيدًا. كلّما نجح في الانعزال عن الجنس البشري أطول فترة ممكنة، شعر بالراحة. الزواج، الحياة المشتركة، العلاقات الغراميّة، كلّ هذا جعله يفكّر بأنّ الوصل الجنسيّ لا يبرّر ما تطالب به الأنثى كمقابل. الآن يعيش بدون أنثى ويستمني في أوقات متقاربة. انتهت دراسته مع أول عام في الثانويّة، إلا انه عندما استمع إلى مذياعه- أقرب علاقاته على الإطلاق- كان يصغي إلى السيمفونيات فقط، وكان يفضّل ماهلر.

في صباح أحد الأيام استيقظ في وقت مبكّر نسبيًا- نحو الساعة ١٠:٣٠ صباحًا- بعد ليلة شرب من العيار الثقيل. نام مرتديًا فانيلّته، وبنطاله القصير وجواربه؛ نهض من سريره المتسخ جدًا، توجه نحو

المطبخ ونظر في الثلاجة. كان محظوظًا. فقد كان هناك قارورتان من نبيذ البورت، ولم يكن نبيذًا رخيصًا.

ذهب مارتين إلى المرحاض، تغوّط وتبوّل، ثم عاد إلى المطبخ وفتح قارورة البورت الأولى، ملأ كأسًا. جلس إلى طاولة المطبخ، لأنها كانت مرصادًا جيدًا على جهة الشمال. كان الوقت صيفًا، وحارًا وكسولًا. في الأسفل كان ثمّة بيت صغير سكن فيه مسنّان. كانا في عطلة. رغم صغر البيت، فُرشت أمامه قطعة من العشب الطويل والأخضر، المُعتنى به جيّدًا، بكلّ خضرته. أعطى ذلك مارتن إحساسًا غريبًا بالسكينة.

وبما أنّ الوقت كان صيفًا، لم يكن الأولاد في المدرسة، وعندما أطلّ مارتن على العشب الطويل الأخضر وهو يشرب نبيذ البورت البارد الجيّد، لاحظ فتاة صغيرة وولدَين يلعبان لعبة. كان يبدو وكأنهم يطلقون النار باتّجاه بعضهم. **باو! باو!** تعرّف مارتن إلى الفتاة. كانت تسكن في الباحة الموجودة على طول الشارع مع أمها وأختها الكبرى. الذكور في العائلة إما أنهم رحلوا أو ماتوا. كانت الفتاة الصغيرة- كما لاحظ مارتن- وقحة صغيرة - وكانت دائمًا تخرج لسانها للناس وتقول لهم كلامًا مقرفًا. لم يعرف كم تبلغ من العمر. كانت بين السادسة والتاسعة. كان يراقبها منذ بداية الصيف. عندما مرّ مارتن من جانبها على الرصيف بين الحين والآخر، بدت دومًا وكأنها **تخاف** منه. لم يتمكّن يومًا في معرفة السبب.

وفيما كان يراقبها، لاحظ أنها ترتدي جاكيت بحّار، أبيض اللون، وفوق الجاكيت كانت هناك أحزمة تربط تنورة حمراء **قصيرة** جدًا. عندما زحفت فوق العشب، شدّت الأحزمة ما تبقّى من التنورة القصيرة جدًا، وانحسرت كاشفةً سروالها التحتيّ المثير- أحمر

اللون، بدرجة أخفّ حمرة من التنورة. وعلى السروال القصير كانت هناك متوالية صغيرة من التخريمات الحمراء.

وقف مارتن يشرب النبيذ، ويتأمل طيلة الوقت السروال الداخليّ الصغير للفتاة الزاحفة فوق العشب. اصلبّ قضيبه سريعًا. لم يدرِ ما يفعل. دار في المطبخ، عاد إلى الصالون، ثم وجد نفسه في المطبخ ثانية، ينظر. هذا السروال التحتيّ. تلك التخريمات.

يا إلهي تحت الشمس المكشوفة، لم يحتمل هذا!

صبّ مارتن لنفسه كأسًا أخرى كاملة من النبيذ، وشربه بجرعة واحدة. ثمّ نظر ثانية. هذا السروال التحتيّ كشف أكثر من العادة! يا إلهي!

أخرج قضيبه من بنطاله القصير، بصق في كفّ يده اليمنى وبدأ يفرك قضيبه. يا إلهي، كان ذلك رائعًا! لم تثره أيّ امرأة بالغة إلى هذه الدرجة! كان قضيبه صلبًا أكثر من أيّ وقت مضى، بنفسجيًا وقبيحًا. شعر مارتن وكأنه يغوص عميقًا في سرّ الحياة. استند إلى عتبة الشباك، يفرك ويتأوه، وينظر إلى تلك المؤخرة الصغيرة المغطاة بالتخريمات.

ثم قذف.

قذف على كلّ أرضية المطبخ.

ذهب مارتن إلى المرحاض، تناول ورق تواليت. مسح الأرضيّة، جمع الكتلة اللزجة وألقى بالمنيّ في المرحاض. ثمّ جلس، وصبّ لنفسه المزيد من النبيذ.

الحمد لله، فكّر، انتهى الأمر. خرج من رأسي. أنا حرّ من جديد.

واصل النظر جهة الشّمال، ورأى مرصد غريفيث-بارك. أعلى هضاب هوليوود الزرقاء-الرمادية. كان ذلك لطيفًا. كان يعيش في مكان لطيف. لم يطرق أحد بابه. قالت زوجته الأولى إنه عصابي لكنه ليس مجنونًا. حسنًا، فلتذهب زوجته الأولى إلى الجحيم. وكلّ نسائه. صار الآن يدفع إيجار الشقة، وتركه الناس في حاله. شرب نبيذه على مهلٍ.

تأمل الفتاة الصغيرة والولدين وهما يواصلان لعب لعبتهم. لف سيجارة. ثم فكر، علي أن أتناول بيضتين مسلوقتين. لكنه لم يكن مولعًا بالطعام. لم يكن مولعًا بالطعام يومًا.

نظر مارتن بلانتشارد خارج النافذة. كانوا لا يزالون منهمكين في لعبهم. زحفت الفتاة الصغيرة فوق العشب. **باو! باو!**

يا لها من لعبة مملة.

بدأ قضيبه يصلب من جديد.

اكتشف مارتن أنه شرب قارورة كاملة من النبيذ وفتح قارورة أخرى. انفتل قضيبه إلى أعلى مثل جسم غريب.

وقحة صغيرة. تدلّي لسانها. وقحة صغيرة، تزحف فوق العشب.

شعر مارتن دائمًا بالقلق كلّما وصل إلى قارورة النبيذ الأخيرة. وهو يحتاج إلى السيجار. أحبّ لفّ سجائره. لا يوجد مثيل للسيجار الجيد. سيجار جيد بسعر ٢٧ سنتًا للزوج.

بدأ يرتدي ملابسه. نظر إلى وجهه في المرآة- زغبٌ منذ ٤ أيام. لا يهمّ. المرة الوحيدة التي حلق فيها ذقنه، عندما نزل ليتقاضى مستحقّات البطالة. ثم ارتدى نفس الملابس الوسخة، فتح الباب ونزل بالمصعد. عندما وصل إلى الرصيف، بدأ يسير باتجاه محلّ

الخمور. انتبه إلى أن الأولاد فتحوا أبواب الكراج ولعبوا في الداخل، الفتاة والولدين: باو! باو!

وجد مارتن نفسه يمشي في الطريق باتجاه الكراج. كانوا في الداخل. دخل إلى الكراج وأغلق الأبواب.

كان المكان مظلمًا في الداخل. كان هناك معهم. صرخت الفتاة الصغيرة.

قال مارتن، «اخرسوا الآن، ولن يتأذّى أيّ منكم! إذا أحدثتم ضجة، سوف تتأذّون، أعدكم!»

«ماذا ستفعل يا سيّد؟» سمع مارتن صوت أحد الولدين.

«اخرس! اللعنة، قلت لكم اخرسوا!»

أشعل عود ثقاب. ها هي- لمبة وحيدة بسلك طويل موصول بها. شد مارتن السلك. اشتعل من الضّوء ما يكفي تمامًا. وكما في الحلم، رأى خطّافًا صغيرًا داخل أبواب الكراج. أغلق الأبواب بمساعدة الخطّاف.

نظر من حوله.

«حسنًا! أيّها الفتيان، قفا في الركن، ولن تتأذيا! اذهبا الآن! بسرعة!»

أشار مارتن بلانتشارد نحو الركن.

ذهب الأولاد إلى هناك.

«ماذا ستفعل يا سيّد؟»

«قلت لكم اخرسوا!»

الوقحة الصغيرة بجاكيت البحارين الصغير خاصّتها والتنورة الحمراء القصيرة والسروال التحتي بالتخريمات، وقفت في الركن الآخر.

بدأ مارتن يتحرك صوبها. ركضت يسارًا، ثم يمينًا. في كل مرة اقترب منها، علقت أكثر في ركنها.

«اتركني! اتركني! أيها الضّرطة العجوز البشعة، اتركني في حالي!»

«اخرسي! اذا صرخت، سأقتلك!»

أمسك بها مارتن أخيرًا. لم يكن شعرها ممشّطًا، وكان قبيحًا ومسترسلًا، وكان وجهها شرّيرًا بالنسبة إلى فتاة صغيرة. ثبّت قدميها بين قدميه، مثل ملزمة، ثم مال نحوها وألصق رأسه الكبير برأسها الصغير. قبّل فمها ومصّه مرارًا فيما ضربت قبضتا يدها على صدره. شعر وكأنّ قضيبه بحجمه تقريبًا. واصل التقبيل، وهو يرى تنورتها تسقط، ويرى سروالها التحتيّ المخرّم.

«إنه يقبّلها! انظر، إنه يقبّلها!» سمع مارتن أحد الأولاد يقول لصديقه في الرّكن.

«نعم» قال الثاني. نظرت عينا مارتن إلى عينيها وكان ذلك التواصل بين جحيمها وجحيمه. قبّل، بجنون، جوعه أعمق من البحر، عنكبوت يقبّل ذبابة. بدأ يتحسس سروالها التحتي.

أوه، يا إلهي، أنقذني، فكر. لا شيء أجمل من هذا، الأحمر-الوردي، وأكثر من ذلك -القبح- زنبق مختزنٌ أمام قذارته المطلقة. لم يستطع أن يمنع نفسه.

أنزل مارتن بلانتشارد سروالها التحتيّ، لكنه في الوقت نفسه لم يستطع التوقّف عن تقبيل فمها الصّغير ذاك، وكانت هي في حالة إغماء، توقفت عن ضربه، لكنّ حجمه مقابل حجمها زاد الأمر صعوبةً. كان التصّرف أخرق للغاية، ومن فرط الشهوة لم يكن قادرًا

على التوقف والتفكير. لكن قضيبه كان في الخارج- كبيرًا، بنفسجيًا، قبيحًا، مثل جنون مقرف، يهرب إلى سبيله، ولا مكان يذهب إليه.

طوال تلك المدة - تحت اللمبة الصغيرة - سمع مارتن أصوات الأولاد يصرخون «انظر! انظر! لديه هذا الشيء الكبير ويحاول أن يولجه في فتحتها!»

«سمعت أنّهم بهذه الطريقة ينجبون الأطفال!»

«إنهم على وشك إنجاب طفل هنا؟»

«يبدو ذلك».

اقترب الولدان، تأملاهما. واصل مارتن تقبيل الوجه وهو يحاول أن يولج رأس القضيب في الداخل. لم ينجح. لم ينجح في التفكير. كان غارقًا في الشبق وحسب. رأى كرسيًا قديمًا بمسند مستقيم، تنقصه عارضة واحدة. سحب الفتاة صوب الكرسي بينما ظلّ يقبل ويقبل، ويفكر في الوقت وفي أطراف الشعر القبيح، وفي الفم الملتصق بفمه.

هذا هو.

وصل مارتن إلى الكرسي، جلس عليه، ما زال يقبّل الفم الصغير مرارًا، فتح ساقيها. كم كان عمرها الحقيقيّ؟ هل سينجح؟

كان الأولاد قريبين. نظروا.

«أدخل الجزء الأمامي».

«نعم. انظر. إنهما على وشك إنجاب طفل!»

«لا أدري».

«انظر إليه الآن! لقد أولج نصفه تقريبًا!»

«ثعبان!»

«نعم! ثعبان!»

«انظر! انظر! هو يحرّكه إلى الامام وإلى الخلف!»

«نعم. لقد أولجه أكثر!»

«أولجه كلّه!»

هو داخل جسدها الآن، فكّر مارتن. يا إلهي، لا بدّ أنّ قضيبي نصف طول جسدها!

طالما كان يستند إلى الكرسي، وفي الوقت نفسه يقبّل وينيك، لم يهمه شيء، كان قادرًا على فصل رأسها.

ثم قذف.

كانا معلّقَين فوق ذلك الكرسي تحت اللمبة. كانا معلّقين.

مدّد مارتن جسدها على أرضية الكراج. فتح الأبواب. خرج. عاد إلى شقته. ضغط على زر المصعد. خرج منه عند بلوغ طابقه، توجّه إلى الثلاجة، أخرج قارورة، صب كأسًا من نبيذ البورت، جلس، وانتظر يراقب.

سرعان ما تجمهر الناس من كل صوب. عشرون، خمسة وعشرون، ثلاثون شخصًا. خارج الكراج. داخل الكراج.

وصلت سيارة الإسعاف.

راقب مارتن وهم يسحبونها إلى الخارج على المحفة. ثم توارت سيارة الإسعاف. المزيد من الناس فقط. شرب هو النبيذ. صبّ لنفسه المزيد.

ربما لا يعرفون من أكون، فكر. نادرًا ما أخرج من هذا المكان.

لكن بشكلٍ ما، لم يكن هذا هو الحال. لم يقفل الباب. دخل شرطيان إلى الشقة. كانا ضخمين، وسيمين. كاد يستلطفهما.

«حسنًا أيّها المقرف!»

ضربه أحدهما في وجهه بقبضته. عندما وقف مارتن ليمدّ يديه إلى القيود، ضربه الآخر بقبضته في بطنه. سقط مارتن على الأرض. لم ينجح في التنفّس أو الحركة. أنهضوه. ضربه الآخر في وجهه مرة أخرى.

كان الناس في كل مكان. لم ينزلاه عبر المصعد. سارا، ودفعاه نحو الدرج.

وجوه وجوه وجوه خارج الشقة وجوه في الشارع.

كانت سيارة الشرطة غريبة جدًا - كان هناك شرطيان في الأمام وشرطيان جلسا معه في المقعد الخلفي. تلقى مارتن معاملة خاصة.

«كنت سأقتل ابن عاهرة مثلك من دون أن أحاول حتى...».

بدأ مارتن يبكي بلا صوت، كانت دموعه تسيل على خدّيه بجنون.

«لديّ ابنة في الخامسة من العمر»، قال أحد الشرطيين في الخلف. «كنت سأقتلك من دون حتى أن أفكر في ذلك!»

قال مارتن: «لم أستطع أن أوقف نفسي، أقول لكم، أقسم بالله، لم أستطع أن أوقف...».

بدأ الشرطيّ بضرب مارتن على رأسه بهراوته. لم يوقفه أحد. سقط مارتن إلى الامام، تقيأ نبيذًا ودمًا، قوّمه الشرطيّ، ضربه في وجهه، كسر معظم أسنانه الأمامية.

ثم تركوه لمدة من الوقت، متّجهين إلى قسم الشرطة.

مَقتل ريمون فاسكويز[1]

قرعا جرس الباب. كانا أخوَين، لينكولن، ٢٣ عامًا، وأندرو، ١٧ عامًا.

بلغ الباب بنفسه.

كان هناك. ريمون فاسكويز، نجم الأفلام الصامتة القديم وبداية السينما الصّوتية. صار الآن في الستينيات من عمره، لكنه تميّز بنفس المظهر الرّقيق. في تلك الأيام، كان شعره، على الشاشة وخارجها، مدهونًا بالفازلين ومسرّحًا إلى الخلف، قويًا. ومع الأنف الطويل الضيق والشارب الصغير، والطريقة التي نظر فيها إلى عيون النساء بعمق، كان ذلك ببساطة أمرًا مبالغًا. لُقّب بـ«العاشق الكبير». أغمي على النساء من رؤيته على الشاشة. «أغمي عليهن»- هكذا زعم نقاد

(١) هذه قصّة من نسج الخيال، وكلّ حدث واقعيّ شبيه بأحداثها لم يخطر في بال الكاتب وهو يبدع الشخصيّات المتورّطة وغير المتورّطة. بكلمات أخرى، الذهن، الخيال، المواهب الإبداعيّة، تداعت بحريّة، وذلك يعني إبداعاً، يتأسس على ويغتذي من حياة نصف قرن إلا عام، بين ظهراني البشر. والقصة لا تنحصر في حدث واحد وحيد، أو أحداث معينة، قصص من جرائد، ولم يُكتَب للمسّ، أو للوصم، أو للإجحاف بأحد رفاقي البشر المتورّطين في ظروف شبيهة لتلك الظروف الواردة في القصّة. (بوكوفسكي)

السينما. لكن في الواقع، كان ريمون فاسكويز مثليًا. أصبح شعره الآن أبيض مهيبًا، وشاربه كثًا أكثر.

كانت ليلة باردة في كاليفورنيا، وكان بيت ريمون منعزلًا وسط منطقة جبلية. ارتدى الفتية السراويل الجيشية وارتدت الفتيات التشيريتات القصيرة البيضاء. كانوا عضليين للغاية وملامح وجوههم لطيفة جدًا، لطيفة واعتذارية.

كان لينكولن هو المتكلم. «قرأنا عنك، يا سيد فاسكويز. آسف لإزعاجك، لكننا معنيون جدًا بنجوم هوليوود، وعرفنا مكان سكناك، ومررنا من هنا فلم نتمالك أنفسنا عن قرع جرسك».

«أليس الطقس باردًا في الخارج، أيها الفتية؟»

«نعم، نعم، بارد في الخارج».

«هلّا تفضلتما بالدخول للحظة؟»

«لا نريد إزعاجك، لا نريد أن نقطع عليك شيئًا».

«لا بأس. رجاء، تفضلا. أنا وحدي».

دخل الفتيان. وقفا في مركز الغرفة، وبدا عليهما الإحراج والاضطراب.

«آه، رجاء، اجلسا!» قال ريمون. أشار ناحية الأريكة. سار الفتيان، جلسا، بصلابة. اشتعلت نار خفيفة في الموقد. «سأحضر لكما شيئًا يدفئكما. لحظة، رجاء».

عاد ريمون بنبيذ فرنسي جيد، فتح القارورة، غادر المكان، ثمّ عاد ومعه ثلاث كؤوس. صبّ ثلاث كؤوس.

«اشربا قليلًا. هذا نبيذ جيّد».

أفرغ لينكولن كأسه بسرعة. أندرو، الذي كان ينظر إليه، فعل الشيء نفسه. ملأ ريمون الكؤوس من جديد.

«هل أنتما أخوان؟»

«نعم».

«هذا ما خلته».

«أنا لينكولن. هذا أخي الأصغر، أندرو».

«آه، نعم. يمتلك أندرو وجهًا ناعمًا جدًا وساحرًا. وجهًا حزينًا. فيه أيضًا شيء من القسوة. ربما القدر الدقيق من القسوة. اممم، لعلي أنجح في إدخاله إلى السينما. ما زال لديّ تأثير، أنتما تعرفان».

سأل لينكولن: «ماذا عن وجهي يا سيّد فاسكويز؟»

«أقلّ نعومةً، وأكثر قسوة. قاسٍ جدًا إلى حدّ أنّ به جمالًا شبه حيوانيّ؛ الوجه، وكذلك... جسدك. اعذرني، ولكنّ بنية جسدك مثل غوريلا لعينة حلقت معظم شعرها. لكن... أنت تروق لي، أنت تشعّ... شيئًا ما».

قال أندرو، متحدثا لأول مرة: «لعله الجوع، للتو وصلنا البلدة. قدنا كل الطريق من كانزاس. لقد تلفت الإطارات. ثمّ ألقينا بالكبّاس اللعين. أفرغ ذلك كل أموالنا - العجلات والتصليحات. السيارة مركونة في الخارج الآن- طراز بلاماوث ٥٦- نحن حتى لا نستطيع التخلص منها لقاء عشرة دولارات».

«أنتما جائعان!»

«بالطبع!»

«انتظرا، بربّكما، سأحضر لكما شيئًا. سأعدّ لكما شيئًا. حاليًا، اشربا!»

ذهب ريمون إلى المطبخ.

رفع لينكولن القارورة، ارتشف منها لمدّة من الوقت. ثمّ ناولها لأندرو: «أفرغها».

أنهى أندرو النبيذ بالضبط في اللحظة التي عاد فيها ريمون بصينيّة كبيرة - الزيتون المحشو، الجبن، السلامي، البسكويت الخفيف، البصل الأخضر، شرائح لحم الخنزير، وبيض بالحشو.

«أوه النبيذ! أنهيتموه! رائع!»

غادر ريمون المكان، وعاد بقارورتين باردتين. فتح كلتيهما. تلقّف الفتيان الأكل. لم يتطلب الأمر وقتًا منهما. أفرغا الصّحن.

ثمّ انتقلا إلى النبيذ.

«هل عرفت بوغارت؟»

«آه، معرفة سطحيّة فقط».

«ماذا عن غاربو؟»

«طبعًا، أيّ سؤال هذا».

«وغايبل؟»

«قليلًا».

«وكاغني؟»

«كاغني لم أعرفه. هل تدركان، معظم الأشخاص الذين ذكرتموهم ينتمون إلى حقب مختلفة. أحيانًا أظن أن بعض النجوم اللاحقين يمتعضون مني، وما زالوا يمتعضون مني، لأني كسبت معظم أموالي قبل أن تزداد الضرائب إلى هذا الحد. لكنهم ينسون أني من ناحية الأموال، لم أكسب المبالغ الهائلة التي كسبوها. هم يتعلمون كيف يحافظون على مكاسبهم من خلال مشورات المختصين بالضرائب الذين يكشفون لهم كل ثغرات الضرائب - استثمارات جديدة، وما إلى ذلك. على أي حال، في الحفلات وغيرها، يثير

هذا الأمر مشاعر مختلطة. يحسبونني ثريًا؛ وأحسبهم أثرياء. نحن قلقون أكثر من اللازم حيال المادة والمجد والنفوذ. أنا شخصيًا، لدي ما يكفي من المال لأعيش بأريحية حتى مماتي».

قال لينكولن: «قرأنا عنك يا ريمون، زعم صحفيّ، بل صحفيّان، أنك تحتفظ بخمسة آلاف دولار نقدًا في منزلك. كمصروف جيب. وأنك في الواقع لا تثق بالبنوك وبنظامها البنكي».

«لا أدري من أين سمعتما كل هذا. ذلك غير صحيح».

قال لينكولن: «في **سكرين**، عدد سبتمبر ١٩٦٨؛ **نجوم هوليوود، حديثون وقدماء**، عدد يناير، ١٩٦٩؛ جميع أعداد المجلّة موجودة في سيّارتنا الآن».

«هذا غير صحيح. المال الوحيد الذي أحتفظ به في البيت هو المال الموجود في محفظتي فقط. ٢٠ أو ٣٠ دولارًا».

«أرِنا».

«بالطّبع».

أخرج ريمون محفظته. كان هناك ورقة نقديّة من فئة عشرين دولارًا، وثلاث ورقات نقديّة من فئة دولار.

أمسك لينكولن بالمحفظة. «سآخذها!»

«ماذا جرى لك يا لينكولن؟ إذا كنت تريد المال، خذه. أعد إليّ محفظتي فقط. كلّ أوراقي موجودة هناك- رخصة القيادة، وكلّ الأشياء الضرورية».

«اذهب إلى الجحيم!»

«ماذا؟»

«قلت، اذهب إلى الجحيم!»

«اسمع، أنا مضطر أن أطلب منكما أن تغادرا البيت. فأنتما تفقدان هدوءكما!»

«هل يوجد المزيد من النبيذ؟!»

«نعم، نعم، يوجد المزيد من النبيذ! يمكنكما أن تأخذاه كله، عشر قارورات أو عشرين قارورة من النبيذ الفرنسي الفاخر. أرجوكما خذاها وارحلا! أتوسل إليكما!»

«هل أنت قلق على الخمسة آلاف دولار خاصتك؟»

«أقول لكما بصدق، لا أملك خمسة آلاف دولار في هذا المنزل. أقول لكما بصدق من أعماق قلبي لا أملك خمسة آلاف دولار».

«يا مصاص الأيور الكاذب!»

«لماذا يجب أن تكون فظًا هكذا».

«يا مصاص الأيور، يا مصاص الأيور!»

«لقد استضفتكما، بِكَرَم مني. والآن تتحولان إلى وحشيين وفظّين».

«صحن الطعام اللعين الذي قدمته لنا! هل تسمّي ذلك طعامًا؟»

«ما الخلل الذي وجدتماه فيه؟»

«طعام مثليّ!»

«لا أفهم».

«زيتون مخلل صغير... بيض بالحشو. الرجال لا يأكلون هذا الخراء!»

«لقد أكلتماه».

«أوه، أنت تتواقح معي. يا مصاص الأيور»

نهض لينكولن عن الأريكة، سار باتجاه ريمون الذي جلس على

كرسيه، صفعه في وجهه، صفعة قوية، بيد مفتوحة. ٣ مرات. كانت للينكولن يدان ضخمتان.

أخفض ريمون رأسه، وشرع في البكاء. «أنا آسف. حاولتُ أن أقدّم أفضل ما عندي».

نظر لينكولن إلى أخيه. «**هل تراه؟ مثليّ منيك! يبكي كالطفل! انتظر، سأجعله يبكي. سأجعله يبكي بكاء حقيقيًا، إلا إذا سلّمنا الخمسة آلاف دولار!**»

تناول لينكولن قارورة النبيذ، ارتشف منها رشفات طويلة.

قال لأندرو: «اشرب. أمامنا عمل».

شرب أندرو من قارورته كثيرًا.

وبينما كان ريمون يبكي، جلس كل منهما يرتشف من نبيذه، ينظران إلى بعضهما ويفكّران.

«هل تعرف ماذا سأفعل؟» سأل لينكولن أخاه.

«ماذا؟»

«سأجعله يمص أيري!»

«لماذا؟»

«لماذا؟ للتسلية، **هذا** السبب!»

ارتشف لينكولن مجددًا، ثم توجه نحو ريمون، أمسك بذقنه، ورفع رأسه.

«أيها ال...».

«ماذا؟ أوه، أرجوك، **أرجوك اتركني في حالي!**»

«سوف تمص أيري، يا مصاص الأيور!»

«أوه، لا، أرجوك!»

«نعرف أنك مثلي!! استعدّ، أيها المنيك!»

«لا! أرجوك! أرجوك!»

فتح لينكولن سحابه.

«افتح فمك!»

«أوه، لا، أرجوك!»

هذه المرة لكَم لينكولن ريمون بيد مقبوضة.

«أحبك يا ريمون: مصّ!»

فتح ريمون فمه. أدخل لينكولن رأس أيره في فمه.

«إذا لم تمصّ، أيها المنيك، سأقتلك!»

بدأ ريمون يمصّ وهو يبكي.

ضربه لينكولن في جبهته.

«أريد بعض الحركة! أدخل بعض الطّاقة!»

مصّ ريمون بقوّة، حرّك لسانه. في اللحظة التي كان لينكولن على وشك أن يقذف، أمسك بمؤخرة رأس ريمون ودفعه إلى الأمام. شرق ريمون، اختنق. تركه لينكولن إلى أن قذف.

«الآن! مصّ لأخي!»

قال أندرو، «لينك، لا أفضّل ذلك!»

«أنت تتجابن؟»

«لا، ليس هذا».

«ألا تملك الجرأة؟»

«لا، لا...».

«اشرب قليلًا».

شرب أندرو. فكّر لبعض الوقت. «حسنًا، يمكنه أن يمصّ أيري».

«أجبره أن يفعل ذلك!»

نهض أندرو. فتح السحّاب.

«استعد للمصّ، أيّها المنيك».

جلس ريمون هناك فقط وبكى.

«ارفع رأسه. إنه يحب ذلك».

رفع أندرو ريمون. «لا أريد أن أضربك، أيها العجوز. افتح فمك. لن يأخذ وقتًا».

فتح ريمون فمه.

قال لينكولن: «هاك، هل ترى، إنه يفعلها. لا توجد مشكلة».

مصّ ريمون، ولحسَ بلسانه. وقذف أندرو.

بصق ريمون على السّجاد.

قال لينكولن: «أيها الوغد! من المفروض أن تبتلعه!»

سار نحو ريمون الذي توقف عن البكاء، وصفعه. بدا وكأنه مغيّب.

جلس الأخوان من جديد، أفرغا قاروروتي النبيذ. وجدا غيرها في المطبخ. أخرجاها جميعها، فتحاها، وواصلا الشرب.

كان ريمون فاسكويز يبدو مثل تمثال من الشمع لنجم ميت في متحف هوليوود.

«سنأخذ الخمسة آلاف دولار ونخرج»، قال لينكولن.

«قال إنها ليست هنا»، قال أندرو.

«المثليون كاذبون منذ الولادة. سأخرجها منه. أنت اجلس هنا واستمتع بنبيذك. سأهتم بهذا الشّخص».

رفع لينكولن ريمون وألقى به على إحدى كتفيه وحمله إلى غرفة النوم.

جلس أندرو وشرب النبيذ. سمع كلامًا وصراخًا من غرفة النوم. ثمّ رأى الهاتف. طلب رقمًا في نيويورك، على حساب ريمون. كانت صديقته هناك. غادرت كانزاس لمصلحة مدينة الفرص الكبرى. لكنها راسلته. رسائل طويلة. لم تفعل ذلك إلى الآن.

«من؟»

«أندرو».

«آه، أندرو. هل حدث شيء؟»

«نمت؟»

«أوشك أن أفعل».

«لوحدك؟»

«بالطبع».

«حسنًا، لم يحدث شيء. شخص ما على وشك أن يدخلنا إلى الصناعة السينمائية. قال إني أملك وجهًا ناعمًا».

«رائع يا أندرو! وجهك جميل، وأنا أحبّك، أنت تعرف هذا!»

«بالطبع. كيف الأحوال عندك، يا قطّة؟»

«ليست على ما يرام، يا آندي. نيويورك مدينة باردة. الجميع يبحثون عن الجنس، هذا كل ما يريدونه. أعمل كنادلة، وهذ فظيع، لكنّي أعتقد أنّي سأتلقّى دورًا في عرض مسرحيّ في أوف-برودواي».

«أيّ عرض مسرحيّ؟»

«آه، لا أدري. يبدو هابطًا. عرض كتبه أحد الزنوج».

«لا تثقي بهؤلاء الزنوج، يا حبيبتي».

«أنا لا أثق بهم. هي من أجل التجربة فقط. ولديهم ممثّلة مشهورة تلعب دورها مجانًا».

«حسنًا، هذا جيّد. لكن لا تثقي بهؤلاء الزنوج!»

«لست مغفّلة يا أندي. لا أثق بأحد. هي من أجل التجربة فقط».

«من يكون الزنجي؟»

«لا أدري. كاتب مسرحيّ ما. كل ما يفعله أنه يدخّن الحشيش ويتحدث عن الثورات. هذه هي الموضة الآن. يجب أن نتلاءم معه حتى ينفجر».

«هذا الكاتب المسرحي لا يضاجعك؟»

«لا تكن مغفلًا يا أندرو. أنا لطيفة معه، لكنه وثني، بهيميّ... سئمت أن أكون نادلة. كل هؤلاء المتحاذقين الذين يضربونني في مؤخرتي فقط لأنهم تركوا لي ربع دولار بقشيشًا. هذا فظيع».

«أفكر فيك طيلة الوقت يا حبيبتي».

«وأنا أفكر فيك، يا جميل الوجه، وضخم الأير. وأحبك».

«كلامك مضحك أحيانًا، مضحك وحقيقي. لهذا أحبك يا حبيبتي».

«هيه! ما كلّ هذا الصراخ الذي أسمعه؟»

«مجرد نكتة، يا حبيبتي. حفلة مجنونة هنا في بيفيرلي هيلز. تعرفين كيف هم الممثلون».

«يبدو وكأنهم يقتلون شخصًا».

«لا تقلقي يا حبيبتي، إنها مجرد دعابة. الجميع هنا مخمورون. أحدهم يتدرب على دوره. أحبك. سأتصل بك أو أكتب إليك من جديد قريبا».

«أرجوك أكتب يا أندرو. أحبك».

«تصبحين على خير يا حبيبتي».

«تصبح على خير يا أندرو».

أقفل أندرو السماعة، واتجه صوب غرفة النوم. دخل غرفة النوم. كان ريمون ممددًا فوق السرير الزوجي الكبير. كان ريمون ملطخًا بالدم. كل الملاءات ملطخة بالدم.

أمسك لينكولن بالخيزرانة بيده. كانت تلك الخيزرانة الشهيرة التي استخدمها العاشق الكبير في جميع أفلامه. كانت الخيزرانة ملطخة بالدم.

قال لينكولن: «ابن العاهرة لا يتعاون، أحضر لي المزيد من النبيذ».

عاد أندرو بالنبيذ، فتح القارورة، وارتشف لينكولن منها رشفات طويلة.

«ربما لم تكن الخمسة آلاف دولار هنا»، قال أندرو.

«إنها هنا. ونحن بحاجة إلى المال. المثليون أسوأ من اليهود. أقصد أن اليهود يفضلون الموت على التنازل عن قرش واحد. المثليون يكذبون! هل تفهمني؟»

عاد لينكولن ونظر إلى الجسد الممدد فوق السرير.

«أين تخبئ الخمسة آلاف يا ريمون؟»

«أقسم.. أقسم.. من أعماق روحي، لا توجد خمسة آلاف، أقسم! أقسم!».

هوى لينكولن بالخيزرانة على وجه العاشق الكبير. جرح آخر. سال الدم. غاب ريمون عن الوعي.

قال لينكولن لأخيه: «لا فائدة من هذه الطريقة. أدخله إلى الحمام. قم بإحيائه. اشطف الدم. سنعيد الكرة، لكن هذه المرة - ليس فقط وجهه بل أيره وخصيتاه أيضًا. سيعترف. كل رجل يعترف في وضع كهذا. اذهب واغسله، وأنا سأشرب قليلًا الآن».

خرج لينكولن. نظر أندرو إلى الكتلة الحمراء التي تنزف دمًا. سدّ فمه للحظة، ثم تقيأ على الأرض. تحسنت حالته بعد أن تقيأ. حمل الجسد، جرّه نحو الحمام. بدا وكأن ريمون بدأ يصحو.

«يا مريم العذراء، يا مريم العذراء، يا أم المخلّص...».

قال ذلك مجددًا وهما يتوجهان إلى الحمام.

«يا مريم العذراء، يا مريم العذراء، يا أم المخلّص...».

عندما أدخل أندرو ريمون إلى الحمام، خلع عنه ملابسه الملطخة بالدم، رأى مكان الدّوش، مدد ريمون على الأرض، وفحص الماء، حتى وصل إلى درجة الحرارة المناسبة. ثم بدأ يخلع عنه أيضًا ملابسه، حذاءه، جواربه، بنطاله، سرواله التحتي والتيشيرت القصير. دخل الحمام مع ريمون، أمسك به تحت الماء. بدأ الدم يزول عن جسده. تأمل أندرو الماء الذي ألصق الشعر الرمادي بجبهة من كان يومًا معبود النساء. بدا ريمون مجرد عجوز بائس، مثير للشفقة.

فجأة، وباندفاع، أغلق صنبور الماء السّاخن، وأبقى على صنبور الماء البارد.

قرّب فمه إلى أذنيّ ريمون.

«كلّ ما نريده أيها العجوز هو الخمسة آلاف خاصّتك. سنأخذها ونرحل. كل ما عليك أن تفعله هو أن تعطينا الخمسة آلاف، وسنتركك، هل تفهم؟»

قال العجوز: «يا مريم العذراء...».

أخرجه أندرو من الحمام. أعاده إلى غرفة النوم، مدده على السرير. أخرج لينكولن قارورة نبيذ جديدة وبدأ يرتشف منها.

قال: «حسنًا، المرة سينطق!»

«لا أظن أن الخمسة آلاف بحوزته. لو كنت مكانه لما احتملتُ كلّ هذا الضرب من أجل خمسة آلاف».

«إنها بحوزته! هو وغد زنجيّ - يهوديّ - مثليّ! المرة سينطق!»

مدّ لينكولن القارورة إلى أندرو، وارتشف منها هذا على الفور.

رفع لينكولن الخيزرانة.

«الآن! يا مصاص الأيور! أين الخمسة آلاف!»

لم يردّ الرّجل الممدد على السرير. قلب لينكولن الخيزرانة، أي أنّه، أمسك بالطّرف الصحيح بيده، ثمّ أمسك بالطرف الملتوي وهوى به على أير وخصيتي ريمون.

بالكاد أطلق الرجل صوتًا، خلا أنات متواصلة.

امّحت أعضاء ريمون التناسليّة تقريبًا. توقّف لينكولن هنيهة ليرتشف رشفة طويلة من النبيذ، ثمّ أمسك بالخيزرانة وبدأ يضربه في كلّ مكان- في وجه ريمون، وبطنه، ويديه، وأنفه ورأسه، في كلّ مكان، ولم يعد يسأل عن الخمسة آلاف. كان فم ريمون فاغرًا، والدّم الذي سال من أنفه المكسور ومن أجزاء أخرى من وجه تدفق إلى الداخل. ابتلعه وغرق في دمه. ثم سكن تمامًا ولم يعد للخيزرانة أي تأثير.

قال أندرو وهو يجلس على كرسيه «قتلته، وقد كان على وشك أن يدخلني إلى السينما».

قال لينكولن: «لم أقتله، أنت من قتله! أنا جلست ونظرت وأنت ضربته بخيزرانته. الخيزرانة التي اشتهر بسببها في أفلامه!»

قال أندرو: «ماذا تقول، الآن أنت تتحدث تمامًا مثل مخمور مجنون. أهمّ شيء هو أن نخرج من هنا. سنتدبّر الباقي لاحقًا. هذا الرجل مات! دعنا نخرج!»

قال لينكولن: «أولًا، قرأت في المجلات عن عالم الجريمة حول أشياء من هذا النوع. علينا أولًا أن نربكهم. علينا أن نغمس أصابعنا في الدم ونكتب أشياء عديدة على الجدران، وما إلى ذلك».

«ماذا؟»

«حسنًا، أشياء مثل: **اللعنة على الخنازير! الموت للخنازير!** ثمّ نكتب فوق السرير، اسم رجل- لنقل «لوي، أوكي؟»»

«أوكي».

غمسا أصابعهما في الدم وكتبا شعاراتهما الصغيرة. ثمّ غادرا.

تحرّكت سيارة البلايماوث ٥٦. سافرا جنوبًا بمبلغ الـ ٢٣ دولارًا التابعة لريمون والنبيذ المسروق. عند ركن سانسيت ووسيترن شاهدا فتاتين ترتديان ملابس قصيرة تقفان عند الركن وتحاولان إيقاف سيارة. توقفا. تبادلوا كلامًا حاذقًا، وركبت الفتاتان السيارة. كان هناك راديو في السيارة. هذا كل ما كان فيها. قاموا بتشغيل الراديو. تنقلت قوارير النبيذ الفرنسي الفاخر في أرجاء السيارة.

قالت إحدى الفتاتين: «هيه، أظن أن هذين الشابين متسكعان!»

قال لينكولن: «هيه، تعالوا نسافر إلى الشاطئ ونتمدد على الرمال ونشرب النبيذ ونرقب شروق الشمس!»

«حسنًا»، قالت الفتاة الأخرى.

تمكن أندرو من فتح سدادة قارورة نبيذ. كان فتحها مسألة صعبة - اضطر إلى استخدام مطواته، شفرة رفيعة - فقد نسيا فتاحة ريمون الجميلة خلفهما - ولم تكن المطواة تعمل كالفتاحة- في كل مرة ارتشفا من النبيذ، اضطرا إلى ارتشاف قطع من الفلّين.

في المقعد الأمامي، كان لينكولن يقضي وقتًا ممتعًا، لكن لأنه اضطر إلى القيادة، كان يغري فتاته بالكلام. في المقعد الخلفي، كان

أندرو قد مدّ يده إلى فخذها، وشدّ جزءًا من سروالها التحتيّ. كان ذلك عملا صعبًا، لكنه سرّب إصبعه إلى الداخل. فجأة تراجعت، دفعته عنها، وقالت، «أعتقد أنّه علينا أولًا أن نتعرّف على بعضنا جيدًا».

قال أندرو: «بالتأكيد، نملك ٢٠ أو ٣٠ دقيقة حتى نصل إلى الرمال وننشغل. اسمي هارولد أندرسون».

«وأنا كلير أدواردز»

جلسا وتحاضنا.

مات العاشق الكبير. لكن سيكون هنا عاشقون آخرون. وسيكون هناك عشّاق كثر ليسوا عظماء. معظمهم سيكونون من النوع الثاني. هكذا كانت الأمور. أو لم تكن.

النّديم

التقيتُ جيف في مخزن لقطع غيار للسيارات في شارع فلاور أو لعله كان شارع فيغويروا، فأنا دائم الخلط بينهما. على أيّ حال، عملتُ موظّف استقبال، وكان جف يعمل كخادم نوعًا ما. كان يُنزل حمولة القطع المستعملة، يمسح الأرضية، يعلّق أوراق التواليت في المراحيض وغيرها. كنت أؤدي هكذا أعمال في كل أنحاء الدولة، فأنا لا أزدريها. للتو خرجت من علاقة مزرية مع امرأة كادت تقضي عليّ. لم يكن لديّ مزاج لنساء أخريات لبعضِ الوقت، وبدلًا من ذلك راهنتُ على الخيول، واستمنيت وشربتُ الكحول. بصراحة، كنت دائمًا أكثر سعادة وأنا أفعل ذلك، وفي كلّ مرة فعلتُ ذلك، كنتُ أقول في نفسي، لا نساء بعد اليوم، إلى الأبد، واللعنة على كل شيء. طبعًا، دائمًا كانت تأتي امرأة أخرى - هن يتربصن بك ليصطدنك، مهما كنت غير مبالٍ. أظنّ أنك عندما تكون غير مبال، يهبطن عليك ليوقعن بك. النساء قادرات على فعل ذلك مهما بلغت قوة الرجل، النساء قادرات على ذلك. لكن على أيّ حال، كنت مرتاحًا وحرًا عندما التقيت بجف - من دون امرأة - ولم يكن في الأمر أيّ انحراف جنسي. مجرد رجلين عاشا على الحظ، وتسكعا، واكتويا من النساء. أذكر أني ذات مرة جلست في حانة «الضوء

الأخضر» وشربت بيرتي. جلست إلى طاولة وقرأت نتائج سباق الخيول وتحدث الرفاق عن شيء ما عندما قال أحدهم «.. لقد اكتوى بوكوفسكي من فلو الصغيرة. ألم تكوِك يا بوكوفسكي؟»

رفعت رأسي. ضحك الناس. لم أبتسم. رفعت بيرتي فقط، «نعم»، قلت، شربتُ، وأعدتُها إلى الطاولة.

عندما رفعتُ بصري ثانية، رأيت فتاة زنجية شابة جلبت لي البيرة.. قالت: «اسمع يا رجل، اسمع يا رجل...».

قلت: «أهلًا».

«اسمع يا رجل، لا تدع فلو الصغيرة هذه تُحبطك، لا تجعلها توقعك يا رجل. بإمكانك أن تتجاوز».

«أعلم أنه بإمكاني أن أتجاوز. لا نيّة لي في التورّط».

«جيد. ببساطة بدوت حزينًا للغاية، هذا كل ما في الأمر. بدوت حزينًا للغاية».

«بالطبع حزين. تغلغلت عميقًا فيّ، عميقًا. لكني سأتجاوز. بيرة؟»

«نعم. لكن أنا من ستطلب».

تضاجعنا في نفس الليلة في شقّتي، لكنّها كان مضاجعة فراق من النساء - لـ ١٤ أو ١٨ شهرًا قادمًا. إذا لم تلاحقهن، قد تحظى باستراحات كهذه.

ثمّ شربتُ كلَّ ليلة بعد أن انتهيتُ من العمل، لوحدي، في شقّتي، وتبقى معي من المال ما يكفي نهارًا لسباق السبت، وكانت الحياة بسيطة وبلا ألم. ربما لم يكن فيها الكثير من المنطق، لكن الابتعاد عن الألم فيه ما يكفي من المنطق. سرعان ما تعرفت إلى جف. رغم أنه كان يصغرني سنًا، وجدت فيه نموذجًا شابًا منّي.

سألته في أحد الصباحات: «هل تعاني من صداع الخمار، يا فتى؟»

قال: «لا مفر. على الرجل أن ينسى».

قلت: «أظن أنك على حق. صداع الخمار ألطف من المارستان».

في تلك الليلة، ذهبنا إلى حانة قريبة بعد أن انتهينا من العمل. كان مثلي، لم يُشغل نفسه بمسألة الأكل، الرجل لا يفكر أبدًا في الأكل. حقيقةً، كنا رجلين من بين أقوى الرجال على الكرة الأرضية لكننا لم نختبر الموضوع قطّ. أشعرنا الأكل بالملل. وكنت في نفس الوقت أشعر بالملل من الحانات - كل هؤلاء الحمقى الوحيدين الذي يأملون أن تدخل امرأة وتصطحبهم إلى بلاد العجائب. أكثر جمهورين منّفّرين في العالم هما جمهور سباقات الخيل وجمهور الحانات، وأنا أقصد في الأساس الذكور من الجنس البشري. الخاسرون الذي يواصلون خسارتهم ولا ينجحون في فعلِ شيءٍ. وهناك كنتُ أنا، في الوسط تمامًا. سهّل جف الأمر. أقصد، كان الأمر جديدًا بالنسبة إليه وقد أمده ببعض الطاقة، وحوّل الأمر إلى شيء واقعيّ تقريبًا، وكأننا نفعل شيئًا ذا قيمة بدلًا من تبذير رواتبنا الحقيرة في الشّرب والرهانات والغرف الرّخيصة، والفصل من العمل والبحث عن أعمال أخرى والفشل بسبب النساء، والمشي في جهنّم، وتجاهل ذلك كلّه.

قال: «أريدك أن تلتقي بصديقي غراميرسي إدواردز».

«غراميرسي إدواردز؟»

«نعم، غرام كان في الداخل أكثر من الخارج».

«في السجن؟»

«في السجن وفي المارستان».

«يبدو رائعًا. قل له أن يحضر».

«عليّ أن أصل إلى هاتف. إذا لم يكن ثملًا، سيأتي...».

وصل غراميرسي بتأخير ساعة تقريبًا. حتى ذلك الوقت، شعرت أني قادر أكثر على معالجة المسائل، وكان ذلك جيدًا، فقد وصل هنا غراميرسي عبر الباب - ضحية مؤسسات الإصلاح والسجون. بدت عيناه وكأنهما تتدحرجان طيلة الوقت داخل رأسه، وكأنه يحاول أن ينظر عبر دماغه ليرى ما الذي اختل. كان يرتدي ملابس بالية، وكانت قارورة نبيذ كبيرة مدسوسة في أحد جيوب بنطاله الممزقة. فاحت رائحته، وتدلت سيجارة ملفوفة من طرف فمه. عرّف جف بيننا. أخرج غرام القنينة من جيبه وعرض عليّ مشروبًا. وافقت. بقينا هناك وشربنا حتّى حانت ساعة الإغلاق.

ثمّ سرنا على طول الشارع إلى فندق غراميرسي. في ذلك الوقت، قبل أن تصل الصناعة إلى المنطقة، كانت هناك بيوت قديمة تم تأجيرها كغرف للفقراء، وفي أحد هذه البيوت، امتلكت صاحبة البيت كلبًا من فصيلة البُلدوغ كانت تفلته كل ليلة ليحرس ملكها الثمين. كان كلبًا ابن قحبة شريرًا؛ أرعبني في ليالي الشرب الكثيرة، إلى أن تعلمت أي جانبٍ من الشارع له وأي جانبٍ لي. سرت في الجانب الذي لم يرده.

قال جف: «حسنًا، سوف نمسك ابن القحبة الليلة. اسمع يا غرام، مهمتي أن أمسك به. إذا أمسكتُ به، مهمتك أن تقطّعه».

قال غراميرسي: «امسك به، الحديد معي. للتو شحذته».

سرنا في طريقنا. سرعان ما سُمع ذلك الهدير وكان الكلب يقفز باتجاهنا. أجاد العضات الصغيرة في الكاحل. كان كلب حراسة

هائل. قفز باتجاهنا برباطة جأش. انتظر جف حتى كان الكلب فوقنا تقريبًا، ثم مال جانبًا وقفز على ظهر الكلب. انزلق الكلب، استدار إلى الخلف بسرعة، وأمسك به جف وهو يعبر من تحته. أوثق ذراعيه من تحت قدمي الكلب الأماميتين ثم وقف. ركل الكلب ونهش بلا طائل، كان بطنه مكشوفًا.

ضحك غراميرسي «ههههههههههههههههههههههههههههه!»

غرز سكينه وشقّ مربّعًا. ثم قسمه إلى ٤ أرباع.

قال جف: «يا إلهي».

سال الدم في كلّ جميع الاتجاهات. أوقع جف الكلب. لم يتحرك الكلب. واصلنا السير.

«هههههههههههههه»، ضحك غراميرسي. «ابن القحبة هذا لن يزعج أحدًا بعد اليوم».

قلت: «أنتم تثيرون فيَّ الغثيان». صعدت إلى غرفتي وفكرت في أمر ذلك الكلب المسكين. بقيتُ غاضبًا من جف ليومين أو ثلاثة، ثم نسيت الأمر...

لم أر غراميرسي ثانية، لكني واصلت السّكر مع جف. بدا وكأن ليس ثمة شيء آخر نفعله.

كلّ صباح، عندما أحضر إلى العمل، كان يصلُ هو مريضًا.. كانت تلكَ دعابتنا. سكر كلّ ليلة من جديد. ماذا عسى لرجل مسكين أن يفعل؟ الفتيات لا يبحثنَ عن عمّال بسطاء، الفتيات يبحثن عن الأطباء، والعلماء، والمحامين، ورجال الأعمال... إلخ. نحن نستلم الفتيات عندما ينتهون هم منهنّ، عندها لا تعود الفتيات فتياتٍ- نحن نستلم المستعملات، والمشوهات، والمختلات، والمجنونات. بعد مدّة، وبدلًا من استلامهنّ مستعملات، فإنّك

ببساطة تتنازل. أو تحاول أن تتنازل. الشرب يساعد. وجفّ كان يهوى الحانات لذلك رافقته. المشكلة أن جف عندما يكون مخمورًا، يحب العراك. لحسن الحظ، لم يتعارك معي. كان يجيد العراك، وعرف كيف يتملص من اللكمات، وكان قويًا، ربما أقوى رجل رأيته في حياتي. لم يكن أزعر، لكنّه بعد أن يشرب يفقد عقله. رأيته يوقع بثلاثة رجال ضربًا في ليلة. نظر إليهم وهم ممدّدون في الزقاق، أدخل يديه إلى الجيوب، ونظر إليّ.

«حسنًا، هيا نشتري مشروبًا آخر».

لم يتشدّق بذلك يومًا.

طبعًا، كانت ليالي السّبت أفضل الليالي. كان يوم الأحد يوم عطلتنا لنتغلّب فيه على صداع الخمار. غالبية الوقت، شربنا مشروبًا إضافيًا لكننا على الأقل لم نضطر يوم الأحد صباحًا إلى التواجد في مخزن قطع غيار السيارات والعمل لقاء أجر عبيد، إما أن نستقيل أو نقال منه في النهاية.

في ليلة السبت تلك تحديدًا، جلسنا في حانة «الضوء الأخضر» وشعرنا أخيرًا بالجوع. ذهبنا إلى مطعم «صينيّ»، وهو مطعم نظيف نسبيًا وعلى مستوى. صعدنا الدرج إلى الطابق الثاني وجلسنا إلى الطاولة الخلفية. كان جف مخمورًا وأوقع الشمعدان عن الطاولة. انكسر محدثًا صوتًا مدويًا. نظر الجميع. حدجنا النادل الصيني عند الطاولة المجاورة بنظرة غاضبة.

قال جف: «اهدأ. سجله على الحساب. سأدفع ثمنه».

نظرت امرأة حامل إلى جف. بدت غير راضية عما فعله. لم أستطع أن أفهم ذلك. لم أفهم أين السّوء في ما حصل. لم يرغب النادل في تقديم الخدمة لنا، أو لعلّه تركنا ننتظر، وظلت هذه الحامل

توجه نظراتها إلينا. بدا وكأننا، أنا وجف ارتكبنا أفظع جريمة في العالم.

«ما الذي حصل يا عزيزتي؟ هل ترغبين في بعض الحب؟ بإمكاني أن أخرج معك من الباب الخلفي. هل أنت وحيدة، يا حلوة؟»

«سأنادي زوجي. هو في الأسفل في مراحيض الرجال. سأناديه، سأحضره. سوف يريك!»

سألها جف: «ماذا يملك؟ مجموعة طوابع؟ أم فراشات من تحت الزجاج؟»

قالت: «سأناديه! الآن!»

قلت: «يا سيّدة! رجاء لا تفعلي ذلك. أنت في حاجة إلى زوجك. أرجوك لا تفعلي ذلك، يا سيّدة».

قالت: «سأفعل ذلك. سأفعل ذلك».

قامت وركضت أسفل الدرج. ركض جف وراءها، أمسكها، وأدارها وقال: «ها أنا أرسلك مع بَرَكة الطريق!»

ثم ضربها في فكّها وسقطت وتدحرجت أسفل الدرج. أثار الأمر فيّ اشمئزازًا. كان سيئًا تمامًا مثل ليلة الكلب.

«يا إلهي يا جف! أوقعت عن الدرج امرأة حاملًا! هذا شيء مقرف وأحمق! يمكنك أن تقتل هكذا شخصين. أنت تتحوّل إلى شخص قاس يا رجل، ما الذي تحاول أن تثبته؟»

قال جف: «اخرس، وإلا ضربتُك أيضًا!»

كان جف مخمورًا بطريقة بشكل غير طبيعيّ، وقف أعلى الدرج. في الأسفل احتشد أشخاص من حول المرأة. بدت وكأنها ما تزال على قيد الحياة. بلا عظام مكسورة، لكني لم أعرف شيئًا عن

الطفل. تمنّيتُ أن يكون الطفل بخير. ثم خرج الرجل من المرحاض وشاهدَ زوجته. شرحوا له ما حصل وأشاروا نحو جف. استدار جف وعاد إلى الطاولة. ركض الزوج كالصاروخ إلى أعلى. كان ضخمًا، ضخمًا مثل جف وقويًا مثله. لم أكن راضيًا تمامًا عن جف فلم أحذره. وثب الزوج على ظهر جف وطوق حلقه بذراعه. اختنق جف واحمرّ وجهه ومع ذلك ابتسم. تمددت ابتسامته على وجهه. أحب العراك. رفع يدًا على رأس الرجل ومدّ الأخرى إلى الخلف ورفع جسده عن الأرض. كان الزوج لا يزال يقبض على حلق جف الذي جرّه إلى أعلى الدرج، وقف هناك، وكسر رقبة الرجل. رفعه ورماه في الهواء. عندما توقف زوج السيدة عن التدحرج كان ساكنًا تمامًا. بدأت أفكر كيف ألوذ بالفرار من المكان.

كان هناك بعض الصينيين يحومون في الأسفل. طباخون، نادلون، وأصحاب محالّ. بدوا وكأنهم يتراكضون ويتحدثون إلى بعضهم. ثم بدأوا يركضون باتجاه الدرج. كانت في جيبي قارورة ويسكي وجلست إلى الطاولة لأشاهد العرض. قابلهم جف أعلى السلالم، وضربهم حتى سقطوا عن الدرج. تزايد عددهم. من أين جاء هؤلاء الصينيون، لا أدري. وحده عددهم الكبير ما جعل جف يتراجع خلف الدرج ويخطو وسط الغرفة ويقوم بلكمهم. ربّما أمكنني أن أساعد جف، لكني وقتها كنت أفكر في الكلب المسكين والمرأة الحامل المسكينة وجلست هناك أشرب من قارورة الويسكي وأشاهد.

في النهاية، مسك صينيان جف من الخلف، ومسك صيني ثالث ذراعًا، واثنان آخران مسكا الذراع الأخرى، أمسكه شخصٌ من قدمه، وآخر من عنقه. كان مثل عنكبوت وقعت في فخ سرب من النمل. ثم هوى على الأرض وحاولوا أن يبقوه هناك لكنهم لم

ينجحوا في إبقائه ساكنًا. بين الحين والآخر طار صينيّ إلى الخلف بعيدًا عن الكومة وكأنه قُذف إلى الخارج على يد قوة غير مرئية. ثم عاد وقفز داخل الكومة من جديد. رفض جف الرضوخ. ورغم أنه كان بين أيديهم، لم يكن بوسعهم أن يفعلوا له شيئًا. ظل يقاوم وبدا الصينيون محتارين وتعساء ولم يرضخ.

شربت قليلًا، أدخلت القارورة إلى جيب معطفي، وقمت. توجهت إلى هناك.

«إذا أمسكتموه بحيث لا يتحرك، يمكنني أن أضربه ضربة قاضية. سيقتلني بسبب ذلك، لكن هذا هو الحل الوحيد».

دخلت وضربتُه على صدره.

«امسكوا به جيدًا! الآن أمسكوا رأسه! لا يمكنني أن أضربه وهو يتحرك بهذا الشّكل! أمسكوا به، اللعنة! اللعنة، أنتم أكثر من عشرة أشخاص! ألا يمكنكم حتى أن تمنعوا شخصًا عن الحركة؟ أمسكوه جيدًا، اللعنة، أمسكوه جيدًا!»

لم ينجحوا في القيام بذلك. ظل جف يتحرك. بدا وكأن لا حدود لقوته. رضخت وجلست مجددًا إلى الطاولة وشربت قليلا. لا بد أن الأمر استمر ٥ دقائق أخرى.

بعدها، وعلى نحو مفاجئ، سكن جف. توقف عن الحركة. أمسك به الصينيون وتأملوه. بدأت أسمع بكاء. بكى جف! انهمرت الدموع على وجهه. لمع وجهه مثل بحيرة. ثم صرخ، متألمًا - بكلمة واحدة:

«أمي!»

أخيرًا سمعت صوت صافرة الإنذار. قمت وتجاوزتهم ونزلت

عبر الدرج. في منتصف الطريق إلى الأسفل اصطدمت برجال الشرطة.

«إنه في الأعلى يا ضباط! أسرعوا!»

خرجت بتؤدة من الباب الخلفي. ثم اجتزت زقاقًا. عندما وصلتُ إلى الزقاق قطعت إلى الداخل وبدأت أركض. وصلت إلى شارع آخر وفي نفس الوقت سمعت وصول سيارات الإسعاف. وصلت إلى غرفتي، ثمّ أغلقت الستائر وأطفأت النور. أفرغت القارورة في السرير.

في اليوم التالي لم يحضر جف إلى العمل. وفي اليوم الثالث لم يحضر جف إلى العمل. ولا في اليوم الرابع. حسنًا، لم أره بعدها في حياتي. لم أفحص في السجون.

بعدها بفترة وجيزة أقالوني من العمل بسبب الغيابات المتكررة، وانتقلت إلى الجانب الغربي للمدينة، هناك وجدت عملًا كعامل مخزن في سيرز ريبوك، لم يعان عمال المخزن من صداع الخمار، وكانوا مطواعين، بهيئات نحيفة. بدوا وكأن شيئًا لم يزعجهم. تناولت وجبات الغداء وحدي ولم أكد أبادلهم أطراف الحديث.

كان جف انسانًا طيبًا على نحو خاصّ. ارتكب أخطاء كثيرة، أخطاء وحشيّة، لكنه كان حقًا شخصًا مشوّقًا بما فيه الكفاية. أظن أنّه يقضي عقوبةً في السجن، أو لعلّ شخصًا ما قتله. لم أجد نديمًا آخر مثله. كلهم قدماء وعقلاء وعقلانيون. أحتاج إلى ابن قحبة حقيقي مثل جف بين الحين والآخر. لكن، وكما تقول الأغنية - أين اختفى الجميع؟

الذّقن الأبيض

وكانَ هيرب يُحدِثُ ثقبًا في بطّيخة وينيكُ البطيخة ثمّ يُجبر تالبوت الصّغير، على أكلِها. استيقظنا عند الساعة ٦:٣٠ صباحًا لنقطف التفاح والأجاص بالقربِ من الحدود، وقد هزّ القصف الأرض بينما واصلنا نحن قطف التفاح والإجاص عن الشّجر، حاولنا أن نكون طيّبين، اجتهدنا في قطف الناضج منها فقط - ثمّ نزلنا عبر السّلم لنتبوّل- كان الطقس باردًا في الصباحات- وكان بحوزتنا بعض الحشيش في المرحاض. ماذا كان معنى كل هذا، لا أحد يعرف. كنا متعبين ولم نكترث، كنا بعيدين آلاف الأميال عن الوطن وفي أرض غريبة، ولم نكترث. كأنهم ببساطة أحدثوا ثقبًا في الأرض ورمونا فيه. عملنا فقط مقابل السكن والمأكل والأجر الضئيل والنزر اليسير مما تمكنا من سرقته. حتى الشمس لم تتصرف كما ينبغي؛ كانت وكأنها مغطاة بسوليفان أحمر ورفيع، ولم تنجح الأشعة في اختراقه، فبقينا مرضى على الدوام، وزرنا العيادة، هناك كل ما أجادوه هو إطعامنا الدّجاج البارد الضخم. كان للدجاج نكهة المطاط وكنا نجلس في السرير ونأكل الدجاج المطاطيّ واحدة تلو الأخرى. سال المخاط من أنوفنا على كل الوجه، وأطلقت الممرضات بمؤخراتهن الكبيرة ضراطًا باتجاهنا. كان الأمر سيئًا إلى

حدّ كنا مجبرين على التّعافي والعودة إلى أشجار الإجاص والتفاح الحمقاء.

هرب معظمنا من شيء ما: النساء، الفواتير، الأطفال، العجز عن المواجهة. ارتحنا وكنا متعبين، كنا مرضى ومتعبين، كنا على آخرنا.

قلت: «لستَ ملزمًا بإجباره على الأكل من هذه البطيخة».

قال هيرب: «هيّا كُلها، كُلها وإلّا فصلتُ رأسك عن كتفيك».

كان تالبوت الصّغير يمضغُ تلك البطيخة، يبلع البذور ومنيّ هيرب، ويبكي بصمتٍ. الأشخاص الّذين يشعرون بالممل يهوون التفكير في أشياء يقومون بها حتى يقصوا الجنون عنهم. وأحيانًا يصابون بالجنون. كان تالبوت الصّغير يدرّس الجبر في مدرسة ثانوية في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنّ خللًا ما وقع، وهرب إلى حفرتنا الموحلة، والآن يمضغ المنيّ الممزوج بعصير البطيخ.

كان هيرب شخصًا ضخمًا، له يدان كمجرفة بخار، وذقن مثل صاروخ أسود، وكان ضرّاطًا مثل أولئك الممرضات. وكان بحوزته سكين صيادين كبيرة داخل حاملٍ مصنوع من الجلد ومربوط إلى خصره. لم يكن في حاجة إليها، فقد كان قادرًا على قتل أي شخص من دونها.

قلت: «اسمع يا هيرب، لم لا تخرج وتضع حدًا لربع الحرب هذه؟ لقد سئمتُ منها».

قال هيرب: «لا أريد أن أخلّ بالتوازن».

أنهى تالبوت البطيخة.

«آه، لمَ لا تفحص إن كان هناك براز في سروالك الداخليّ؟» وجّه سؤالًا إلى هيرب.

ردّ عليه هيرب: «كلمة أخرى وسأجرّ ثقب مؤخرتك في حقيبتك الظهر».

خرجنا إلى الشارع وكان هناك أشخاص كثيرون بمؤخرات رفيعة في بناطيل قصيرة، حملوا المسدسات وكانوا في حاجة إلى الحلاقة. حتى إن بعض النساء كنّ في حاجة إلى الحلاقة. كانت رائحة البراز في كل مكان، سُمع صوت انفجارات بوم بوم! كان ذلك اتفاق هدنة. . . وأيّ هدنة.

ذهبنا إلى مكان ما، وجدنا طاولة، وطلبنا نبيذًا رخيصًا. أشعلوا هناك شموعًا. كان هناك بعض العرب يجلسون على الأرض، دائخين ومرهقين. وقف غرابٌ على كتف أحدهم، ورفع بين الحين والآخر كف يده. كانت في يده بعض البذور. نقرها الغراب بشكل مضطرب وبدا أنّه يواجه صعوبات في بلعها. وأيّ هدنة. . وأيّ غراب.

ثم حضرت فتاة تبلغ من العمر ١٣ أو ١٤ عامًا، وجلست إلى طاولتنا. كانت عيناها بلون الأزرق الحليبيّ، إن كنتم قادرين على تخيّل الأزرق الحليبيّ، وكانت تعوّل الفتاة الصغيرة على نهديها فقط. كانت جسدًا فقط- اليدان والرأس وسائر الأعضاء، يرتبطان بهذين النهدين. كان النهدان أكبر من العالم، وكان العالم يقتلنا. نظر تالبوت إلى نهديها، نظر هيرب إلى نهديها، ونظرتُ أنا إلى نهديها. بدا الأمر وكأنّ معجزة حدثت فجأة، وقد عرفنا أن زمن المعجزات قد ولّى. مددتُ يدي ولمست أحدهما. لم أتمالك نفسي. ثمّ قرصتهما. ضحكت الفتاة وقالت بالإنجليزية:

«هما يثيرانك، أليسَ كذلك؟»

ضحكتُ. ارتدت فستانًا شفافًا أصفر. كان لون الصدرية

والسروال التحتيّ بنفسجيًا؛ حذاء كعب بنفسجي، وقرطان كبيران وأخضران. أشرق وجهها وكأنما صقل وتراوح لونه بين البني الباهت والأصفر الغامق. من يدري؟ فأنا لست رسامًا. امتلكت نهدين. كان يومًا فوق العادة.

طار الغراب في فضاء الغرفة دفعة واحدة بحركة دائرية ملتوية، وهدّ من جديد على كتف العربي. جلست هناك وفكرت في النهدين، وفي هيرب وتالبوت. فكرت في هيرب وتالبوت: كيف أنهما لم يذكرا يومًا، السبب الذي أتى بهما إلى هنا وكيف أني لم أذكر يومًا السبب الذي أتى بي إلى هناك وكيف أننا فاشلون جدًا، وأغبياء في السر، نحاول التفكير بلا إحساس، مع ذلك لا نقتل أنفسنا، صامدون. كنا ننتمي إلى هذا المكان. ثم هبطت قنبلة في الشارع وسقطت الشمعة التي كانت فوق طاولتنا عن شمعدانها. رفعها هيرب وأنا قبّلت الفتاة، وضغطت على نهدها. بدأت أجن.

سألت: «هل ترغب في نَيكي؟»

أعطت سعرًا، وكان السّعر باهظًا. قلت لها إننا مجرّد قاطفي فواكه وعندما تنتهي المسألة سنضطرّ للذهاب إلى العمل في المناجم. كان العمل في المناجم أبعد ما يكون عن المتعة. في المرة الأخيرة كان المنجم في جبل. بدلًا من الحفر داخل الأرض، أنزلنا الجبل من السّماء. كانت المعادن في رأس الجبل وكانت الطريقة الوحيدة للوصول إلى هناك من الأسفل. لذا أحدثنا ثقوبًا باتجاه الأعلى بشكل دائري، وزرعنا المتفجرات، وربطنا الفتيلات بالمتفجرات بشكل دائرة من الثقوب. ربطنا كل الفتيلات بفتيل واحد يمتدّ إلى الأسفل، أشعلناه وهربنا. عندها كان يتبقّى لنا دقيقتان ونصف لنبتعد قدر الإمكان. بعد التفجير، كنّا نعود ونجرف كل القرف، ونعيد الكرة.

نركض صعودًا ونزولًا عبر السلّم مثل القردة. بين الحين والآخر عثرنا على يدٍ أو رجل فقط. لم تكن مدّة دقيقتين ونصف كافية. إمّا أن تكون إحدى الفتيلات غير موصولة كما يجب، وبالتالي تصاعد اللهب مباشرة إلى الأعلى. كان ذلك أشبه بالهبوط بالمظلات- إذا لم تنفتح المظلة، فلا جدوى من الأمر.

صعدت إلى الطابق الثاني مع الفتاة. لم تكن هناك نوافذ، وكانت شمعة من جديد. كان هناك فراش على الأرض. جلسنا نحن الاثنان في الفراش. أشعلت غليون حشيش وقدمته إلي. سحبت نفسًا وأعدته إليها، ثم نظرت ثانية إلى نهديها. بدت سخيفة تقريبًا، بارتباطها بهذين الشيئين. كادت تكون جريمة. قلت، تقريبًا. في النهاية، هناك أشياء أخرى عدا النهدين. الأشياء التي ترافقهما، مثلًا. حسنًا، لم أر في حياتي شيئًا شبيهًا بهذا في أمريكا. وإذا كان هناك شيء شبيه في أمريكا، لكان الأثرياء سيأخذونه ويخبئونه إلى أن يفسد أو يتغير، ومن ثم يعطون الآخرين البقايا.

لكني أشتكي من أمريكا لأنّهم طردوني. لقد حاولوا قتلي ودفني دائمًا هناك. حتى إنه كان هناك شاعر عرفته، اسمه لارن كاستيل، كتب عني قصيدة طويلة، وفي نهايتها يعثرون على جبل من الثلج في أحد الصباحات، فيجرفون الثلج ويجدونني. قلت له: «لارسن، يا مؤخرة منكمشة، إنها مجرد خيالات».

ثم وجدت نفسي فوق النهدين، مصصت الأول، ثم الثاني. شعرت كالطفل. على الأقل، شعرتُ كما تخيّلت إحساس طفل. أردتُ أن أبكي لأنّ الأمر كان في غاية الروعة. شعرت بأنه بوسعي البقاء هناك ومصّ هذين الثديين للأبد. لم تأبه الفتاة. في الوقاع، نزلت دمعة! كان الأمر في غاية الروعة، ونزلت دمعة. دمعة سعادة

هادئة. توغّلت. يا إلهي، كم على الرجال أن يتعلّموا! كنت دائمًا رجل سيقان، تركّزت عيناي دائمًا في الساقين. أصبتُ بدوار من النّساء النازلات من السيارات. لم أعرف ماذا أفعل. وكأنه، يا الهي، ها هي امرأة تترجّل من السيارة! أرى ساقَيها! حتى الأعلى! الجوارب، الرباط، وكلّ هذا... حتى الأعلى! أكثر من اللازم! لا أستطيع أن أصمد أمام هذا! الرحمة! فلتأت ثيران وتسحقني! أجل، كان ذلك دائمًا أكثر من اللازم- الآن مصصت الثديين. حسنًا.

أنزلتُ يدي أسفل نهديها، رفعتهما. أطنان من اللحم. لحم بلا فم أو عين. لحم لحم لحم. حشوته في فمي وطرت إلى الجنة.

ثمّ انتقلت إلى فمها، ونزعت عنها السروال التحتي البنفسجيّ. اعتليتها. باخرات أقلعت في الظلام. فيلةٌ رشّت ظهري بالعرق. تربنتين احترق. موسى تقيأ. أنبوب مطاطي تدحرج في منحدر جبل أخضر. انتهى. لم يدم وقتًا طويلًا. حسنًا... فليكن.

جلبَت وعاء صغيرًا وغسلتني ثم ارتديت ملابسي ونزلت عبر السلالم. هيرب وتالبون انتظرا. السؤال الأبديّ:

«كيف كان؟»

«لا فرق بينها وبين أي نيكة أخرى».

«هل تريد أن تقول لي إنّك لم تنك بين النهدين؟»

اللعنة، عرفتُ أني أخفقت في شيء.

صعد هيرب إلى الأعلى. قال لي تالبوت، «سأقتله. سأقتله وهو نائم الليلة. بسكّين الصيادين خاصّته».

«هل سئمتَ من أكل البطيخ؟»

«الحقيقة أنّي لم أحبّ البطيخ في حياتي».

«هل ستجرّبها؟»

«نعم، لن يضرّ».

«الأشجار تقريبًا خاوية. أظنّ أننا سنذهب إلى المناجم قريبًا».

«على الأقل لن يكون هيرب هناك ليعبق الأعمدة برائحة ضراطه المقرفة».

«اه، أجل، نسيت. أنت ستحاول قتله».

«نعم، الليلة، بسكين الصيادين خاصّته. لن تفسد الأمر، أليس كذلك؟»

«هذا ليس من شأني. أظّن أنّك تخبرني سرًا».

«شكرًا».

«عفوًا...».

نزل هيرب. اهتز الدرج من تحته. اهتزت كلّ الحانة. كان من المستحيل التمييز بين التفجيرات وبين هيرب. لكنّه كان يقصف. كان من الممكن سماع ذلك، فززززززززززز، عندها تُشمّ الرائحة في كل ركن. استفاق عربيّ كان ينام قبالة الحائط، شتم، وهرب إلى الشارع.

قال هيرب: «سحقته بين نهديها، ومن بعدها انهمر سيلٌ من المنيّ المقذوف تحت ذقنها عندما وقفت كان عالقًا فيها مثل ذقن أبيض. احتاجت إلى منشفتين لتمسحه. بعد أن أتوا بي إلى العالَم، رموا الرّسم التخطيطي».

قال تالبوت: «بعد أن خلقوك، نسوا أن ينزلوا الماء».

ابتسم هيرب له. «هل ستجربها أيها الفأر الصغير؟»

«لا، غيرت رأيي».

«جبان آه؟ كان الأمر متوقعًا».

«لا. لدي خطط أخرى».

«مؤكّد أنّك تشتهي أير أحدهم».

«لعلك على حق. أعطيتني فكرة».

«لا تحتاج إلى خيال واسع من أجل هذا. تحشوه في فمك فقط. افعل ما تريد».

«هذه ليست خطتي».

«حقًا؟ ما هي خطتك؟ أن تدقّه في مؤخرتك؟»

«ستعرف».

«سأعرف؟ فيمَ يعنيني ما ستفعله بأير أحدهم؟»

ضحك تالبوت.

«الفأر الصغير مجنون. أكل بطيخًا أكثر من اللازم».

قلت: «ربما».

شربنا النبيذ عدة مرات، ثم خرجنا. كان ذلك يوم عطلتنا لكن نقودنا نفذت. لم يكن ثمة شيء نفعله سوى العودة، الرقود في سريرنا ذي الطوابق، وننتظر النوم. كان الطقس باردًا هناك ليلًا، ولم يكن من تدفئة، حصلنا على لحافين خفيفين. ثم اضطررنا لوضع ملابسنا فوق اللحافين - المعاطف، القمصان، السراويل القصيرة، المناشف، كلّ شيء. الملابس المتسخة، الملابس النظيفة، كلّ شيء. وكلّما أطلق هيرب ضراطًا، حشونا رؤوسنا في اللحافين. دخلنا مرة أخرى، وكنت في غاية الحزن. لم أستطع أن أفعل شيئًا. لم يأبه التفاح، ولا الإجاص بذلك. رمتنا أمريكا وهربنا. هبطت قذيفة على باص مدرسة على بعد شارعين منا. أعاد الأطفال من

نزهة. عندما مررنا من جانبه، تناثرت أشلاء الأطفال في كل اتجاه. كان الدم ثقيلًا على الشارع.

قال هيرب: «أطفال مساكين، لن يُناكوا أبدًا».

خمنتُ أن هذا بالضبط ما فعلوه بهم. واصلنا سيرَنا.

فرجٌ أبيض

حانة بالقرب من محطّة القطار، تبدّلت ملكيّتها ٦ مرّات في عام واحد. انتقلت من كونها حانة للعراة إلى حانة صينيّة إلى حانة مكسيكيّة إلى حانة للعجزة وهكذا دواليك. لكني عرفتها بأفضل حال عندما كنت أجلس وأتأمل برج الساعة التابع لمحطة القطار عبر الباب الجانبي المفتوح جزئيًا. الحانة جيدة - لا نساء يزعجنك. مجرد جماعة من آكلي-الكسافا ولاعبي البادمنتون[١] وقد تركوني في حالي. جلسوا معظم الوقت وشاهدوا لعبة مضجرة في التلفاز. محبّذ أن تكون في غرفتك، بالطبع، لكننا تعلمنا عبر أعوام الشرب أن مشاهدة التلفاز وحيدًا تمامًا بين أربعة جدران، لن تتسبب في قضاء الجدران عليك فقط، وإنما ستساعدهم في القضاء عليك. لا حاجة إلى السماح لهم بالانتصار عليك بسهولة. التوازن الصحيح بين العزلة وبين الحشود - تلك كانت الحيلة، الخدعة المطلوبة لإبعادك عن جدران البيت.

أجلس هناك وأشعر بالضجر فيما يجلس رجل مكسيكي بجانبي ترتسم على شفتيه ابتسامة دائمة.

---

(١) لعبة الريشة الطائرة.

«أحتاج ثلاثة آلاف. هل يمكنك أن تدبّر من أجلي ثلاثة آلاف؟»

«يقول الرفاق «لا»- في الوقت الحالي. وقعت مشاكل كثيرة في الآونة الأخيرة».

«لكنّني أحتاج إليها».

«جميعنا نحتاجها. اشترِ لي بيرة».

الابتسامة المكسيكيّة الثابتة تشتري لي البيرة على الدوام.

أ) إنّه يخدعني

ب) إنّه مجنون

ت) إنّه يريد أن يمصّ أيرًا

ث) إنّه شرطيّ

ج) إنّه لا يعرف شيئًا.

قلت له: «ربّما استطعتُ أن أدبّر لك ثلاثة آلاف».

«آمل ذلك. فقدتُ شريكي. كان يعرف كيف يقتحم خزينة من طرفها الضيّق، كل ما فعله أنّه دقّ وتد ملزمة في الجهاز المعقّد، وأخذ يتحكّم بالضغط حتّى انحنى الطّرف. لطيف. من دون ضجة. هو الآن في السّجن. عليّ أن أستخدم المطرقة، أحلّ القفل ثم أفجر الثقب بواسطة الديناميت. ضجة أكثر من اللازم ووسيلة قديمة. لكني أحتاج الثلاثة آلاف لأضعها جانبًا إلى أن يحين اقتحام آخر».

يخبرني كلّ ذلك في هدوء، قريبًا من الأذن، حتى لا يسمع أحد. لا أكاد أسمعه.

سألته: «منذ متى وأنت شرطيّ منيك؟»

«أنت مخطئ تمامًا. أنا طالب. أدرس في ساعات المساء. أدرس دورة علم المثلثات الآن للمتقدمين».

«هل يجب عليك أن تقتحم الخزائن لتفعل ذلك؟»

«طبعًا. وعندما أنتهي سأصبح مالكًا لبعض الخزائن بنفسي، وكذلك صاحب بيت في بفرلي هيلز حيث لن تصلني أعمال الشغب».

«أصدقائي يحدثونني أنها الكلمة هي تمرد، وليست أعمال شغب».

«أيّ صنف من الأصدقاء لديك؟»

«جميع الأصناف، ولا أحد. ربما عندما تصل إلى حساب التفاضل والتكامل للمتقدمين، ستفهم أكثر ما أقصد. أعتقد أنّ طريقك لا تزال طويلة».

«لهذ أحتاج الثلاثة آلاف».

«قرض قدره ثلاثة آلاف يعني أربعة آلاف في غضون ٣٥ يومًا».

«كيف تعرف أنني لن أختفي؟»

«لا أحد يختفي، إن كنت تفهم ما أعنيه».

وصلت بيرتان إضافيتان. شاهدنا اللعبة في التلفاز.

سألته مجددًا: «منذ متى وأنت شرطي لعين؟»

«ليتك تتوقف عن هذا. هل يهمك إذا طرحت عليك سؤالًا؟»

«أها». قلت.

«رأيتك تتجول في الخارج في إحدى الليالي قبل أسبوعين تقريبًا، حوالي الساعة الواحدة ليلًا، وقد امتلأ وجهك بالدم. سال الدم على قميصك أيضًا. أردت أن أساعدك لكن بدا عليك أنّك لم تعرف حتّى أين كنت. كما أنّك أخفتني: لم تتمايل، لكنّك بدوتَ وكأنّك تسير في حلم. رأيتك عندها تدخل كشك هاتف ثم وصلت سيارة أجرة وأقلتك».

«أها» قلت.

«هل كان ذلك الشخص هو أنت؟»

«أعتقد».

«ما الذي حصل؟»

«كنت محظوظًا».

«ماذا؟»

«بالطبع. لمسوني قليلًا. هذا هو العقد المدوّي للاغتيالات. كينيدي. أوسولد. مارتن لوثر كينغ. تشي جيفارا. لومومبا. بالتأكيد نسيت البعض. كنت محظوظًا. لم أكن بدرجة كافية من الأهميّة ليقتلوني».

«من فعل بك ذلك؟»

«الجميع».

«الجميع؟»

«أها».

«ما رأيك بما حصل مع كينغ؟»

«مسرحية نفّذها الجبناء، مثل كل الاغتيالات منذ أيام يوليوس قيصر وحتى اليوم».

«هل تعتقد أن السود على حق؟»

«لا أعتقد أني أستحق الموت على أيدي السود، رغم أني أعتقد أن هناك بيضًا أصحاب خيال مريض يريدون أن يموتوا على أيدي السود، لكني أعتقد أن أحد أفضل الأشياء في ثورة السود أنهم يحاولون، غالبيتنا، نحن البيض المتباكين، نسينا كيف نفعل ذلك، بمن فيهم أنا. ما العلاقة بين هذا وبين الثلاثة الآف؟»

«حسنًا، أخبروني أن لك علاقات في الداخل، وأنا أحتاج إلى الرزق، لكني أظنك مجرد معتوه».

«أف. بي. أي».

«عفوًا؟»

«أنت من الأف. بي. أي؟»

«هل أنت مريض بالشكّ؟»

«واضح. أليسَ كلّ انسان عاقل مريضًا بالشك؟»

«أنت معتوه!» بدا عصبيًا وهو يدفع بمقعده إلى الخلف ويخرج.

تيدي، صاحب الحانة الجديد، جلب المزيد من البيرة.

سألني: «من كان ذلك الشخص؟»

«شخص ما يجرف بعض الخراء».

«نعم؟»

«نعم. أعدت إليه بعض الخراء».

غادر تيدي من دون انطباع، لكن هكذا هم السقاة في الحانات. انتهيت من شرب البيرة، خرجت متوجهًا إلى الحانة المكسيكية الكبيرة بجوقة موسيقيّة كاملة. أرادوا قتلي في تلك الحانة. عندما أسكر لا أكون في أفضل حالاتي. شعوري بأني أبيض ومعتوه وهادئ كان جيدًا. توجهت إليّ النادلة. أذكر وجهها. تبدأ الجوقة بعزف «الأيام السعيدة قد عادت». وجّهوا نحوي الإصبع الوسطى. هذا أسوأ من مدية زنبركيّة.

«أحتاج إلى أن تعيدي إليّ مفاتيحي».

تبحث في مئزرها (تبدو جميلة في هذا المئزر، النساء عادة ما يبدون جميلات في المئزر. يومًا ما سأضاجع امرأة لا ترتدي شيئًا سوى المئزر. وأنا أقصدها هي)، وتلقي بالمفاتيح على طاولة البار. ها هي - مفاتيح السيارة، مفاتيح الشقة. مفاتيح، مفاتيح في جمجمتي.

«قلت ستعود ليلة الأمس».

نظرت من حولي، كان هناك شخصان أو ثلاثة ممددين فوق البار. منتهين. حام الذباب حول رؤوسهم، أفرغوا محافظهم. شممت رائحة مشروبات «ميكي» المخلوطة بالمخدّرات. حسنًا، على غرينغو أن يتعلّم توقّع هذه الأمور. إلّا أنا. لكن المكسيكيين كانوا ممتازين- سرقنا وطنهم لكنهم واصلوا العزف. وأنا أقول:

«نسيت أن أعود».

«المشروب على حسابي».

«حسنًا، تظاهري كما لو كنت بوب هوب أروي طرائف عيد الميلاد حول الجنود. كأس «ميكي»، ثقيل».

ضحكت وذهبت لتخلط السم. أدير رأسي لأسهل عليها. جلست قبالتي.

قالت لي: «أنا أستلطفك، أريد أن أضاجعك ثانية. أنت بارع بالنّسبة إلى سنّك المتقدّمة».

«شكرًا. ألا تضعين شعرًا مستعارًا؟ أنا رجل شاذّ: أحبّ الفتيات اللاتي يتظاهرن وكأنّهن نساء بالغات في السّن، والنّساء البالغات اللاتي يتظاهرن وكأنهنّ صغيرات في السن. أحب أربطة الأحزمة الداخليّة، الكعب العالي، السراويل الوردية الرفيعة، وكلّ هذه الملحقات البذيئة».

«لديّ عادة تلوين فرجي بالأبيض».

«ممتاز».

«اشرب سمّك».

«آه، نعم. شكرًا جزيلًا».

«عفوا».

شربت الـ«ميكي» لكني خدعتهم. خرجت من الحانة وقد

حالفني الحظ - رأيت سيارة أجرة تركن قبالتي في شارع سانست، تحت أشعة الشمس. دخلت، وإلى أن أوصلتني إلى شقتي، كنت بالكاد قادرًا على دفع الأجرة للسائق. فتحت الباب، أغلقته، وها أنا خائر القوى. فرج أبيض. نعم، هي قالت إنها تريد أن تضاجعني، هذا مؤكد. نجحت في الوصول إلى الأريكة ثم تجمدت، إلا من التفكير في شيء واحد، آه نعم، الثلاثة آلاف، من لا يريدها. اللعنة على الفائدة وعلى التعويض النهائي. ٣٥ يومًا. كم شخصًا حصل على ٣٥ يومًا إجازة في حياته كلها؟

ثم صار الجو ظلامًا لدرجة أنّي لم أقوَ على الاجابة عن سؤالي.

آها.

المحتويات

هذا الكتاب

كانت كاس الأصغر سنًا والأجمل من بين الأخوات الخمس. كانت كاس أجمل فتيات المدينة. نصفها هنديّ بِجَسَدٍ ليّنٍ وغريب، جسدٍ أفعوانيّ وناريّ، وعينين تتناغمان معه. كانت كاس نارًا متحرّكة رشيقة. مثل روحٍ تقبع في قالب لا ينجح في حبسها. كان شعرها أسودَ وطويلًا وحريريًا تمايل وتحرّك مثلَ جسدها. كانت روحها ساميةً جدًا أو منحطة جدًا. لم تكن كاس تمتلكُ حلولًا وسطية. قال البعض إنّها مجنونة. وحدهم البلداء من قالوا ذلك.

ISBN 978-9933351212
9 789933 351212